

ابن عذاري المراكشي

البيان المغرب في أخبار المغرب

٢

أخبار الأندلس

مكتبة صادر
بيروت

DT
95
.5
1135
v.2

CORNELL
UNIVERSITY
LIBRARY



BOUGHT WITH THE INCOME
OF THE SAGE ENDOWMENT
FUND GIVEN IN 1891 BY
HENRY WILLIAMS SAGE

ابن عذاري المراكشي

البيان المغرب في أخبار المغرب

٢

أخبار الفرنس

مكتبة صادر
بيروت

B674821.

55

S

V.R.R.

مطبعة المناهل : ٤٨ - ١٩٥٠

البيان المغرب

في

أخبار المغرب

هو تاريخ ابن عذاري المراكشي ، اعتنى بتصحيحه ونشره
عن مخطوطات قديمة المستشرق رينهوت دُزي .

وضعه مؤلفه في جزئين ، الأول : في أخبار المغرب ، اختلطت
به قطع من « نظم الجمان » لابن القطان . طبع في ليدن سنة
١٨٤٨ .

والثاني : في أخبار الأندلس ، اختلطت به قطع من تاريخ
عريب ، وطبع في ليدن سنة ١٨٤٩ .

وقد كتب له المستشرق دُزي مقدمة بالفرنسية بحث فيها
في التواريخ التي وضعت عن المغرب والأندلس بحث الناقد
الواسع الاطلاع وبين ما فيها من محابة لأصحاب السلطان
الذين كتبت في أيامهم ، ومن تشويه لبعض الحقائق . غير انه
لم يعثر على شيء يدل على اسم ابن عذاري ، وحياته ، الا
انه عاش في القرن الثالث عشر .

ويعدّ هذا التاريخ أشمل تاريخ لحوادث المغرب والأندلس
السياسية والاجتماعية والادارية ، وللحروب التي دارت بين
العرب والفرنجة أو بين العرب بعضهم مع بعض .

وقد وقف المؤلف في أخبار المغرب عند سنة ٦٠٢ هـ ،
وفي أخبار الأندلس عند سنة ٣٨٧ هـ بعد ذكره للأمراء
والولاة الذين تولوا افريقية لحلفاء بني أمية بعد سرده لآخر
غزوات المنصور بن عامر مؤسس الدولة العامرية في الأندلس .

ذكر صفة الاندلس وأوليتها

أما صفة الاندلس ، فإنها جزيرة مركبة ذات ثلاثة أركان ،
قريبة من شكل المثلث : الركن الواحد منها عند صنم قادس ،
والركن الثاني في بلاد جليقية ، وهو مقابل لجزيرة قرطاجنة
حيث الصنم المشبه بصنم قادس ، والركن الثالث بناحية الشرق
بين مدينة اربونة ومدينة برذيل حيث هو قَرُبَ البحر
المحيط الغربي من البحر المتوسط الشامي ، وكاد البحران هناك
يجتمعان في ذلك الموضع فتصير الاندلس في جزيرة لولا يسير
ما بقي منها ، وهو مسيرة يوم كامل . وفيه مدخل يقال له الأبواب ،
وفيه تتصل الاندلس بالارض الكبيرة .

فالاندلس كلها محدقة بالبحر : البحر المحيط الغربي والبحر
المتوسط القبلي ، ويصعد منه قليل الى ناحية الشرق . فحد
الاندلس ، في الشرق والغرب وبعض الجوف^١ ، البحر المحيط ؛
وحدها في بعض القبلة والشرق البحر المتوسط لانه يتوسط
الارض كلها . وقيل ... آخر الاقليم السبعة .

وقيل ان اول من نزلها بعد الطوفان قوم يُعرفون بالاندلس

١ الجوف : في اصطلاح اهل المغرب جهة الشمال .

بشين معجزة فسميت بهم الاندلس بالسين غير معجزة . وقيل
انهم كانوا مجوساً فأراد الله قلعهم عنها فحبس المطر عنهم حتى
غاضت مياههم . وعيونهم وأنهارهم ، وخرجوا منها وافترقوا في
البلاد . وأقامت خالية مائة سنة من حدّ افرنجة الى البحر . ثم
دخلها بعد ذلك قوم من الأفاقة اجلاهم صاحب افريقية من
الجوع ، فلما نزلوا الاندلس وجدوا أنهارها قد جرت فملكوها
نحو مائة وخمسين سنة . وعدد ملوكهم احد عشر ملكاً ، ودار
ملكهم مدينة طالقة .

ثم غلبت عليهم الاشبانية حتى أخرجوهم عن الملك وصار
الملك اليهم ، وبهم سميت اشبيلية ، فبنوها وسكنوها ،
وخربت طالقة . وهجم عجم رومة فكانوا ملوكاً حتى دخل
البشرلقات على الرُمانين ، وقد بعث الله المسيح (ع.م) فبعث
الحواريين الى البلدان كلها ، وظهر دين النصرانية وغلب .

ثم كان دخول البشرلقات من رومة وكانوا يملكون
افرنجة وبيعثون عماهم اليها ودار ملكهم ماردة فكانت عدة
ملوكهم ٢٧ ملكاً منهم .

ثم ظهر باشبيلية اشبان وكان رجلاً ضعيفاً حراثاً ، فوقف
به الحضر (ع.م) وهو يحرق وقال له : اذا غلبت على ايليا فارق

١ ايليا : اورشليم أو بيت المقدس .

بأولاد الانبياء . فقال له : كيف يكون هذا وانا ضعيف من غير بيت ملك ؟ فقال له : يُقَدَّرُ ذلك مَنْ قَدَّرَ في عصاك ما قَدَّرَ . فلما نظر الى عصاه اذا بها قد أوزقت ، ففزع وغاب عنه الحُضر . ووقع ذلك بنفس اشبان فلم يزل يصطنع الرجال حتى علا اسمه وذكره . وتغلَّب على الاندلس فخرج في السفن الى ايليا فغنمها وهدمها وقتل فيها مائة الف من اليهود وباع منهم مائة الف ، وانتقل رخاما الى الاندلس . وكان ملكه نحو عشرين سنة . وبعد سنتين من ملكه غزا ايليا .

ويقال ان اشبان اسمه اصبهان لانه ولد بأصبهان فسمي بها ، والله اعلم . فعُدَّة ملوكهم ٥٥ ملكاً .

ثم دخل القوط الاندلس وقطع الله ملك رومة منها ، وعدَّة ملوك القوطيين ١٦ ملكاً آخرهم لذريق الذي دخل عليه المسلمون وجعلوا دار ملكهم طليطلة . ووجدت في بعض كتب العجم ان آخر ملوك الاندلس كان يسمى وخشندش ، ولم يكن في النصرانية أحكم منه ولا احسن اصابةً لِسُنَّتِهِمْ . وعلى سنته ... النصرانية احكامها وهي الاربعة الاناجيل التي يحلفون بها وينتهون الى ما فيها . وكان ذ ...

وقالوا ان لذريق الذي دخلت عليه العرب والبربر وثب على وخشندش هذا وقتله وغلب على ملك الاندلس ودانت له

طليطلة وغيرها . وفي كتب العجم ان رذريق هذا لم يكن من بيت المملكة وانما كان زعيماً وكان من عمال الملك بقرطبة وقتل وخشندش بعدما خلع ... عليه فغير الحكم وافسد سنن الملك وفتح البيت الذي كان فيه التابوت ، وكان ذلك البيت ... مات الملك منهم يكتب اسمه وكم ولي ووضع فيه تاجه ، فأنكرت النصرانية ذلك عليه و... له بيتاً مثله ذهباً وفضة ولا يفتحه ، فلم يقبل ذلك منهم وعزم على فتحه وفتح التابوت ا ... ففتحه ووجد في البيت تيجان الملوك وصور العرب متنكبة قسيها وفي رؤوسها عمام ... مكتوب : اذا فُتِح هذا البيت وأُخرجت هذه الصور دخل الاندلس قوم في صورهم فع ... عليها .

فلما دخلت العرب والبربر مع طارق والتقوا بالجزيرة اسلمته النصرانية وانهزموا ... حتى قتل . وكان دخول طارق الى سنة (?) من ولاية رذريق فقتله طارق بقرطاجنة من ... البحر ...

فلما انتهى طارق الى طليطلة وجد فيها مائدة سليمان ، ووجد فيها صور العرب والبربر على خيولهم ؛ وهي الصور التي وضعت على القصر بقرطبة . وقيل ايضاً انها طلسمات كانت العرب قد نصبتها على مساجد الاندلس فنقلها عبدالرحمن بن معاوية الى القصر بقرطبة . وهذا القدر كافٍ هنا من صفة الاندلس وذكر ملوكها الاولين .

ذكر دخول المسلمين الى الاندلس

وانتزعها من ايدي الكفار

فأما دخول المسلمين اليها فذكر فيه اربعة اقوال : احدها ، ان الاندلس دخلها عبدالله بن نافع بن عبد القيس وعبدالله ابن الحصين الفهريّان من جهة البحر في زمن عثمان (رضه) . قال الطبري : اتوها من برّها وبحرها ففتحها الله تعالى على المسلمين هي وافرنجة ، وازداد في سلطان المسلمين مثل افريقية . ولم يزل امر الاندلس بافريقية حتى كان زمن هشام بن عبد الملك فمنع البربر أرضهم ، وبقي من في الاندلس على حالهم ؛ هذا نصّهم ، وان ذلك كان سنة ٢٧ من الهجرة الكريمة .

وثانيها ، ان موسى بن نصير افتتحها عام ٩١ ؛ هذا قول الطبري ايضاً ، فيظهر منه انه جاز بنفسه وتولّى هذه الغزوة والفتح .

وثالثها ، ان طريفاً دخلها وفتحها في عام ٩١ . ورابعها ، ان طارقاً اول من دخلها سنة ٩١ ، ودخل موسى بعده سنة ٩٢ . فهذا الخلاف واقع في هؤلاء الاربعة مواضع . قيل ان اول من دخلها الفهريّان ، ثم ابن نصير ، ثم طريف ، ثم طارق . فظهر من هذا ان الفهريين اثرا فيها في

زمن عثمان (رضه) وغنا من جهة البحر، وطريقاً دخلها سنة ٩١
مغيراً ومخرباً ، ونُسب فعله الى موسى بن نصير نسبة فعل
المأمور الى الأمر ، فصدق عليه اضافته لموسى ، فيكون قول
الطبري صادقاً، وصدق عليه ايضاً قول الرازي بأخرى وأولى؛
وطارق دخلها دخول المستفتح لها المكافح سنة ٩٢ .

وقال عريب ان العليج يليان صاحب الجزيرة الخضراء داخل
موسى بن نصير صاحب افريقية عام ٩١ على يد طارق بن زياد
عامل موسى على طنجة وما والاها؛ فراسل يليان موسى يزيّن
عنده دخول الاندلس ويقرب له امرها . وقيل بل سار اليه بنفسه
في البحر حتى اجتمع به في ذلك . فاستشار موسى الوليد بن
عبد الملك ، إما مراسلة، وإما نهض بنفسه اليه ، على خلاف في
ذلك . فأشار الوليد بأن يحتبرها بالسرايا ولا يغرر بالمسلمين ؛
فبعث موسى بن نصير عند ذلك رجلاً من البربر يسمى طريفاً
ويكنى بأبي زرعة في مائة فارس واربعمئة راجل؛ فجاز في
اربعة مراكز حتى نزل في ساحل البحر بالاندلس فيما يحاذي
طنجة ، وهو المعروف اليوم بجزيرة طريف، سميت باسمه لنزوله
هنالك . فأغار منها على ما يليها الى جهة الجزيرة الخضراء ،
واصاب سبياً ومالاً كثيراً ورجع سالمًا . وكانت اجازته في
شهر رمضان سنة ٩١ .

وقد اتفق الجميع فيما يظهر على ان متولي كبر فتح
الاندلس وجله ومعظمه طارق بن زياد . وقد اختلف في نسبه ،
فالأكثرون على انه بربري من نفزة ، وانه مولى لموسى بن نصير
من سبي البربر . وقال آخرون انه فارسي .

قال صالح بن ابي صالح : هو طارق بن زياد بن عبدالله
ابن رفه بن ورفجوم بن ينزغاسن بن وهاص بن يطوف بن
نفران . وكأنهم ايضاً اتفقوا على ان طارقاً كان عاملاً لموسى ،
قبل مجاوله الاندلس ، على المغرب الاقصى وترك عنده رهائن
برابر المغرب في سنة ٨٦ من الهجرة ؛ وقيل ايضاً ان طارقاً
جاز الى الاندلس برهائن البربر سنة ٩٢ .

قال ابن القطان : فالأكثرون يقولون كان مستقره بطنجة ؛
ومنهم من يقول سجلماسة ، وان سلا وما وراءها من فاس
وطنجة وسبته كانت للنصارى ، وكانت طنجة ليليان منهم فكان
طارق اذاً نائباً عن موسى بن نصير . واختلفوا ايضاً هنا هل
انما سار الى الاندلس عن امر موسى او سار اليها الامر دهمه
لم يمكنه الا انفاذه . والقول الاول هو المشهور المتفق عليه .

قال الرازي عن الواقدي : ان الوليد بن عبد الملك استعمل
موسى بن نصير على افريقية واستعمل موسى بن نصير طارق بن
زياد على طنجة ، وكان يليان مجاوراً له بالجزيرة الخضراء التي تلي

طنجة ، فداخله طارق حتى صار معه الى الرضا ، ووعد يليان
بادخاله الاندلس هو وجنوده . وكان اجتمع لطارق اثنا عشر
الفاً من البوبر فاجتمع طارق على غزو الاندلس بعد ان اخذ
اذن ابن نصير مولاه في ذلك ؛ فكان يليان يحتمل اصحاب
طارق في مراكب التجار التي تختلف الى الاندلس ولا يشعر
اهل الاندلس بذلك ويظنون ان المراكب تختلف بالتجار ،
فحمل الناس فوجاً بعد فوج الى الاندلس . فلما لم يبق الا
فوج واحد ركب طارق ومن معه حتى اجاز البحر الى
اصحابه وتخلّف يليان بالجزيرة الخضراء لتكون اطيّب لنفسه
ونفوس اصحابه ، فنزل طارق جبلاً من جبال الاندلس يوم
الاثنين لحُمس خلون من رجب سنة ٩٢ كما تقدم ذكره ذلك ،
فسمي ذلك باسمه الى اليوم .

وذكر عيسى بن محمد من ولد ابي المهاجر ، في كتابه ، في
السبب في دخول طارق الاندلس : وهو ان طارقاً كان والياً
لموسى على طنجة وكان يوماً جالساً اذ نظر الى مراكب قد
طلعت في البحر ، فلما ارست خرجوا اليها فتزعوا ارجلها
وانزلوا اهلها ، فقالوا : اليكم جئنا عامدين ، وعظيمهم معهم ،
يقال له يليان . فقال طارق : ما جاء بك ؟ فقال له : ان ابي
مات فوثب على ملكنا ومملكتنا بطريق يقال له لذريق فاهانني

واذلتني، وبلغني امركم فجئت اليكم ادعوكم الى الاندلس واكون
دليلاً لكم. فاجابه طارق الى ذلك واستنفر البربر ، وذلك
اثنا عشر الفاً ، فحملهم يليان في المراكب فوجاً بعد فوج كما
تقدم ذكره .

وذكر غير هؤلاء ان السبب في ذلك ان طنجة وسبتة
والخضراء وتلك الناحية كانت في مملكة صاحب الاندلس
على نحو ما كانت السواحل كلها بالعدوة وما قرب منها للروم ،
ويسكنونها اذ كان البربر يرغبون عن سكنى المدن والقرى ،
وانما بُغيتهم سكنى الجبال والصحارى اذ كانوا اصحاب ابل
وسوائم . وكان النصارى في صلحهم ، وكانت السنة في
الاندلس ، في ملوك النصارى، ان يستخدموا بني بطارقتهم وكبار
رجالهم : فالرجال منهم يخدمون خارجاً والنساء جوارٍ يخدمن
داخلاً ، وهكذا سُنتهم الى اليوم في الرجال خاصة يخدمون
صبياناً يتأدّبون بادبهم ويتعلمون سنتهم، فاذا ادركوا او كبروا
اخطوهم برجالهم واهليهم . وكان ملك الاندلس من القوطيين
يسمى رذريق قدمه يده الى ابنة يليان، وكانت عنده، فاعترضها
نفسها، فارسلت الى ابائها ودست اليه . فلما بلغه ذلك احفظه
وكتمه وارصد به الايام ونصب له الغوائل حتى كان من دخول
العرب المغرب ما كان. وارسل رذريق الى يليان في بزة وطيور

وغيرها فارسل اليه لأوردن^١ عليك طيوراً لم تسمع قط بمثله ، وهو
ينوي الغدر به . فحينئذ دعا طارقاً الى ما كان من جواز البحر .
واختلفت الروايات في قتال طارق اهل الاندلس : ف قيل ان
رذريق زحف الى طارق بجميع اهل القوة من اهل مملكته
بنفسه ، وهو على سرير ملكه على بغلين يحملانه وعليه تاجه وجميع
الحلية التي تلبسها الملوك ، حتى انتهوا الى الجبل الذي فيه طارق ،
فخرج اليهم طارق بجميع اصحابه رجالة ليس فيهم راكب الا
القليل ، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى ظنوا انه الفنا . ثم صرف الله
وجوه اعدائه فانهزموا ، وأدرك رذريق فقتل في وادي الطين ،
ومضى حتى دخل قرطبة وفتح الله الاندلس على المسلمين ، هكذا
ذكر عيسى في كتابه .

وذكر الواقدي انهم اقتصلوا من حين طلعت الشمس الى ان
غربت فلم تكن قط بالمغرب مقتلة اعظم منها ، بقيت عظامهم
في المعركة دهرًا طويلاً لم تذهب . وذكر الواقدي أيضاً عن
عبد الحميد بن جعفر عن أبيه قال : سمعت رجلاً من اهل
الاندلس يحدث سعيد بن المسيّب ويذكر له قصتهم ، فقال :
لم يرفع المسلمون السيف عنهم ثلاثة ايام حتى اوطأوهم علبة^١ .
ثم ارتحل المسلمون الى قرطبة ، وهي مدينة الاندلس التي كان
بها رذريق وبينها وبين الساحل مسيرة خمسة ايام . وكان

١ العلبة : الشدة والصلابة .

سلطان رذريق الى اربونة ثغر الاندلس ، وهي اذ ذاك اقصى
مملكة الاندلس بما يلي افرنجة ، ومن اربونة الى قرطبة الف ميل .
وكان الذي أحابه طارق ومن معه من السبي في اول فتح لهم
عشرة آلاف رأس ، وكان سُهمانهم ، من الذهب والفضة لكل
واحد من الرجال ، مائتي دينار وخمسين ديناراً .

وذكر الرازي أنه لما بلغ رذريق خبر طارق ومن معه
ومكانهم الذي هم فيه بعث اليه رذريق الجيوش جيشاً بعد
جيش ، وكان قد قوّد عليه رذريق ابن اخت له يسمى بنج ،
وكان اكبر رجاله ، فكانوا عند كل لقاء يهزمون ويقتلون ،
وقُتِل بنج ، وهزم عسكره . فقوي المسلمون وركب الرجالة
الحيل وانتشروا بناحياتهم التي جازوا بها ، ثم زحف رذريق
اليهم بجميع عساكره ورجاله وأهل مملكته وهو على سرير ملكه
كما تقدم . فلما انتهى الى الموضع الذي فيه طارق خرج اليه
فاقتتلوا على وادي لكّة من كورة شدونة يومهم ذلك ،
وهو يوم الاحد لليلتين بقيتا من رمضان من حين بزغت
الشمس الى ان توارت بالحجاب . ثم اصبحوا يوم الاثنين على
الحرب حتى الى المساء ، وتمادت ايامهم كذلك الى يوم الاحد الثاني
فتمّت ثمانية ايام ، وقتل الله لذرريق ومن معه وفتح للمسلمين
الاندلس ولم يعرف لذرريق موضع ولا وُجِدَتْ له جُثّة ، وانما

وجد له خفّ مفضّض فقالوا : انه غرق ، وقالوا : انه قتل ،
والله اعلم .

ثم تحرّك طارق الى مضيق الجزيرة ، ثم نهض الى مدينة
أسجة فوجد فيها فلّ العسكر فقاتلوه قتالاً شديداً حتى كثر
القتل والجراح في المسلمين ، ثم نصرهم الله وقطع دعوة العجبة ،
وقذف الله الرعب في قلوب المشركين اذ تقهّم عليهم البلاد ،
فهرب أكثرهم الى مدينة طليطلة وتركوا مدائن الأندلس
وراءهم قليلة الأهل .

وقدم يليان على طارق من الخضراء مستقرّه . فقال له :
قد فتحت الأندلس فخذ من أصحابي أدلاءً ففرّق معهم
جيوشك ، وسرّ معهم الى مدينة طليطلة . ففرّق جيوشه من
أسجة .

ذكر ما افتتح طارق بن زياد

من البلاد سنة ٩٢ من الهجرة

اول فتوحاته جبل الفتح المسمى بجبل طارق، وذلك لما جاز المسلمون ونزلوا في المرسى، وهم عرب وبربر حاولوا الطلوع في الجبل، وهو حجارة حُرش^١، فوطأوا للدواب بالبراذع وطلعوا عليها، فلما حصلوا في الجبل بنوا سوراً على انفسهم يسمى سور العرب. وقيل انهم فتحوا من حينهم حصن قرطاجنة، وكان في سفح هذا الجبل من نظر الجزيرة الخضراء. فلما بلغ ذلك ملوك الاندلس نفروا الى رذريق، وكان جباراً طاغية، فاستنفر النصرانية، ف قيل انه بعث الى المسلمين الجيش بعثاً بعد بعث، فكانوا عند كل لقاء يهزمون ويقتلون، فقوي المسلمون وركب رجالهم وانتشروا في البلاد. وبعد هذا زاحفهم رذريق بنفسه؛ وقال الاكثر: بل زاحفهم لاول مرة بنفسه. ثم اختلفوا أيضاً كم ايام المزاخفة التي اعقبها الفتح وانهزم آخرها رذريق؛ فقيل: يوم كامل؛ وقيل: يومان؛ وقيل: ثلاثة؛ وقيل: ثمانية. واختلفوا هل ظفر برأس رذريق ام لا، فقيل: ظفر به؛ وقيل: غريقاً مات.

١ حرش: خشنة، واحدها احرش وحرشاء.

فتح قرطبة

بعث طارق مغيثاً مولى عبد الملك بن مروان ، من أسجة الى قرطبة ، في سبع مائة فارس ، وهي من مدنهم العظام ، ولم يكن معه راجل ، إذ كان الرجال قد ركبوا . فلما بلغ مغيث شقندة وقرية طرسيل ، وهي على ثلاثة أميال من قرطبة ، بعث الأدلاء كي يلقوا من عنده خبراً ، فألقوا راعي غنم ، فأتوا به الى مغيث ، وهو في القبضة ؛ فسأله عن قرطبة ، فقال له : انتقل عنها عظماء أهلها ولم يبق فيها إلا بطريق في أربع مائة فارس من حماهم مع ضعفاء أهلها . ثم سأله عن حصانة سورها ، ف أخبره انه حصين ، إلا ان فيه ثغرة فوق باب الصورة ، وهو باب القنطرة ، ووصف لهم الثغرة . فلما جنّ الليل تحرّك مغيث بمن معه وعبروا النهر ، وقابلوا السور وراموا التعلّق به ، فتعذّر عليهم ، فرجعوا الى الراعي وأتوا به معهم ، فدلّهم على الثغرة ، فراموا التعلّق بها ، فصعب عليهم حتى صعد رجل من المسلمين في ذروتها ، ونزع مغيث عمامته فناوله طرفها وارفقوا بها حتى كثروا بالسور . ثم جاء مغيث الى باب القنطرة ، وهي يومئذ مهذومة ، وأمر أصحابه بالحوم على احراس السور ، فكسروا الأقفال ودخل مغيث بمن معه .

فلما بلغ الملك الذي بها دخولهم ، خرج في كرامة أصحابه ، وهم نحو الأربعمائة ، فدخلوا كنيسة بغربي المدينة فتحصّنوا فيها . فحاصروهم مغيث ، وكتب الى طارق بالفتح ، وتماذى على حصار العلوج في الكنيسة المذكورة ثلاثة اشهر . فبينما هو ذات يوم جالس اذ قيل له : خرج العليج ، يعني الملك ، هارباً وحده ، وهو ينوي التحصّن في جبل قرطبة ليلحق به أصحابه ، فاتّبعه مغيث وحده دون أحد من أصحابه ، فلما برز له وأبصره هارباً وتحت فرس أصفر ، وهو يتبعه ، خرج من طريقه فأتى خندقاً ، فوثب به الفرس وسقط في الخندق واندقت عنقه . فأقبل مغيث والعلج جالس على ترسه مستأسراً فأسره ، ولم يؤسر من ملوك الأندلس غيره ، لأنّ منهم من عقد لنفسه أماناً ، ومنهم من هرب الى أقاصي البلاد مثل جليقية وغيرها . ورجع مغيث الى بقية العلوج فاستنزلهم أسراً ، وضربت أعناقهم صبراً ، وسمّيت كنيسة الأسرى ، وأبقى العليج صاحب قرطبة ليقدم به على أمير المؤمنين .

فتح مالقة

بعث اليها طارق من اسجة جيشاً ، وقوّد عليه قائداً ودليلاً من رجال يليان ، فاستفتحها وجميع اعمال ريّة ، ولجأ علوجها الى جبال رية الشاخة المنيعه .

فتح غرناطة قاعدة البيرة

بعث اليها طارق الجيش من اسجة فحاصرها حتى افتتحها .

فتح مرسية

ثم تقدم هذا الجيش بعد فتح غرناطة الى تدمير ، وهي مرسية ،
وانما سُميت تدمير باسم العليج صاحبها ؛ وكان اسمها اوريولة
وهي كانت مدينتها القديمة ، فقاتل العليج تدمير المسلمين قتالاً
شديداً ، وكان في قوة ، ثم انهزم في فحص^١ لا يستترهم شيء .
فوضع المسلمون فيهم السلاح حتى افنؤهم ولجأ من بقي منهم الى
مدينة اوريولة .

وكان تدمير بصيراً بابواب الحرب ، فلما رأى قتلة من معه
من اصحابه امر النساء فنشرن شعورهن واعطاهن القصب
ووقفن على سور المدينة ، ووقف معهن بقية الرجال . ثم
قصد بنفسه الى جيش المسلمين كهيئة الرسول ، واستأمن فأمّن
وعقد له الصلح ولاهل بلده ، فافتتحت مدينة تدمير صلحاً . فلما
انعقد الصلح وتم ابرز لهم نفسه وقال : انا تدمير صاحب المدينة .
ثم ادخلهم البلد فلم يروا فيه أحداً عنده مدفع^٢ . فندم
المسلمون ومضوا على ما اعطوه من الأمان ، وكتبوا بالفتح الى

١ الفحص : كل موضع يسكن ، ومواقع معروفة في المغرب كفحص
مرسية وسواها . ٢ مدفع : اي مدافعة .

طارق. وأقام بتدمير رجال من اهل العسكر وصاروا مع اهلها ،
وتقدم معظم الجيش الى طليطلة ، فلحق بطارق وهو عليها .

فتح طليطلة

والفى طارق طليطلة خالية ليس فيها إلا اليهود في قومٍ
قلّة ، وفرّ علبها مع اصحابه ولحق بمدينة خلف الجبل ، بعد ان ضم
اليهود وخلقى معهم بعض رجاله واصحابه بطليطلة ، وفرّ بنفسه
مع اصحابه . وتبعهم طارق فسلك الى وادي الحجارة ثم استقبل
الجبل فقطعه من فجّ يسمى به الى اليوم ، فبلغ مدينة خلف
الجبل تسمى مدينة المائدة ، ثم فتح مدينة المائدة ، فوجد فيها
مائدة سليمان بن داود عليهما السلام ، وكانت من زبرجدة
خضراء ، حافاتها وأرجلها منها ؛ وأصاب بها مالا وحلياً كثيراً ،
ثم انصرف الى طليطلة . هكذا أثر الناس هذا كله على ان
طارقاً صنعه . وقال آخرون : بل أقام طارق حيث كانت الوقعة
وجاز اليه موسى ؛ وقيل : بل وجده بقرطبة .

وفي سنة ٩٣ من الهجرة دخل موسى بن نصير الأندلس
في رمضان بعد دخول طارق بسنة . ومضى غازياً فيها ، مفتتحاً
لحصونها هذه السنة وسنة ٩٤ وبعض سنة ٩٥ ؛ فافتتح جميع
حصونها ، وهزم جميع من لقيه من امرائها ، فلم يلق كيداً

١ أثر : نقل الحديث .

من أحدٍ ولا انهزمت له راية حتى انتهى الى مدينة من مدن
افرنجة يقال لها لوطون ، وقد ملك ما سواها ودونها الى
اقصى برشلونة . فلما انتهى الى مدينة لوطون ، ضاق المسلمون
وخافوا ان يخطيء بهم ، فكلّموه في ذلك ، فقفّل بهم راجعاً .

قال مؤلف كتاب بهجة النفس : ورأيت في بعض كتب
العجم ، ان المسلمين انتهوا الى مدينة لوطون قاعدة الافرنج ،
ولم يبقَ لأهل الاسلام شيء لم يتغلب عليه مما وراء ذلك إلاّ
جبال قرقوشة وجبال بنبلونة وصخرة جليقية . فاما الصخرة
فلم يبقَ فيها مع ملك جليقية إلاّ ثلاث مائة رجل تكلّفوا
بالموت والجوع والحصار . فلما لم يبقَ منهم إلاّ ثلاث مائة
رجل ، ورأى ذلك المرتبون على حصارهم ، استقلّوهم فتركوهم
فم يزالوا يزدادون حتى كانوا سبب اخراج المسلمين من جليقية ،
وهي قشتيلة . وأما قرقوشة فذكر عبد الملك بن حبيب انها
افتتحت في زمن هشام بن عبد الملك صاحباً ، وكان الافتتاح
لما ذكرته في بقية سنة ٩٢ وبعض سنة ٩٣ من الهجرة .

وكان السبب في جواز موسى بن نصير الى الاندلس انه أغري
بطارق عبده وذكر له ما آفاه الله عليه ، فكتب له موسى باقبح
السب وامره ألاّ يتجاوز قرطبة حتى يقدم عليه .

قال ابن القطان : قيل انما حمله على الجواز للاندلس تعدّي

طارق ما امره به ألاَّ يتعدى قرطبة على قول، أو موضع هزيمة
لذريق على قول ؛ وقيل أيضاً : انما حمله على ذلك الحسد
لطارق على ما اصاب من الفتوح والغنائم ؛ وقيل أيضاً : انما
جاز باستدعاء طارق اياه فكان جوازه في رمضان كما تقدم .

قال الرازي : وحدث الواقدي عن موسى بن علي بن رباح
عن ابيه قال : خرج موسى بن نصير في عشرة آلاف من
افريقية مغضباً على طارق وتقدم يريد الاندلس ، فدخلها ونزل
الجزيرة . ف قيل له : اسلك طريق طارق . فقال : لا ، والله ،
اسلك طريقه . فقال له الادلاء من الاعلاج : نحن ندلك على
طريق هي أشرف من طريقه ، وعلى مدائن هي اعظم خطراً
من مدائنه لم تفتح ، يفتحها الله على يديك ان شاء الله . فامتلاً
موسى سروراً فساروا به الى مدينة شذونة ، فافتتحها عنوة ،
وهي أول فتوحاته .

فتح قرمونة

ونقض موسى مع ادلائه من شذونة الى قرمونة . ولم يكن
بالاندلس احصن منها ولا ابعد من ان تنال بحصار او قتال .
فسأل موسى عن امرها ، ف قيل له : لا تؤخذ إلا باللفظ والخيال .
فقدم اليها علوجاً كانوا من اصحاب يليان وغيرهم ، فأتوهم في

هيئة المنهزمين ومعهم السلاح ، فأدخلوهم المدينة . فلما علم موسى بدخولهم بعث الخيل اليهم ليلاً ، ففتحوا لهم باب المدينة ، وهو الباب المعروف بباب قرطبة ، فوثبوا على الاحراس فقتلوهم ودخل المسلمون المدينة عنوة .

فتح اشبيلية

لما فتح موسى قرمونة تقدم الى اشبيلية ، وهي من اعظم قواعد الاندلس شأنًا واتقنها بنيانًا واكثرها آثارًا ، وكانت دار ملك روم رومة قبل غلبة القوطيين على الاندلس ؛ فلما غلب القوطيون عليها استوطنوا طليطلة وافرثوا بها ملكهم ، وبقي بمدينة اشبيلية علماء أهل رومة وكتّابهم ورؤسائهم . فاحتل بها موسى بن نصير وحاصرها اشهرًا ففتحها الله عليه وهرب منها علوجها الى مدينة باجة .

فتح ماردة

وتقدم موسى الى مدينة ماردة وكانت دار ملك في سالف الايام ، وكانت فيها آثار عجيبة وقنطرة وقصور وكنائس تفتن الناظرين ، وهي احدى القواعد الاربع بالاندلس التي ابتناها اکتبان قيصر : وهي قرطبة واشبيلية وماردة وطليطلة . فخرج

أهلها الى حربه نحو الميل منها ، فحاربهم حتى صرفهم الى المدينة .
فلما انجلت الحرب وكف عن القتال ، طاف موسى بالمدينة
فرأى نقباً كان لمقاطع الصخر ، فكمن فيه الرجال ليلاً ، فلما أصبح
زحف اليهم فخرجوا كخروجهم في اليوم قبله ، فخرج عليهم
الكمين وركبهم المسلمون فقتلوا ابدع قتل ولجأ منهم من نجا
الى المدينة ، فحاصروهم اشهرًا حتى عمل دبابة فدب المسلمون تحتها
الى برج من ابراجها ، فنقبوا صخرة فلما نزعوها افضوا الى صخرة
صماء نبتت المعاول عنها ويئسوا منها . فبينما هم يضربون عليها اذ
استثار العلوج عليهم فاستشهد المسلمون تحت الدبابة ، فسمي ذلك
البرج برج الشهداء ، وبه يعرف الى اليوم ، فحميت عند ذلك نفوس
العلوج وثابت اليهم انفسهم . ثم خرجت اليهم رسل وتعرضت
للصلح ، فساروا الى موسى فأرأوا رجلاً ابيض الرأس واللحية
فكلموه بما لم يوافقهم عليه ولم يرضه ، فرجعوا عنه ولم يعقدوا
شيئاً .

ثم عاودوه يوماً آخر فألقوه قد حمّر رأسه ولحيته بالحناء ،
فعجبوا منه وراعهم ما رأوه ولم يتم لهم أمرٌ .

ثم عاودوا اليه في اليوم الثالث وذلك يوم عيد الفطر ،
فألقوه قد سوّد رأسه ولحيته ، فرجعوا الى المدينة ، وقالوا
لمن فيها : ويحكم ! انما تقاتلون أنبياء يتشبهون بعد المشيب ،

١ الدبابة : آلة تتخذ للحروب ، فتدفع في اصل الحصن ، فينقبه رجال في جوفها .

قد عاد ملكهم حدثاً بعد أن كان شيخاً . فقالوا : اذهبوا
إليه واعطوه ما سألكم . فوصلوا إليه وصالحوه وانعقد أمرهم
على أن جميع أموال القتلى يوم الكمين ، وأموال الغائبين
بجليقية ، وأموال الكنائس ، ذلك كله للمسلمين . ثم فتحوا له
الباب من يومهم ذلك ، وهو مستهل شوال من سنة ٩٤
من الهجرة .

فتح اشبيلية ثانية

وذلك لما اشتغل موسى بن نصير بحصار ماردة ، ثار عجم
اشبيلية وارتدوا وقاموا على من كان فيها من المسلمين وتجالب
فلهم اليهم من مدينة لبلة وباجة ، فقتلوا من المسلمين نحو
ثمانين رجلاً . وبلغ الخبر بذلك الى موسى بن نصير ، فلما
استمّ فتح ماردة بعث ابنه عبد العزيز بجيش الى اشبيلية فافتتحها
وقتل أهلها .

فتح لبلة

لما استمّ فتح اشبيلية تقدّم عبد العزيز بن موسى بجيشه الى
لبلة فافتتحها وانصرف الى اشبيلية فدخلها أيضاً .

ذكر اجتماع الامير ابى عبد الرحمن

موسى بن نصير مع مولاه طارق بن زياد على طليطلة

اتفق الأكثرون ان التقاءهما كان على طليطلة . وذكر الطبري: انه كان على قرطبة . وذكر الرازي: ان طارقاً خرج من طليطلة لما بلغه مسيره اليه ، فلقه بمقربة من طليطلة . وكان موسى لما فرغ من أمر ماردة نهض يريد طليطلة ، فخرج اليه طارق معظماً له ومبادراً لطاعته ، فوجّه موسى وغضب عليه ، وقيل انه وضع السوط على رأسه ، وقيل انه ضربه أسواطاً كثيرة ، وحلق رأسه ، ثم سار به الى طليطلة ، وقال له : أحضر لي ما أصبت وبلمائدة . فأثاء بها ، وقد اقتلع رجلاً من أرجلها . فقال له : أين الرجل ؟ فقال له : هكذا وجدتها ؛ فأمر موسى فعمل لها رجلاً من ذهب وأدخلها في سفت .

واختلفت الروايات عن موسى لم فعل ذلك مع طارق : فمنهم من قال : انما فعله بغياً ونفاسةً عليه ، واستبدلوا على ذلك بادّعاءه خصال طارق ، واخذ المائدة عند الحليفة ؛ ومنهم من عذره وقال : انما فعل ذلك به لتقدمه دون رأيه ، وهو مولاه ، وعلى توغله بالمسلمين ، وتغريه بهم .

واتصل بهذا في كتاب الرازي : ان الوليد بعث الى موسى

رسولاً ، فأخذه بعنان دابته وأخرجه من الأندلس ومعه طارق ومغيث ، وخلف ابنه على الأندلس وأبقى معه وزيراً حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع .

ولما التقى موسى بطارق وجرى له معه ما جرى تقدّم من طليطلة الى سرقسطة فافتتحها وافتتح ما حولها من الحصون والمعقل .

وذكروا ان موسى خرج من طليطلة غازياً يفتح المدائن حتى دانت له الأندلس . وجاءه وجوه أهل جليقية يطلبون الصلح ، فصالحهم وفتح بلاد البشكنش وأوغل في بلادهم حتى أتى قوماً كالبهايم . وغزا بلاد الافرنج ، ثم مال حتى انتهى الى سرقسطة ، فأصاب فيها ما لا يعرف قدره . وبين سرقسطة وقرطبة مسيرة نحو شهر . وافتتح هنالك حصوناً كثيرة . وكان موسى تجده الأساقفة في كتبهم ولم يهزم له جمع قط . وقال يوسف بن هشام : انتهى موسى الى صنم فوجد في صدره مكتوباً : يا بني اسمعيل الى هنا منتهاكم ، وان سأتم الى ماذا ترجعون ، أخبرناكم : ترجعون الى اختلاف ذات بينكم حتى يضرب بعضكم رقاب بعض .

قال الليث : ولقد جاء رجل الى موسى بن نصير فقال له : ابعث معي ادلك على كنز. فبعث معه رجالاً فوقف بهم على موضع فقال : اكشفوا عن هذا ، فكشفوا ، فاذا ...

لما ورد موسى الشام بما معه من الغنائم ليقدمها للخليفة
الوليد بن عبد الملك، كان الوليد مريضاً فكتب اليه سليمان اخو
الوليد يأمره بالتربص رجاء ان يموت الوليد فيقدم عليه موسى
بتلك الغنائم في اول خلافته، فأبى موسى وجدّ في السير حتى
دخل دمشق والوليد حيّ، فقدم له الغنائم والتحف. وما لبث
ان مات وافضت الخلافة الى سليمان اخيه فبعث في موسى
فعنفه بلسانه وقال: والله لافلنّ غربك ولا فرقن جمعك ولا صغرنا
من قدرك! فقال موسى: اما قولك تقل من غربي وتحفض
من قدري فان ذلك بيد الله والى الله لا إليك، وبه استعين
عليك. فامر به سليمان فوقف في يوم صائف شديد الحرّ. وكان
موسى رجلاً عظيماً بادناً ذا نسمة^١، فوقف حتى سقط مغشياً عليه.
ثم نظر الى عمر بن عبد العزيز فقال له: يا أبا حفص ما اراني
الا وقد خرجت عن يميني. فقال عمر: يا امير المؤمنين. فقال سليمان:
مَنْ يضمه اليه؟ فقال يزيد بن المهلب فقال: انا يا امير المؤمنين
أضمه اليّ. قال: فضمه اليك ولا تضيق عليه. فانصرف يزيد وقدم
اليه دابةً فركبها موسى وأقام عنده أياماً حتى حسن ما بين
موسى وسليمان، واقتدي منه موسى بما لكثير، قيل ألف ألف
دينار وقيل غير ذلك.

ثم ان يزيد بن المهلب سهر ليلة عند موسى فقال له: يا أبا

١ النسمة: الربو.

عبد الرحمن في كم تعتد من مواليك واهل بيتكم ؟ فقال له موسى : في كثير . فقال يزيد : يكونون ألفاً . فقال له موسى : والفأ والفأ الى منقطع النفس . فقال له يزيد : وانت على ما وصفت والقيت بيدك الى التهلكة ، أفلا أقمت في قرار عزك وموضع سلطانك وامتنعت بما قدمت به ، فان أعطيت الرضى والا كنت على عزك وسلطانك . فقال له : والله لو اردت ذلك لما نالوا من أطرافي طرفاً ، ولكني آثرت الله ورسوله ، ولم نرَ الخروج عن الطاعة والجماعة .

وذكر ان سليمان قال لموسى : ما الذي كنت تفرع اليه عند حروبك ومباشرة عدوك ؟ قال : الدعاء والصبر عند اللقاء . قال : فأني الحيل رأيتها في تلك البلاد أسبق ؟ قال : الشقر . قال : فأني الأمم كانوا أشد قتالاً ؟ قال : هم أكثر من أن أصفهم . قال : أخبرني عن الروم . قال : أسد في حصونهم ، عقبان على خيولهم ، ونساء في مراكبهم ، ان رأوا فرصة انتهبوها ، وان رأوا غلبة فأوعال تذهب في الجبال ، لا يرون الهزيمة عاراً . قال : فأخبرني عن البربر . قال : هم أشبه العجم بالعرب لقاءً ونجدةً وصبراً وفروسية ، غير انهم أغدر الناس لا وفاء لهم ولا عهد . قال : فأخبرني عن الأندلس . قال : ملوك مترفون وفرسان لا يخيبون . قال : فأخبرني عن الافرنج . قال : هناك العدد والعدة

والجلد والشدة والبأس والنجدة . قال : فاخبرني كيف كانت الحرب بينك وبينهم أكانت لك أو عليك ؟ فقال : أما هذا فوالله ما هُزِمْتُ لي راية قط ، ولا بُدِّدَ جمعي ولا نكب المسلمون معي منذ اقتحمت الأربعين الى ان بلغت الثمانين . فضحك سليمان ، وعجب من قوله .

ثم دعا بطست من ذهب فجعل يردد بصره فيه ، فقال له موسى : انك لتعجب من غير عجب ، والله ما أحسب ان فيه عشرة آلاف دينار ، والله لقد بعثتُ الى أخيك الوليد بتنور من زبرجد أخضر ، كان يصبّ فيه اللبن ، فيخضر ، وترى فيه الشعرة البيضاء ، ولقد قُوِّمَ بمائة ألف مثقال ، وانه لَمِنْ أدنى ما بعثتُ به اليه ؛ ولقد أصبتُ كذا ، وأصبت كذا ، وجعل يعدد ما أصاب من الدر والياقوت والزبرجد حتى بهت سليمان من قوله .

وخرج سليمان يوماً يتصيد ومعه موسى بن نصير ، فمرَّ في مَنِيَّةٍ لها كدود غنم ، يكون فيها نحو الف شاة ، فالتفت الى موسى وقال له : هل لك مثل هذه ؟ فضحك موسى وقال : والله لقد رأيتُ لادنى مواليٍّ اضعاف هذه . فقال سليمان : لادنى مواليك ؟ فقال : نعم والله نعم والله ، وردّها مراراً ، وما هذه فيما افاء الله عليّ ! لقد كانت الالف شاة تباع بعشرة دراهم

١ منية : اسم لموضع كثيرة .

كل مائة بدرهم ، ولقد كان الناس يترثون بالبقر والغنم فلا يلتفتون اليها، ولقد رأيت الذود من الابل يباع بدينار، ولقد رأيت العليج البارء^١ وامراته وأولاده يباعون بمجسين درهماً .

قال : ثم حج سليمان وخرج موسى معه وكان موسى من اعلم الناس بالنجوم، فلما احتلّ بالمدينة قال لبعض اخوانه : ليموتن بعد غد رجل قد ملأ ذكره المشرق والمغرب؛ فمات هو في اليوم الثاني، وصلى عليه مسلمة بن عبد الملك . وكان مولد موسى سنة ١٩ في خلافة عمر بن الخطاب (رضه) . قيل انه من لحْم وقيل من بكر بن وائل .

وقال ابن بشكوال في كتاب الصلة له : انه موسى بن نصير بن عبد الرحمن بن زيد . وقال غيره : كان نصير ولاه معاوية بن ابي سفيان على خيله ، فلم يقاتل معه عليّاً . فقال له : ما يمنعك من الخروج معي على عليّ ويدي عليك ولم تكافني عليها ؟ فقال : لم يمكنني ان اشكرك بكفر من هو أولى بشكري . فقال : ومن هو ؟ فقال : الله عزّ وجل . قال : فاطرق معاوية مليّاً، ثم قال : أستغفرُ الله؛ ورضي عنه . وقال الليث بن سعد : لما قدم موسى بن نصير افريقية حين الفتح اخرج ابناً له يسمى عبد الله الى بعض نواحيها فاتاه بمائة الف رأس من السبي، اكثرهن وجوه كالبدور. ثم وجهه

١ البارء : اي الابيض الجسم .

ابناً له يسمى مروان الى ناحية اخرى ، فاتاه كذلك . ثم خرج
هو بنفسه فأتى بنحو ذلك . قال الليث : فبلغ الخمسة وستين
الفاً . قال : فلم يسمع بمثل سبايا موسى في الاسلام .
وفي سنة ٩٠ كان خروج موسى من الاندلس الى الشام
واستخلف ابنه عبد العزيز عليها .

ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير

واستخلف موسى على الاندلس ابنه عبد العزيز وترك معه حبيب بن ابي عبدة بن عقبة بن نافع وزيراً له ومعيناً ، واقام معهما بالاندلس من اراد سكنهاها ، فلما وصل موسى الى اشبيلية أقر فيها ولده فارتضاها قاعدة ملكه وتزوج بعد خروج ابيه أم عاصم امرأة لذريق واسمها ايلة وسكن معها باشبيلية ، فلما دخل بها قالت له : ان الملوكة اذا لم يتوجوا فلا ملك هم ، فلو عملت لك مما بقي عندي من الجوهر والذهب تاجاً . فقال لها : ليس ذلك في ديننا . فقالت له : ومن اين يعرف اهل دينك ما انت فيه في خلوتك ؟ فلم تزل به حتى فعل . فبينما هو ذات يوم جالس معها ، والتاج على رأسه ، اذ دخلت عليه امرأة كان قد تزوجها زياد بن نابغة التميمي من بنات ملوكهم ، فعاينته والتاج على رأسه فقالت لزياد : ألا أعمل لك تاجاً ؟ فقال لها : ليس في ديننا استحلال لباسه . فقالت له : ودين المسيح انه على رأس ملككم وامامكم . فاعلم بذلك زياد حبيب بن ابي عبدة ، ثم تحدث بذلك حتى علمه خييار الجند فلم يكن له هم إلا كشف ذلك حتى رأوه عياناً فقالوا : قد تنصّر ؛ ثم هجموا عليه فقتلوه . وقال الواقدي : ان التي نكح ، بعد خروج ابيه ، هي ابنة

لذريق فجاءته من الدنيا بما لا يوصف ؛ فلما دخلت عليه . قالت له : ما لي لا ارى اهل مملكتك يعظمونك ولا يسجدون لك كما كان اهل مملكة ابي يفعلون له ؟ فأمر بباب فنُقِبَ في ناحية قصره وجعله قصيراً ، فكان يأذن للناس منه ، فيدخل الداخل مُنكَّساً رأسه قبائله لقصر الباب ، وقد جعل لها مجلساً تنظر منه الى الناس اذا دخلوا عليه من حيث لا يرونها ، فلما رأتهم على ذلك ظنَّت انهم يسجدون ، فقالت لعبد العزيز : الآن قوي مُلكك . وبلغ الناس ما اراد بذلك الباب فثار به حبيب بن ابي عبدة الفهري وزياد بن عذرة البلوي وزياد بن نابغة التميمي ومن معهم من الناس فقتلوه . وقيل ايضاً : انما قتلوه لانه خلع طاعة سليمان بن عبد الملك إذ بلغه قتل اخيه وما صنع بابيه . قال الرازي : لما قفل موسى بن نصير استخلف ابنه عبد العزيز على الاندلس فضبط سلطانها وسدَّ ثغورها وافتتح مدائن كثيرة ، وكان من خير الولاة إلا أن مدَّته لم تطل لوثوب الجند عليه وقتلهم له لاشياء تقموها عليه ، وكان قتله صدر رجب من سنة ٩٧ بمدينة اشيلية بمسجد رفينية ، ولما دخل المحراب قرأ فاتحة الكتاب ثم قرأ سورة الواقعة ، فعلاه من خلفه زياد بن عذرة البلوي بالسيف فقتله وهو يقول : قد حقَّت عليك يا ابن الفاعلة . فكانت ولايته سنة واحدة وعشرة اشهر .

وذكر أن سليمان بعث إلى الجند يأمرهم بقتله عند سخطه
على أبيه ، وانهم لما قتلوه حزوا رأسه وقدم به على سليمان
حبيب بن أبي عبدة الفهري . ف قيل : انه عرض الرأس على
والده وهو في محبسه فتجلد لحر المصيبة ، وقال : هنيئاً له
الشهادة ، قتلتهم والله صواماً قواماً . قال الرازي : فكانوا
يعدون فعل سليمان هذا بموسى وابنه من كبار زلاته التي لم
تزل تنقم عليه . ومكث أهل الأندلس شهوراً لا يجمعهم وال
حتى اجتمعوا على أيوب بن حبيب اللخمي ابن اخت موسى بن
نصير .

ذكر ولاية ايوب بن حبيب

ثم اجتمع أهل الاندلس على تقديم أيوب هذا يؤمهم
لصلاتهم ، وكان رجلاً صالحاً ، وأقاموا مدة دون أمير ،
ونقلوا دار السلطان الى قرطبة ، فتقدم أيوب بن حبيب واحتل
بقصر قرطبة . وكان مغيث قد اختطفه لنفسه ، فذكر ان
موسى بن نصير حين اقلعه رسول الوليد ، رجع في قفوله على
طريق طارق ليختبر الأندلس ، فنزل قرطبة ، وقال لمغيث :
ان هذا القصر لا يصلح لك ، وانما يصلح للعامل الذي يكون
بقرطبة . فتنحى عنه يومئذٍ ، ونزله بعد ذلك أيوب بن حبيب ،
فكانت ولايته ستة أشهر .

ولاية الحر بن عبد الرحمن الثقفي

لما ولي سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد مولى ابنة
الحكم بن العاصي افريقية ، كانت الاندلس وطنجة الى صاحب
افريقية ، فوجه محمد بن يزيد الحر بن عبد الرحمن هذا عاملاً
على الاندلس في أربعمائة رجل من وجوه افريقية ، فبقي
الحر والياً عليها ثلاث سنين فقتل الحر هذا الامارة من اشبيلية
الى قرطبة . وكان قدوم الحر الاندلس سنة ٩٩ من الهجرة .

ولاية السمع بن مالك الخولاني

ثم ولي امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز (رضه) السمع بن مالك على الاندلس وأمره ان يحمل الناس على طريق الحق ولا يعبدل بهم عن منهج الرفق وان يخمس^١ ما غلب عليه من ارضها وعقارها ويكتب اليه بصفة الاندلس وانهارها . وكان رأيه نقل المسلمين منها واخراجهم عنها لانقطاعهم عن المسلمين واتصالهم باعداء الله الكفار ؛ فقبل له : ان الناس قد كثروا بها وانتشروا في اقطارها ، فأضرب عن ذلك . فقدم السمع الاندلس وامثل ما أمره به عمر (رضه) من القيام بالحق واتباع العدل والصدق ، فانفرد السمع بولايتها ، وعزلها عمر عن ولاية افريقية اعتناءً بأهلها وتهماً بشأنها . وكان المسلمون اذ فتحوا قرطبة وجدوا بها آثار قنطرة فوق نهرها على حنايا وثاق الإركان من تأسيس الامم الدائرة ، قد هدمها مدود النهر على مرّ الازمان ، فتقدم الى فضيلة النظر فيها عمر بن عبد العزيز (رضه) عندما اتصل به خبرها ؛ فأمر السمع بابتنائها ، فصنعت على اتم واعظم ما بني عليه جسر من حجارة سور المدينة .

وفي سنة ١٠١ ورد كتاب امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز

١ يخمس ، يأخذ خمس الاموال .

على السمح بن مالك بالاندلس يأمره ببناء القنطرة بصخر السور
وبناء السور باللبن ، ويأمره باخراج خمس قرطبة ؛ فخرج من
الخمس البطحا المعروفة بالربض ، فأمر الخليفة عمر ان يتخذ بها
مقبرة للمسلمين ، فتم ذلك . وقتل السمح رحمه الله بطرسونة ؛
وذلك أنه غزا الروم في سنة ١٠٢ فاستشهد رحمه الله يوم عرفة ،
فكانت ولايته سنتين وأربعة أشهر ، وقيل ثمانية أشهر ،
وقيل ثلاث سنين .

ولاية عبد الرحمن

ابن عبدالله الغافقي الأندلس

ثم قدّم أهل الأندلس على أنفسهم عبد الرحمن بن عبدالله
الغافقي هذا ، فدخلها في شهر ذي الحجة سنة ١٠٣ .

ولاية عنبسة بن سحيم الكلبى

ثم ولّى يزيد بن أبى مسلم عامل افريقية على الأندلس
عنبة بن سحيم هذا ، فدخلها في شهر صفر . فلما قتل يزيد
ابن أبى مسلم كان على افريقية محمد بن يزيد مولى الانصار ، على
ما ذكره الطبري بتقديم أهل افريقية ، وقرار يزيد بن
عبد الملك اياه .

وفي سنة ١٠٣ كان العامل على افريقية من قبل يزيد بن
عبد الملك بشر بن صفوان أخو حنظلة ، فأقر عنبة على الاندلس ،
فكانت ولاية عنبة كلها أربع سنين وثمانية أشهر ، وقيل
غير ذلك .

وفي سنة ١٠٥ خرج عنبة غازياً للروم بالاندلس ، وأهلها
يومئذٍ خيار فضلاء أهل نية في الجهاد وحسبة في الثواب ،
فألح عليها في القتال والحصار حتى صالحه أهلها . وتوفي عنبة في
شعبان سنة ١٠٧ ، فكانت ولايته كما ذكرنا .

ولاية يحيى بن سلمة الكلبي

وذلك انه لما توفي عنبسة قدّم أهل الاندلس على انفسهم رجلاً من العرب يقال له عذرة، الى ان ورد بعد شهرين يحيى ابن سلمة الكلبي والياً من عند أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك في آخر سنة ١٠٩ ؛ فكانت ولايته سنتين وستة اشهر. ومات بشر بن صفوان بافريقية، فولى هشام بن عبد الملك مكانه عبيدة بن أبي الاعور السلمي .

ولاية حذيفة بن الاحوص

ثم ولي الاندلس حذيفة بن الاحوص الاشجعي وقيل القيسي؛ ولاه عليها عبيدة بن عبد الرحمن السلمي عامل افريقية من قبل هشام بن عبد الملك في سنة ١١٠، فكانت ولايته ستة اشهر .

ولاية عثمان بن أبي نسعة

ثم ولي عبيدة بن عبد الرحمن بن أبي الأعور السلمي على
الاندلس عثمان بن أبي نسعة الحثعمي ، فقدمها في شعبان سنة
١١٠ ، وكانت ولايته خمسة اشهر وقيل ستة اشهر ، ثم عزل
وانصرف الى القيروان فمات بها .

ولاية الهيثم بن عبيد الكناني

ثم ولي الاندلس الهيثم بن عبيد الكناني في صدر سنة ١١١ ،
وكانت ولايته عشرة اشهر وقيل غير ذلك . وهو الذي غزا
منوسة واقام والياً عشرة اشهر ، كما ذكرنا ، وقيل سنة وشهرين ،
ثم توفي .

ولاية محمد بن عبد الله الاشجعي

ثم قدّم اهل الاندلس على انفسهم محمد بن عبد الله الاشجعي
فكانت ولايته شهرين ، وقيل غير ذلك .

ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي

ثم ولي الاندلس عبد الرحمن هذا ثانية ، وكان جلوسه لها
في صفر سنة ١١٢ ، فأقام والياً سنتين وسبعة أشهر ، وقيل
وثمانية أشهر ؛ واستشهد في أرض العدو في رمضان
سنة ١١٤ .

ذكر ولاية عبد الملك بن قطن

ثم ولي عبد الملك بن قطن بن نفيل بن عبد الله الفهري ،
فدخلها في شهر رمضان المذكور الذي توفي فيه عبد الرحمن
الغافقي ، فألفاه قد استشهد . وقيل دخلها في شوال من سنة
١٢٤ ، وكانت ولايته سنتين ، وقيل غير ذلك .

ولاية عقبة بن الحجاج السلولي

ثم ولي عقبة بن الحجاج السلولي في شوال، وهي سنة ١٣١، وقالوا في ولايته: كان عبيد الله بن الحجاج عامل مصر وافريقية فقدم عليه عقبة بن الحجاج، وكان مولاه، فأكرمه وبرّه، ورفع شأنه وقدره، وأنزله في مكانه، وخيّرّه في ولاية ما شاء من سلطانه. وكان الحجاج أبو عقبة قد اعتق الحجاج أبا عبيد الله، فولّى هشام بن عبد الملك عبيد الله بن الحجاج مصر وافريقية والاندلس، فكان له من العريش الى طنجة، الى السوس الاقصى، الى الاندلس، وما بين ذلك.

وكان أحد بنيه بمصر، والثاني بالسوس وطنجة، والثالث بالاندلس. وكان عبيد الله بافريقية، فلما شرف عبيد الله وعلت منزلته، وانتشر ذكره، وفد عليه مولاه عقبة، فأجلسه معه على فراشه، وأدناه من نفسه، وقربّه حتى عظمت منزلته في الناس. فكان يقصده الطالبون وذوو الحاجات يتوسلون به الى عبيد الله، فغصّ به بنو عبيد الله وقالوا لو ادهم اصرفه عنا لئلا يكسر شرفنا؛ فما زاده ذلك عنده الا تعظيماً وتكريماً، وخيّرّه في ولاية ما شاء من سلطانه فاختر الاندلس فولاه عليها؛ وكان يجاهد المشركين في كل عام ويفتح المدائن،

وهو الذي فتح مدينة اربونة واقتح جليقية وبنبلونة واسكنها المسلمين .

وعَمَّت فتوحاته جليقية كلها غير الصخرة فانه لجأ اليها ملك جليقية وكان بها في ثلاثمائة راجل ؛ فما زال المسلمون يضيقون عليهم حتى صاروا ثلاثين رجلاً وحتى فنت ازودتهم ولم يتقوتوا الا بعسل يجذونه في خروق الصخرة . واعيا المسلمين امرهم فتركوهم وأقام عقبة بالاندلس باحسن سيرة واجملها واعظم طريقة واعدها الى ان غزا ارض افرنجة فلقبته جيوش الاعداء فقتل هو ومن معه ببلاط الشهداء .

وذكر عنه انه كان صاحب بأس ونجدة ونكاية للعدو وشدة؛ وكان اذا اسر الاسير لم يقتله حتى يعرض عليه دين الاسلام ويقبح له عبادة الاصنام، فيذكر انه أسلم على يديه بهذا الفصل ١ ألف رجل ، وكانت ولايته خمسة اعوام وشهرين .

وقيل ان اهل الاندلس ثاروا على عقبة بن الحجاج وخلعوه . قال ابن القطان : وقيل ان عقبة بن الحجاج لما حانت وفاته استخلف عبد الملك بن قطن .

قال : واقام عقبة على الاندلس والياً الى سنة ١٢١ .

١ الفصل : اي القول الفصل .

ولاية عبد الملك بن قطن الفهري ثانية

وفي سنة ١٢٢ ولي عبد الملك بن قطن ثانية حتى كان من امر البربر وبلج بن بشر ابن اخي كلثوم وعياض عامل افريقية ما اذكره .

قال ابن القطان: وذلك ان هشام بن عبد الملك كان قد ندب كلثوماً لقتال البربر ، وولاه افريقية ، وبعث معه ثلاثين ألف فارس : عشرة آلاف من صلب بني أمية ، وعشرين ألفاً من العرب ، وعهد إليه في سدّ افريقية وضبطها ، اذ كانوا يجدون في الروايات ان ملكهم يزول ، وان ملك بني العباس لا يجاوز الزاب ، فتوهمته بنو أمية زاب مصر ، وانما كان زاب افريقية ، فأمر بالجدّ في أمر افريقية ليلجأوا اليها اذا ذهب ملكهم ، وعهد ، إن حدث بكلثوم حدث ، أن يكون ابن أخيه بلج مكانه . فدارت بينه وبين البربر حروب عظيمة هزموا في بعضها كلثوماً وقتلوه ، وصار أمر العرب بافريقية الى بلج بالعهد المذكور ، ولجأ فلّهم الى سبتة حتى ضاق عليهم الأمر ضيقاً عظيماً ، فكاتب بلج وأصحابه عبد الملك بن قطن صاحب الاندلس ، وسأله إدخاله وإدخال من معه من الجند ، وذكروا له ما صاروا اليه من الجهد ، وانهم قد أكلوا دوابّهم . فأبى عبد الملك إدخالهم ، ولم يأمنهم ، ومطلبهم بالميرة والسفن .

واتفق ان تطاولت البربر أيضاً بالأندلس وفاضحوا العرب ،
وظهروا على الساكنين منهم بجليقية وغيرها ، فقاتلوهم وطردهم .
فلما ورد فل العرب على عبد الملك بن قطن ، ورأى عادية
البربر ، اضطرّ ، لأجل ذلك ، الى ادخال بلج وأصحابه ، فكاتبتهم
وشرط عليهم مقام سنة بالأندلس ثم يخرجون عنها ، فرضوا
بذلك ، فأخذ منهم رهائن أنزلهم بجزيرة ام حكيم ، وهي على
الحضراء ، ثم أدخل بلجاً واصحابه عراة لا يواريهن الادواتهم وقد
بلغ بهم الجهد غاية ، وكانوا نحو عشرة آلاف من عرب الشام .
فلما دخلوا كساهم عرب الأندلس على قدر اقدارهم ، فربّ رجل
يكسو مائة رجل ، وآخر عشرة ، وآخر واحداً الى ما بين ذلك .
فلما حلثوا بالحضراء اجتمع بهم عبد الملك بن قطن ، وكان
بشدونة جمع من البربر عليهم رجل زناقي ، فبدأ عبد الملك
بمقاتلتهم في وادي الفتح من شدونة فلم يكن للعرب فيهم الا
نهضة حتى أبادوهم واصابوا امتعتهم ودوابهم ، فاكنتى اصحاب
بلج وانتعشوا واصابوا المغانم ثم نهضوا مع عبد الملك الى قرطبة
ثم ساروا بأجمعهم الى جهة طليطلة وقد اجتمع هنالك معظم
البربر فكانت هزيمتهم العظمى هنالك بوادي سليط من حوز
طليطلة بعد ان زحف عبد الملك وبلج اليهم بعرب الاندلس
حاشا عرب سرقسطة وثغورها ، وزحف البربر بأجمعهم فهزمهم
العرب وقتلوا منهم في الهزيمة آلافاً .

ذكر ولاية بلج بن بشر القشيري الاندلس

قال مَنْ له عناية بالانخبار : دخل بلج الاندلس سنة ١٢٣ في ذي القعدة منها وملكها بعد ذلك . وذلك انه لما اباد ابن قطن البربر بالاندلس ، بمن كان معه من العرب وباصحاب بلج ، قال لبلج واصحابه : اخرجوا من الاندلس على ما شئوكم عليه . فقال بلج : احملنا الى ساحل البيرة او ساحل تدمير . فقال له عبد الملك : ليست لنا مراكب الا بالجزيرة . فقالوا له : انما تريد ان تردنا الى البربر ليقتلونا في بلادهم . فلما الح عليهم في الخروج نهضوا اليه فاخرجوه من قصر قرطبة الى داره بالمدينة . ودخل بلج القصر عشية يوم الاربعاء في صدر ذي القعدة من السنة . وكان بلج ، وقت جوازه عن سبتة ، قد اعطى رهاً لابن قطن ، جعلهم ابن قطن بجزيرة ام حكيم . فضاءوا مدة الفتنة بين بلج وابن قطن والجزيرة المذكورة دون ماء ، فمات رجل من غسان عطشاً وكان من الرهائن من اشراف دمشق .

مقتل عبد الملك بن قطن الفهري

لما ملك بلج الاندلس ، واستولى عليها ، طلب منه الجند ان يعطيهم ابن قطن في الغساني المذكور ؛ فتوقف بلج ، فألحَّ الجند ، واثارت اليمن كلها على كلمة واحدة . وكان ابن قطن شيخاً هرمًا ، قد بلغ التسعين ، وكان قد حضر يوم الحرَّة ومنها فرَّ الى افريقية ، وكان يومئذٍ بداره بقرطبة ، فأخرجه الجند منها كأنه فرخ نعام من الكبر ، وهم ينادونه : افلت من سيوفنا يوم الحرَّة فطلبتنا بثأرنا في أكل الدواب والجلود ، ثم أردت إخراجنا الى القتل . ثم قتلوه وصلبوه ، وصلبوا خنزيراً عن يمينه ، وكلباً عن شماله .

ثم ان أمة وقطناً ، ابني عبد الملك بن قطن ، حشدا في جهة سرقسطة ، وكانا قد هربا من قرطبة وقت إخراج أبيهما منها ، وجاءا الى بلج طالبين بثأرهما ، وهما في نيّف على مائة ألف من العرب القدماء والحداء ، فخرج اليهما بلج ، وهو في أقلّ من خمس عددهما ، فاقتلوا قتالاً شديداً ، ثم انهزم ابنا عبد الملك ومن معهما هزيمة عظيمة ، وانصرف اصحاب بلج ظافرين ، وقد امتلأت أيديهم وأنفُسهم غنماً

ونصراً وسروراً ، إلا ان بلجياً أميرهم وقيداً من جراحة
أصابته في المعركة ومات بعد أيام . وكانت مدة امارته ١٢
شهرًا ، واختلف في ذلك .

قال أبو عمر السالمي : ان تلك المعركة انجلت عن أحد
عشر الف قتيل ، وإن عبد الرحمن بن علقمة فوقَّ سهماً الى
بلج ، فأصاب مقتله . قال هذا في كتاب درر القلائد ، وغرر
الفوائد . وقال في كتاب بهجة النفس : ان عبد الرحمن بن
علقمة المذكور قتله بالسيف ، وان ولايته ستة أشهر ، والأول
أصح .

١ الوقيد : الشديد المرض المشرف على الموت .

ولاية ثعلبة بن سلامة العاملي الاندلس

وفي سنة ١٢٤ في شوال ولي الاندلس ثعلبة بن سلامة ؛
ولاه أهل الشام . وذلك أن هشام بن عبد الملك كان قد عهد
ان يتولى أمر الجليش ، إذ جهزه من الشام ، كلثوم ، فان أُصيب
فابن أخيه بلج ، فان أُصيب فثعلبة ؛ فاقعد أصحابه ثعلبة بن
سلامة بما عهد به هشام اليه ، وبائعوه وثار من بقي من البوبر
بماردة في أيامه فغزاهم وقتل منهم خلقاً كثيراً وأسّر منهم نحو
الالف ، وانصرف الى قرطبة ، فسار بأحسن سيرة . وكانت
ولايته عشرة اشهر ، هذا مساق ابن القطان .

ومن درر القلائد : كان يبيع ذراري أهل البلد ويحملهم
اسراً ، ويوهقهم من امرهم عسراً ، فكان ثعلبة معهم على هذه
الحال ، الى ان ورد ابو الخطار .

ذكر ولاية أبي الخطار الحسام

ابن ضرار السكي الاندلس

وفي سنة ١٢٥ ركب أبو الخطار البحر من ناحية تونس في
المحرم ، وحلّ بقرطبة فالقى ثعلبة بن سلامة بالمصاراة ومعه
الأسرى والسبي من عرب قرطبة قد اشتبك في الجبال الولد
بالوالد ، فامر أبو الخطار باطلاقهم ، وحلّهم من وثاقهم ، وجمع
الناس بعد افتراقهم ، وصرفهم الى معهود اتفاقهم ؛ فدانت له
جماعتهم وفرق اهل الشام على الكور ، ونظر لسواهم ايضاً
باحسن النظر ، فانزل اهل دمشق بالبيرة ، وأهل الاردن برية ،
واهل فلسطين بشذونة ، وأهل حمص باشيلية ، وأهل قنسرين
بجيان ، وأهل مصر بباجة ، وبعضهم بتدمير ، وكان انزالهم على
أموال العجم ، من أرضٍ ونعمٍ . وداخل في ذلك الوقت
الصُمَيْل بن حاتم ، وسيأتي ذكره ، وتعصّب المضريون معه ،
وأثوا الى قرطبة حيث أبو الخطار فخرج اليهم دون عدّة ،
فهزمه القوم ، وقبضوا عليه ، وأثقلوا بالحديد رجله ، ثم انه
أفلت من كبّله ، ومدّ ما انقبض من رجله .

ومن كتاب بهجة النفس قال :

لما هزم ثعلبة البربرسي ذرايعهم ، ولم يكن قبلُ بلجٌ ولا

غيره يتعرض للذرية بسباء ، فأقبل الى قرطبة بعدد من السبي كثير ، حتى نزل طرف المصاراة ، من قرطبة ، ومعه الاسرى والسبي من عرب البلد والبربر ، وهو يبيع السبي في النداء ، ويعبث ويبطر ، فكان يبيع الشيوخ والأشراف ممن ينقص لا بمن يزيد ، وكان فيهم علي بن الحصين ، والحارث ابن أسد من أهل المدينة ، فابتدأ المنادي عليهما بعشرة دنانير ، فلم يزل ينادي من ينقص ، حتى باع أحدهما بعود ، والآخر بكلب . فبينما هو على هذه الحال من العبث والبغي ، وقد اوقف رجالهم وأبرزهم للقتل ، وذلك يوم جمعة ، اذ قدم أبو الحظار ، فألفاهم بهذه الحال ، فأمر بإطلاقهم ، فسمي عسكر العافية .

وكان أهل الأندلس طلبوا من صاحب افريقية ، حنظلة ابن صفوان ، عاملاً يجمع كلمتهم ، اذ كانت الكلمة مفترقة ، والقتل ذريع ، ولا يأمنون تغلب العدو عليهم ، فأرسل اليهم أبا الحظار هذا ، واجتمع على أبي الحظار أهل الشام وعرب البلد ، ودانت له الاندلس . ثم انه أمّن ابنّي عبد الملك بن قطن ، وأنزل أهل الشام في الكور ، وتعصّب لليمانية ، واعتزل قيساً ، فكان ذلك سبب توثّب الصميل بن حاتم عليه مع مضر بعد ان وُلّي سنتين ، وقيل تسعة اشهر ، وقيل ثلاث سنين .

ذكر الصميل بن حاتم وسبب الفتنة

قال في كتاب بهجة النفس : كان الصميل بن حاتم هذا جدّه
شمر قاتل الحسين (رضه) وهو من اهل الكوفة ، فلما قتله
تمكّن منه المختار بن أبي عبيد فقتله ، وهدم داره ، فارتحل مع
ولده من الكوفة وصاروا بالجزيرة ثم صاروا في جند قنسرين
فرأس الصميل بالاندلس وفاق بالنجدة والسخاء ، فاعتمّ أبو الخطار
به ، فدخل عليه يوماً وعنده الجند ، فاحبّ كسرّه فامرّ عليه
فشتمّ ولكرّ ، فخرج عنه مغضباً ، واتى داره ، ثم بعث الى
خيار قومه فشكا اليهم ما لقي ، فقالوا : نحن تبعك لك . فقال :
والله ما أحبّ ان اعرضكم للقضائية ولا لليمانية ، ولكني ساتلطف
وادعّر ألفة مرج راهط ، وادعو لحماً وجذاماً ، ونُقَدِّمُ رجلاً
يكون له الاسمُ ولنا الحظُّ . فكتبوا الى ثوبة بن سلامة الجذامي
من اهل فلسطين ثم وفدوا عليه فاجابهم وأجابته حُمٌّ وجذام .
فبلغ ذلك أبا الخطار فقزاهم فلقية ثوبة فهزمه ثوبة واسره .
وسار ثوبة حتى دخل قصر قرطبة وأبو الخطار معه في قيوده ،
ثم انه أفلت كما ذكرنا .

ثم ولي ثوبة سنتين ، ولما ولي ثوبة سنة ١٢٨ ، استجاش
أبو الخطار اليمانية ، ودعاهم للنصرة على المضّرية ، فاجتمع له

اذ ذاك حفل وعسكر ضخّم واقبل الى قرطبة ، فخرج ثوابه
ابن سلامة الى لقاءه ، فافترق الناس عن ابي الخطار ، ونفروا
عن تلقائه . وتوفي اثر ذلك ثوابه في السنة المذكورة ، وكانت
ولايته كما ذكرنا . فلما توفي ثوابه عادت الحرب الى ما
كانت عليه ، فأرادت اليمن ان تعيد أبا الخطار ، فأبّت ذلك
مضر مع الصميل ، وتشاكس الفريقان ، وأقامت الأندلس
أربعة أشهر من غير والٍ ، إلاّ انهم قدّموا عبد الرحمن بن
كثير اللخمي للنظر في الأحكام . وصار أمر الشام وملوكه
متغيّر الحال ، فقتل يزيد الوليد ، وصارت اليه أحوال بني
مروان .

ولاية يوسف بن عبد الرحمن

الفهري الاندلس

لما تفاقم الامر وكثر الاختلاف بين اهل الاندلس تراضوا واتفقوا على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري وعلى ان يدعوا ليحيى بن حريث كورة رية فتركت له طعمة .

وقد كانت قضاة اجتمعت قبل ذلك وقدموا على انفسهم عبد الرحمن بن نعيم الكلبي، فجمع مائتي راجل واربعين فارساً فبيئت القصر بقرطبة وقاتل الاحراس وهجم على السجن واخرج ابا الخطار وهرب به الى البلد، فاقام في كلب وقبائل من حمص فاكتنفوه ومنعوه ، ولم يحدث شيئاً حتى اجتمع الناس على يوسف . فلما استقام له الامر غدر يحيى بن حريث وعزله عن كورة رية ، فغضب ابن حريث وكاتب ابا الخطار حيناً . فقال ابو الخطار : انا الامير المخلوع فانا أقوم بالامر . وقال ابن حريث : بل انا اقوم به ، لان قومي اكثر من قومك . فلما رأت جذام ما يدعو اليه ابن حريث قدّموه واجابوه ، فاصفقت يمن الاندلس وحميرها وكندتها على تقديمه والطوع له ، وانحازت مضر وربيعه الى يوسف بقرطبة حاضرة الملك ، وأقبلا حتى نزلا شقندة . وكان الصميل مع يوسف الفهري ، وهو الذي

سأله الناس ان ينظر لهم في والٍ يلي عليهم لشغل امير
 المؤمنين مروان بن محمد بالمشرق عنهم وبعده عنهم ، فاختار
 لهم يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن
 نافع الفهري ، وكان يومئذ بالبيرة ، فرضيه الناس كما ذكرنا .
 ووقع اختلاف بعد ذلك في امره بين مضر واليمن ، فانضوت
 اليمن الى ابي الحطار من جميع البلاد والأقطار ، وزحف
 بهم الى يوسف الفهري بقرطبة فكره يوسف الفتنة وخاف
 البغضاء والشحناء . فنزل الصميل بن حاتم بالمجالات وشكّ
 السلاح والآلات ؛ واقبل ابو الحطار بمن معه ونزل موضعه ،
 فالتقت بشقنذة الفتتان ، وتصادمت الفرقتان ، فما تسمع الاّ
 صهيلًا وصليلاً ، ولا ترى الاّ قتيلًا ، حتى تكسرت الحطّيبات ،
 وتقللت المشرفيات ، والتفت الساق بالساق ، وانضمت الأعناق
 الى الأعناق ، فلم يعهد حرب مثلها في المسلمين ، بعد حرب
 الجمل وصفين ، الى ان انهزمت اليمانية مع ابي الحطار بعد
 حين ، وهرب ابو الحطار ، وركب الفرار ، واستتر في رحي
 للصميل هنالك ، فظفر به وقتل اذ ذلك ، فرأس الصميل بن
 حاتم في الناس ، وشهر بالنجدة والبأس ، وصرف يوسف الفهري
 اليه الأمور ، واوقف عليه الرئاسة والتدبير ، فكان ليوسف
 الاسم ، وللصميل الرسم .

ولما أخذ ابو الخطار وأرادوا قتله قال : ليس عليّ فوتٌ ولكن دونكم ابن السوداء ، يريد ابن حريث ، فدلّ عليه وقتلاً جميعاً . وكان ابن حريث يقول : لو ان دماء اهل الشام سقوني لشربتها ، لشربتها في قدح . فلما استخرج من تحت الرحاء ليقتل قال له ابو الخطار : يا ابن السوداء ، هل بقي في قدحك شيء لم تشربه ؟ ثم قُتل وأُتي بالاسرى فقعدهم الصميل وضرب أعناقهم جميعاً ، ثم أتبع الله الاندلس بعد ذلك بالوباء والموت في السنة الثانية حتى كاد الخلق ان ينقرض منها . وولي يوسف عن عامة الجند من مضر وعين والشام فصفت له الاندلس بعد يوم شقنة وخلصت له القلوب والانفس ، وعاد الصميل بن حاتم قائده الاعلى ، وقدحه المعلى ، يقرب منه ما شاء ، ويدفع عنه ما شاء ، إلى ان تمكن بالدولة وتملك ارقاب تلك الجملة فشرّق به يوسف وقلق ، وخشي من جانبه ، فرأى ان يبعده من مكانه ، ويوليّه بعض سلطانه ، فولاه سرقسطة وبلادها سنة ١٣٢ فكان فيها إلى ان قام عليه فيها الحُباب بن رواحة من بني زهرة بن كلاب ، فحاصره مدة من سبعة اشهر وقعد يوسف عن اغاثته ، واعتذر بشدة الاندلس في ذلك الوقت ومجاعته ، رغبة في تلافه وهلاكه ، وحرصاً

على الراحة منه لاستحواذه واستملاكه ، الى ان اجتمع قومه
بالبيرة وجيَّان وصاروا الى نصرته وتفريج كربته .

وقيل ان الذي قام على يوسف بسرقة تميم بن معبد
الزهري وعامر العبدى ، فغزا يوسف اليها في سنة ١٣٨ فكان
عليها الى ان دخل عبد الرحمن الداخل الى الاندلس .

وفي سنة ١٣٠ كانت وقعة شقندة ، واجتمع على يوسف
وكان يوم ولايته ابن ٧٥ سنة وملك تسع سنين . وكان قبل
ولايته معتزلاً في بادية من اهل الديانة والاظهار للخير .

وفي سنة ١٣١ احملت الاندلس وعمّ المحل وتماذى الى سنة
١٣٦ وتماذى ذلك سنة محل وسنة غيث واتصل المحل الشديد سنة
١٣١ او ١٣٢ ثم سقى الناس سنة ١٣٣ وعادت الى بعض الصلاح .
وفي سنة ١٣٣ ثار اهل جليقية ، وترددت الغارات عليها .
ثم استحكم الجوع والقحط في سنة ١٣٤ و ١٣٥ وبعض سنة ١٣٦ ،
فخرج اكثر الناس الى طنجة وزويلة وريف البحر في العدو ،
وكانت اجازتهم من وادي شذونة ، وهو المعروف بوادي
برباط وبه سميت السنة .

تسمية من ثار على يوسف

ابن عبد الرحمن الفهري بالاندلس

منهم عبد الرحمن بن علقمة اللخمي، ثار عليه بأربونة فحاربه ولم يمكث في حربه الاّ يسيراً حتى امكن الله منه .

وثار عليه عروة بباجة فوجه اليه يوسف من هزمه وقتل اصحابه .

وثار عليه تميم بن معبد سنة ١٣٦ . وفي سنة ١٣٧ اجتمع تميم بن معبد وعامر بن عمرو بن وهب بسرقسطة فتولى محاربتهم الصميل بن حاتم .

وفي سنة ١٣٨ خرج يوسف بنفسه الى تميم بن معبد وعامر ابن عمرو بسرقسطة فحاصرهما ثم ظفر بهما وقتلها . وفي هذه السنة انقضت ايام يوسف بن عبد الرحمن الفهري .

جامع اخبار بني امية بالمشرق

وذلك ان جميع خلفائهم ، من لدن معاوية الى آخرهم ، اربعة عشر رجلاً . وكانت مدة دولتهم ، منذ خلع الأمر الى معاوية الى ان قُتِل مروان بن محمد ، ٩١ سنة و ٩ اشهر و ٥ أيام، منها أيام ابن الزبير ٩ سنين و ٢٢ يوماً . ثم تفرقت بنو امية في البلاد هرباً بأنفسهم ، وهرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الى الاندلس فبايعه اهلها وتجددت لهم بها دولة استمرت الى بعد الاربع والعشرين والاربعمائة ، والناس يعتقدون ان دولتهم كانت انقطعت من حين قتل مروان الى ان جددها عبد الرحمن الداخل سنة ١٣٦ او نحوها . وقيل : انها كانت متصلة لم تنقطع من زمن عثمان (رضه) الى زمان المعتد بالله بقرطبة آخر خلفائهم سنة ٤٢٤

وهذا القول ينبي على ما قاله بعضهم ان عهد عبد الرحمن بن حبيب صاحب افريقية من قبل بني امية وصل الى يوسف بن عبد الرحمن المتغلب على الاندلس الذي دخل عبد الرحمن بن معاوية وهو اميرها ، فتأمل هذا فانه إن صح فانه نكتة وفائدة عجيبة .

قال أبو محمد بن حزم : وانقطعت دولة بني مروان بالمشرق

بمروان بن محمد ، وكانت على علاقتها دولة عربية ، لم يتخذ ملوكها قاعدة لأنفسهم ، انما كان سكانهم ، كل أمير منهم ، في داره وضيعته التي كانت له قبل الخلافة ، ولا اكتروا احتيجان الأموال ، ولا بناء القصور ، ولا طلبوا مخاطبة الناس لهم بالتمويل والعبودية ، ولا تقبيل أرض ، ولا يد ، ولا رجل ، انما كان غرضهم الطاعة الصحيحة من التولية ، والعزل في أقاصي البلاد ؛ فكانوا يعزلون العمال ، ويولون الآخر في السند والهند ، وفي خراسان ، وفي ارمينية ، وفي اليمن ، وفي المغرب الأدنى ، والأقصى ، وبلاد السوس ، وبلاد الأندلس . وبعثوا لها الجيوش ، وولّوا عليها من رضوا من العمال ، وملكوا أكثر الدنيا ، فلم يملك احد من ملوك الدنيا ما ملكوه من الأرض ، الى ان تغلب عليهم بنو العباس بالمشرق ، وانقطع ملكهم .

فسار عبد الرحمن بن معاوية الى الأندلس وملكها هو وبنوه ، وقامت بها دولة بني أمية نحو الثلاثمائة سنة ، فلم يك في دول الدنيا أنبل منها ، ولا أكثر نصراً على اهل الشرك ، واجمعها لحلال الخير ، وبهدها انهدمت الاندلس الى الآن وذهب بها الدنيا بذهابها .

قال ابو محمد : وانتقل الامر الى بني العباس بالمشرق ،

فكانت دولتهم اعجمية سقطت فيها دواوين العرب وغلب عجم
خراسان على الأمر ، وعاد الأمر ملكاً عضواً كسروياً
الا أنهم لم يعلنوا بسب احد من الصحابة (رضهم) بخلاف
ما كان عليه بنو أمية من استعمال ذلك في جانب علي
(رضه) . وكفاهم ذلك قبجاً وباطلاً حاشا عمر بن عبد العزيز
(رضه) ويزيد بن الوليد فلم يستجيزا ذلك .

وافترقت في دولة بني العباس كلمة المسلمين فتغلّبت في
البلاد طوائف من الخوارج وشيعة ومعتزلة من ولد ادريس
وسليمان ابني عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي
طالب (رضهم) . ومنهم من بني أمية تغلبوا على الاندلس
وكثير من غيرهم . وفي خلال هذه الامور من اختلاف الكلمة
تغلّبت الكفار على نصف الاندلس وعلى نحو نصف السند . فاما
ما لم يملكه العباسيون فهو ما وراء الزاب من بلاد المغرب
وتلمسان وانظارها ، فوليا محمد بن سليمان الحسني ، وفاس
وانظارها ، كان فيها شيعة ، ثم آل ملكها الى ادريس . واما
تامسنا ففيها اولاد صالح بن طريف على ضلالتهم . واما
سجلماسة فنزلها رئيس الصفرية .

هذه هي البلاد المتفق عليها ، واما المختلف فيها فافريقية ،
قيل : انه كان فيها عبد الرحمن بن حبيب ثائراً ، وفي الاندلس
يوسف بن عبد الرحمن الفهري .

ذكر دخول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام

الى الاندلس وهروبه من الشام

قال الرواة : وفي سنة ١٣٦ ابتداء عبد الرحمن بن معاوية بمدخلة مواليه من الأموية بالاندلس ، وفي هذه السنة تفرّق ولد معاوية وولد هشام . وكان من فيه بقية من ولد مروان وامية ، فخرج عبد الرحمن بن معاوية متخفياً من موضع الى موضع وهمّة الاندلس ، لما كان في نفسه من امرها ، ومن الأثر المروي عنه فيها ، فوصل الى مصر ثم سار منها الى برقة ، فبقي فيها مستتراً مدّة ، ثم رحل عنها ، فأوغل في المغرب .

قال بدر مولاة : فأدر كتّه في الطريق ، وجّهتني اليه امّ الاصبع اخته شقيقته بدينارين وشيء من جوهر يستعين بها على النفقة والوصول . فوصل الى افريقية ، وصاحبها عبد الرحمن ابن حبيب ، ومعه يهودي قد خدم مسلمة بن عبد الملك ، وسمعه يحدثه بنجر القرشي الذي يكون من بني امية ، يتغلب على الاندلس ، اسمه عبد الرحمن ذو صفرتين ، فنظر الى عبد الرحمن ، فوجده بصفرتين ، فقال لليهودي : ويحك ! هذا هو المذكور ، وانا قاتله . فقال له اليهودي : ان يك ذلك لم تقتله .

ثم صار ابن حبيب يقتل الواصلين اليه من بني أمية ،
ويأخذ أموالهم ، فهرب عبد الرحمن عن القيروان ، ونجا يريد
الاندلس ويشغل نفسه بها ، لما كان عنده من الرواية في علم
الحدثان من قبيل مسلمة بن عبد الملك اخي جدّه وغيره . فسار حتى
أتى بلاداً من قبائل العرب ، فناله عندهم تضيق ، وأخبار يطول
ذكرها . ثم هرب من عندهم حتى أتى نفزة ، وهم أخواله ، فان
امه كانت من سيّهم .

قال بدر : فجزتُ الى الاندلس ، واجتمعتُ بعبيد الله بن
عثمان بساحل البيرة في آخر سنة ١٣٦ ، ثم انصرفت في سنة ١٣٧
بعدها ، واقمتُ عنده مدة ثم كررتُ منصرفاً الى الاندلس في
موالي عبد الرحمن .

حدثتُ عبد الرحمن قال : دخلت الاندلس وانا اضبط جليّة
مسلمة بن عبد الملك ، فانه أتى جدّي هشاماً يوماً ، فوجدني
عنده صبيّاً ، فامر جدي بتنحيّتي عنه ، فقال له مسلمة : دَعُهُ يا
أمير المؤمنين فانه صاحب بني أمية ومحبي دولتهم بعد زوالها ؛
فلم ازل اعرف لي مزيّة من جدي بعد .

قال الرازي : وفي سنة ١٣٧ ثار الحَبّاح بن رَواحة
بجهة سرقسطة ، وتضافر معه على ذلك عامر بن عمرو العبديّ
من بني عبد الدار بن قُصيّ ، وكان قد هرب من قرطبة خوفاً

من يوسف ، وكان عامر هذا احد رجال مضر ، وقد فشا بالاندلس نجدة وشرفاً وعلماً وادباً ، وكان يلي المغازي بالصوائف من قبَل يوسف . وكان سلطان الفهري يومئذ قد ضعف لاجل المحل المتوالي بالاندلس ، وكان الصميل قد لزم الثغر في تلك الاعوام لانه كان اشبع من غيره في الحُصْب ، فلما خاف عامر هذا على نفسه من الفهري والصميل خرج فاراً بنفسه وقصد الجحباب بن رواحة ، واستجاشا فاجابهما رجال من اليمانية ، وناس من البربر ، فحُصِر الصميل بسرْقِطة حصاراً شديداً ، حتى يئس من الحياة ، وهم بالالقاء بيده ، وكتب الى يوسف يسأله الامداد ، فلم يجد في الناس منهُضاً ، فلما ابطأ عليه مدد يوسف واشتد الحصار ، كتب الى قومه من جند قنسرين ودمشق يعظم عليهم الخطب ، ويناشدهم الرحم ، فقام له بذلك عبيد بن علي الكلابي ، واكثر كلاب وهو ازن وغطفان والازد ، تُقَدِّم رجلاً وتؤخّر اخرى في ذلك ، ولم يكن لهم رأس يجمعهم .

فلما نهض عبيد بن علي ومضي داعياً في الجندين الى نصر الصميل ، تحرّكت جماعة كلاب ومُحَارِبِ إِلاَّ كعب بن عامر وعُقَيْل وقُشَيْر والجُرْش ، فانهم كانوا مُنافِسينَ لبني كلاب ، لأن الرئاسة يومئذ بالاندلس كانت فيهم ، وكان بلج

قشيريّاً ؛ فعَمَّهم الصميل ، ولم يجتمع من هذه القبائل إلا نحو
 أربعمئة فارس ، فاستقلُّوا أنفسهم ، ثم صَمَّموا ، وخَفَّ
 معهم يومئذ قوم من بني أميَّة في نحو ثلاثين فارساً ، وخرج
 معهم أبو عثمان عبيد الله بن عثمان مولاهم ، وخرج أيضاً معهم
 عبد الله بن خالد بن أبان بن أسلم مولى عثمان بن عفان (رضه) .
 وكان عبد الله وعبيد الله يتوليان حَمَلَ لواء بني أميَّة بالأندلس
 بعد ، ويتعاقبان في ذلك ، وكان لهما ولبني أميَّة في هذا
 المجتمع يومئذ بلاء معروف ، مشهور ، وإنما أرادوا ان يقدموا
 بذلك يداً عند الصميل ، لما كانوا بنيا عليه من اطلاعه على امر
 عبد الرحمن بن معاوية ، وكانا واثقين بالصميل ، وانه إن لم
 يُجِبْهُما كَتَمَ عليهما .

و كذلك فعل ، فانه كَتَمَ عليهما كَتَمًا عجيباً ، فكان هذا
 بما دعاهم الى امداد الصميل ، واستنقاذه لاعتداد اليد عليه ؛
 فخرجوا ورأسوا على أنفسهم ابن شهاب استئلافاً له ، ومشى
 الجميع . فلما بلغوا وادي طليطلة بلغهم ان الحصار اشتدَّ وأضرَّ
 بالصميل ، وانه على الهلكة ، فقدَّموا رسولاً من قبيلهم ، وقالوا
 له : ادخل في جملة المحاربين للسور ، فاذا قربت منه ارم
 بهذه الأحجار ، وفي كل واحد منها بيتان وهما :

ألا ابشرُ بالسلامة يا جدارُ

أتاك الغوثُ ، وانقطع الحصارُ

أَتَتِكَ بَنَاتُ أَعْوَجَ مَلِجَمَاتٍ ،
عَلَيْهَا الْأَكْرَمُونَ ، وَهَمَّ نَزَارُ

ففعل الرسول ذلك ، فلما وقعت الحجارة أُنِي بها الصميل
أو ببعضها ، فقرئت عليه وكان أُمِّيًّا ، فلما سمع ما فيها قال :
ابشروا يا قوم ، فقد جاءكم الغوث وربّ الكعبة .

ومضى القوم يستحثون كلَّ مَنْ استجاب لهم ومعهم
الامويون ، وفي جملتهم بدر رسول ابن معاوية ، وكان عبد
الرحمن قد بعث اليهم خاتمه ليكتبوا به عنه الى كل من
رجوا نصره ، فكتبوا عنه للصميل يذكرون له ايادي أُمية
عنده ويعده ويمّثيه . فلما سمع العبدري والعذري بالمدد الواصل
اليه ، ارتفعوا عنه ، وانكشف وجه الصميل ، فخرج وتلقّى
القوم ووصلهم على اقدارهم وكساهم وقفل معهم بماله وحشيه .
فلما زال الصميل عن سرقسطة دخلها الجحباب وملكها ، ثم
اطلعه الامويون على قصة ابن معاوية ، وعرضوا عليه بدرًا
رسوله فاحسن اليه وقال لهم : ارى في امره . وأقبلَ قافلًا
حتى دخل قرطبة وانصرف الامويون الى منازلهم ، وبدر معهم ،
وقد كان الصميل اتفق مع الامويين على نصره ابن معاوية ،
وان يزوجه من ابنته . ثم رجع في قوله ، وقال : تأملتُ
الامر ، فوجدته صعب المرام ، فبارك الله لكما في رأيكما ،

ومولايكم ، فان احب غير السلطان فله عندي ان يؤاسيه
يوسف ويزوجه ويجبوه ؛ انطلقا راشدين . فانقطع رجاؤهم
يومئذ من ربيعة ومضر ، ورجعوا الى اليمن .

قال بدر : فلم نمر بيحيى الا دعوانه فوجدنا قوماً قد وغرت
صدورهم ، يتمشون سبيلاً لطلب ثأرهم ، ثم رجعنا الى جندنا
فابتعنا مركباً ووجهنا فيه احد عشر رجلاً مع بدر .

قال : ومضى يوسف حتى أتى طليطلة ، وامضى بعثين الى
جليقية ، والبشكنش ، واراد القفول الى قرطبة ، فلم يبعد حتى
ادركه الرسول بهزيمة الجيش وقتل عامته ، فبينما هو ينظر في
ذلك ، إذ اتاه رجل من عند ولده من قرطبة يعلمه ان فتي من
قريش من ولد هشام بن عبد الملك نزل بساحل المنكب
فاجتمع اليه موالي القوم والاموية ، فانتشر الخبر في العسكر ،
وشمت به الناس لما فعل بالقرشيين . فانفض الناس من
العسكر ، وتنادوا بمشاعرهم ، وتقدموا الى كورهم ، فأصبح
يوسف وليس في عسكره غير قيس والصميل . فقال للصميل :
ما الرأي ؟ قال : بادره الساعة ، قبل ان يستفحل أمره .
فساروا الى قرطبة ، فكلما رجوا ان يجتمع لهم بمن يخرجون
لاستئصال شوكة ابن معاوية ، لم يتجه لهم عمل .

وفي سنة ١٣٨ دخل عبد الرحمن بن معاوية الأندلس ، في

غرة ربيع الاول ، وهو أبو الملوك ، وكان خروجه من المركب
بموضع يعرف بالمنكب ، ثم نزل بقرية طرش من كورة البيرة .
فأقبل اليه جماعة من الأمويين ، وقد أُعِدَّ للأمير ما يصلحه
من المركب ، والمنزل ، والملبس ، فغلظ أمر ابن معاوية ،
واقبل الناس من كل مكان اليه ، فكتب يوسف الفهري الى
جماعة الأمويين يحذّره ويخوّفهم . فقالوا له : انما أقبل ابن
معاوية اليك ، والى جماعة مواليه ، يريد المال ليس فيما يظنُّ
الأمير أصلحه الله ، ولا فيما رُفِعَ اليه ، واعتذروا له
بما أمكنهم .

واقبل وجوه الناس الى ابن معاوية ، وقالوا له : خفنا
مكر الصميل ، ولم نأمن غائلته ، فعرفنا الفهري بكذا وكذا .
وكان ابن معاوية يبيت في الجبال . ومضى يوسف بن بخت
الى جند الاردن ، فأخذ بيعة جميعهم ، ومضى عبدالله بن
خالد الى جند حمص ، ومضى تمام بن علقمة الى أهل
فلسطين ، واقبل الناس من كل مكان .

فلما ضاقت الأحوال بالفهري ، ولم يأت من الأجناد إلا
اليسير ، أدار له الصميل الرأي ، وأمره بالمكر بابن معاوية ،
والمخادعة له ، ورجا ذلك منه لحداثة سنه ، وقال له : هو
قريب عهد بزوال نعمة ، فهو يفتنم ما تدعوه اليه ، ثم أنت

بعد ذلك متحكماً فيه وفي الذين سعوا له . فأجمع رأيهم على تأنيسه بأن يزوجه ابنته ويسكنه في اي الجندين يحب ، دمشق او الاردن ، او يسكن بينهما ويصير اليه امر الكورتين ، ويبعث اليه بكسوتين ومطيتين وخمس مائة دينار ، ووجه اليه كاتبه خالد بن يزيد ، وقال له : اعرف أمره ، وأي جنس عنده ، وتأمل اخباره واخبار من معه . فخرج في الليل مع أصحابه واصبحوا على ابن معاوية بالمال والكسوة والمطيتين . ووجه أيضاً الى بدر فرساً ومائة دينار وكسوة ، فقبل ابن معاوية الهدية وكره التزويج ، فتكلم خالد بكلام غليظ لابن معاوية إذ أبى التزويج ، فأمر به وضمَّ الى وثاق ورُدَّ غيره الى يوسف ؛ ولم يرد عليه جواباً ، وكان يوسف قد كتب الى ابن معاوية كتاباً ، وهذه بعض فصول منه :

اما بعد ، فقد انتهى الينا نزولك بساحل المنكب وتأبَّش^١ من تأبَّش اليك ونزع نحوك من السراق وأهل الحتر والغدر ونقض الايمان الموكدة التي كذَّبوا الله فيها ، وكذَّبونا ، وبه ، جلَّ وعلا ، نستعين عليهم ، ولقد كانوا معنا في ذرى كنف ورفاهية عيش ، حتى غمضوا ذلك واستبدلوا بالأمن خوفاً وجنحوا الى النقض ، والله من ورائهم محيط ، فان كنت تريد المال وسعة الجناب فأنا اولى بك ممن لجأت اليه ، اكنفك وأصل

١ التأبش : التجمع .

رحمك وأنزلك معي ان اردت ، أو بحيث تريد . ثم لك عهد الله وذمته بي ألاّ أغدرك ، ولا أمكن منك ابن عمي صاحب افريقية ولا غيره - في كلام كثير .

قال ابن عيسى : فحدثني تمام بن علقمة ان عبد الرحمن لما أتاه كتاب الفهري بما فيه وبترويجه ابنته ، أشار عليه كل من أتاه من العرب والامويين ألاّ يقبل ذلك منه الا أن يعتزل له عن الملك ويبايعه والاّ حاكمه الى الله ، وقالوا له : انما يكر بك ولا يفي لك بشيء لان وزيره ومالك امره الصميل ، وهو غير مأمون . قال : فلما انكشف أمرنا عنده بما أظهرنا من الاباية ، وبتجسس كاتبه خالد بن يزيد ، رأينا ان نشهر أمرنا ، فخرجنا الى جدار ابن عمرو ، والأجند الأمرذن ، واجتمعنا اليه ، فأتيناه في ثلاثمائة فارس من جماعة الأمويين ، ومن أقبل اليه من وجوه العرب ، ثم كاتبنا أهل قنسرين وفلسطين . فلما أقبلت الينا رسلهم بما أردنا نهضنا اليهم ، وكنا قد وطّنا على الموت ، وعزمنا على أن نُقتل دونه . وعقدنا له لواءً ، وأقمنا معه ستة أشهر نهرم له أموره ، ونكاتب له الناس ، وكنا خرجنا اليه في زيّ حسن عند خروجنا إليه بساحل البحر ، ثم انتقل من البيرة الى كورة رية ، الى شذونة ، الى مورور ، الى كورة اشبيلية ، والناس يتلقونه بالبشر والترحيب ، ويعطونه من الانقياد والطاعة أوفى نصيب .

قال تمام : فدخلنا رية في ست مئة فارس ، وخرجنا منها في
ألقي فارس ، وخرجنا من اشبيلية الى قرطبة في ثلاثة آلاف فارس ،
فلما اجتمعت لنا الجموع ، وبلغنا ما يريد الفهري من الخروج
الينا ، كتب الأمير عبد الرحمن الكتاب وعباً الأجناد ،
وخرج اليه ، ودعا برجل من الأنصار فعقد لواءه ، وارتحل
في جنوده حتى احتل بقرية ، على نهر قرطبة ، يوم الاثنين
لست خلون من ذي الحجة . وخرج الفهري الى المصاراة ،
وأقاما ثلاثة أيام متناظرين ، والنهر حاجز بينهما بجمله ، ثم
أصبح النهر يوم الخميس وقد حسر ماؤه ، فعباً الأمير
عبد الرحمن كتابه ، وتهيأ للحرب ، فقدم على قبائل العرب
أحداً من قواده ، وعلى البهر كذلك ، وهو ابراهيم بن شجرة ،
وترجّل حماة بني أمية فحفّوا بالأمير والأمير على فرسه
متكباً قوسه ، فجاوز واقترب من المصاراة ، فتجاوز العسكران
وتقارب المضطربان ، وأقاما بقية يومهما في سكون وهدوء
والرسل تختلف من قبيل يوسف يرجون عقد الصلح .

فلما أصبح يوم الجمعة التقى الجمعان واستحرت الحرب
والقتال ، فمشى العلاء بن جابر العقيلي الى الصميل فقال له :
يا أبا جوشن ، اتق الله ، فوالله ما أشبه هذا اليوم الا بيوم
المرج ، وان عاره لباقي علينا الى اليوم ، فان الامور يهتدى لها

بالاقران والامثال : أموي وفهري وقيس واليمن ، وهذا يوم
عيد ، ويوم جمعة ، ويوم المرج أيضاً يوم جمعة ، والأمر والله
علينا ، لا شك في ذلك ، فاتَّقِ الله واغتنم بنا الأمر لنكون
فيه اعزاء لا أتباعاً .

وكان العلاء هذا من وجوه قيس . ثم انهزم الفهري وأصحابه ،
واستقبل القصر فاعترض له عبد الاعلى بن عوسجة ، وحال بينه
وبين دخوله وردّه عنه ، فولى منهزماً الى سفح جبل قرطبة ،
واستولى الامير عبد الرحمن يومه ذلك على الملك ، وتمت له
بيعة العامة بقرطبة ، وتنادى يوسف الفهري في الفرار الى البيرة .

خلافة عيد الرحمن بن معاوية

ابن هشام بن عبد الملك

نسبه : عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن
عروان بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية .
كنيته : أبو المطرّف .

امه : بربوية من سبي المغرب ، تسمى راحا أو رداحا ، وفي
عبد شمس بن عبد مناف ، يلتقي نسبه بنسب رسول الله
(صلعم) .

مولده : بموضع يعرف بدير حسينة من دمشق سنة ١١٣ . مات
أبوه وتركه صغير السن .

توفي يوم الثلاثاء لست بقين من ربيع الآخر وقيل لعشر
خلون من جمادى الاولى سنة ١٧٢ ودفن بقصر قرطبة ، وقد
بلغ ٥٩ سنة وقيل ستين . فكانت مدة خلافته ٣٣ سنة و ٤
أشهر ونصفاً .

ودخل الأندلس وهو ابن ٢٥ سنة أو نحوها .

بويع له بقرطبة يوم الاضحى من سنة ١٣٨ .

وزراؤه أربعة : عبيد الله بن عثمان ، وعبد الله بن خالد ،
ويوسف بن 'بخت ، وحسان بن مالك .

حجابه خمسة : تمام بن علقمة ، ويوسف بن بخت ،
وعبد الكريم بن مهران ، وعبد الحميد بن مغيث ،
ومنصور فتاه .

قضائه خمسة : يحيى بن يزيد التُّجِيبِي ، ومعاوية بن صالح ،
وعبد الرحمن بن طريف ، وعمر بن شراحيل ، والصعب بن
عمران ؛ وكان له قاضٍ خامس في طوائفه يسمى جدار بن
مسلمة بن عمرو المذحجي .

نقش خاتمه : عبد الرحمن بقضاء الله راضٍ .

صفته : طويل القد ، أصهب ، أعور ، خفيف العارضين ؛
بوجه خال ، له ضفيران ، وكان يسمى صقر بني أمية .

ولده : الذكور ١١ والاناث ٩ .

وفي سنة ١٣٩ خرج الأمير عبد الرحمن طالباً للفهري
والصميل ، فلما اتصل بالفهري قصده اليه لاذ عنه وزال عن
غرناطة ، فاقتفى الأمير عبد الرحمن أثره ، حتى اذا أوفى عليه
عاد الى غرناطة متحصناً بها ؛ ونزل الأمير عبد الرحمن عليه
وحاصره . فلما تمادى به الحصار سأل الفهري الأمان ، وأن
يعطي ابنه رهناً ، فأعطاه الأمير الأمان وقبل منه ذلك ،
وكذلك الصميل ، وانصرف في جملة الى قرطبة ، على ان
يسكن الفهري منزله بالمدينة ، والصميل داره بالريض ؛

واستوسق الأمر للأمير عبد الرحمن ، وأمر بلعن المسوودة^١ ،
وقطع الدعاء لأبي جعفر المنصور .

ودخل يوسف الفهري في عسكر الأمير كأحد رجاله ، فأنزله
على ماله ، وأطلق له عياله .

وفي هذه السنة ولد هشام بن عبد الرحمن الملقب بالرضى ،
وذلك لأربع خلون من شوال .

وفي سنة ١٤٠ تودّع الأمير عبد الرحمن بقرطبة ، فلم تكن
له فيها حركة ، ودخل رجال من المشرق ومن بني أمية في هذه
السنة ، فأنزلهم الأمير ، وأكرمهم ، وأحسن جوائزهم .

وفي سنة ١٤١ هرب الفهري من قرطبة ناكثاً ناقضاً للآمان
بعد توكيدها ، فاجتمع اليه الناس وبلغ جمعه عشرين ألفاً من
البربر وغيرهم ، فلما رأى كثرة ما اجتمع له تحرك من ماردة يريد
الامير عبد الرحمن ؛ فلما بلغ الامير خبره بوز من القصر وتقدّم
الى المدور ، وكان عبد الملك بن عمر المرواني عاملاً باشبيلية وابنه
بكورة مورور ، فحشدا من كان قبيلتهما من أهل الكورتين
وتوافى الحشدان فبرز به . واتّصل بالفهري خروج الامير الى
المدور ، وتوافى الحشود على عبد الملك فتوقّع الفهري التشتت
بين العسكرين فصرف رامياته الى عبد الملك ، فالتقيا ووقعت
بينهما حرب شديدة ، فانهزم يوسف ، وتفرّق أصحابه عنه ،

١ المسودة : اي العباسيون .

وأتبعوا بالقتل . واتَّصل الفتح بعبد الرحمن وهو بالمدور منتظراً
لتوافي الحشود ، فاعناده عاجل الفتح ، وفرَّ الفهري بنفسه محتفياً .

وفي سنة ١٤٢ كان هلاك يوسف الفهري ومقتله بناحية
طليطلة ؛ وكان قد نهض اليها وتردّد بناحيتهما شهوراً ، فاعتاله
بعض أصحابه وقتله واحتزَّ رأسه وتقدّم به الى الامير
عبد الرحمن ، فشكر الله على موته ، وامر بنصب رأسه على
جسر قرطبة ، وأمر بقتل ابنه المرتين ، ونصب رأسه مع رأس
أبيه . وتوفي الصميل في الحبس ، وقيل انه نُخق . وقيل ان
الذي قتل الفهري عبد الله بن عمرو الانصاري ، لقيه على اميال
من طليطلة بقرية من قراها ، فلما عرفه قال لمن معه : هذا
الفهري ، وفي قتله الراحة له ومنه ، فتقدّم اليه فقتله ، واحتزَّ
رأسه وتقدّم به الى الامير . فلما قرب من قرطبة ، وأعلم
الامير بخبره ، أمر أن يتوقف به دون القنطرة ، وامر بقتل
ابنه المرتين ، وأخرج رأسه الى رأس أبيه ووضعها في قناتين
وتقدم بهما الى باب القصر .

واختلف في أمر يوسف الفهري ، فقال بعضهم : انه لم ينكث
بغياً ، وانما خوفاً ، فخرج هارباً ، فأخرج الأمير الخيل في طلبه
فأدركته بفحص البلوط ، ثم أفلت ، وحشد ولده البربر
بالمشرق كله ، وأقبل في جمع عظيم يريد قرطبة ، فخرج اليه

الأمير ، فالتقوا بمخاضة الفتح ، فكان القتال بينهم حتى كاد
الأمير عبد الرحمن ان ينهزم ، وقيل انهزم نحو الميل ، فثبت
ابنه سليمان في آخر الناس ، وتراجع الأمير حتى انهزم يوسف
ومضى في طلبه الى قلعة رباح .

وقال بعضهم : ان يوسف لما هرب الى طليطلة قبض
الأمير عبد الرحمن على أبي الاسود ابنه ، فسجنه . وقام على
يوسف موال له ، فقتلوه وأتوا به الى الأمير عبد الرحمن ،
فقال لهم : عرفتم من هو ؟ قالوا : نعم ، هو يوسف الفهري .
قال : انتم لم تحفظوا مولاكم ، فكيف تحفظونني وتنتظمون
في طاعتي ! فأمر بضرب أعناقهم ، وأمر بأبي الاسود الى السجن .
وكان السجن يومئذ يخرج الناس منه الى النهر ، لما يكون
من الحاجة مع الموكلين بهم ، فادعى ولد الفهري العمى ، وفشا له
ذلك ، فكان يقول : من يقود الأعمى ، يرحمه الله ؟ وكان
يختلف اليه مولى ، اسمه مفرج ، يقضي حوائجه ، ويلقاه على
النهر تحت القنطرة ؛ فلما اطمئن اليه ، ولم يُستَنَكَّرْ خروجه ،
وشاع عليه العمى ، قال لمفرج مولاه : ابتع لي فرساً أنجب
عليه . ففعل . وأعدّه له فهرب عليه ، ولحق بطليطلة ؛ فغزاه
الأمير عبد الرحمن ، ولقيه مراراً ، فكان آخر هزيمته اياه
بقسطلونة . ومضى الى ركانة ، ولم يزل بها حتى مات . فقام

القاسم بن يوسف أخو أبي الأسود فأعقبه على زوجته ، وتولّى ما كان أبو الاسود يتولاه ، فخرج اليه الأمير فأجابه على ان يردّ اليه أمواله ، ويتوثق منه بالعهود . ففعل الأمير ذلك وانصرف معه الى قرطبة .

وثار على الأمير عبد الرحمن ، عبد الغافر اليماني باشيلية ، وتغلّب على ما جاور قرطبة ، فخرج اليه الامير ، فخالفه عبد الغافر ونهض يريد قرطبة رجاء أن يجدها خالية ، والامام عبد الرحمن في الثغر يسدّ حلله ، ويحسم علله ، فقدم مسرعاً حين وافاه الخبر ، ولم يلو على ما تعذّر ، ومحلّة عبد الغافر على وادي قيس قد ملأت السهل والوعر ، فداخل الامام عبد الرحمن البربر ، وكانوا العدد الوافر الاكبر ، فنزع الاكثر منهم اليه ، وصاروا في حزبه ولديّه ، ووقعت الهزيمة على عبد الغافر وأخذ من معه في الفرار والنفار ، فلم يرفع الامام عنهم سيفاً ، وقتل منهم ثلاثين ألفاً . وكانت هزيمة هي مدّ الدهر مذكورة ، والحفرة التي جمعت رؤوسهم بذلك المكان مشهورة .

ومن كتاب بهجة النفس قال : لما كان في الليل تسرع عبد الغافر الى ناحية ثقت ، واسرع الامير القتل في جملته ، ولم يذكر عدداً .

وثار على الامير عبد الرحمن حياة بن ملاس ، وتغلّب

على اشبيلية وأسجة وأكثر الغرب ، وحشد جموعاً ، فخرج
اليه الامير وقاتله اياماً حتى همّ الامير بالهزيمة ، ثم ان حياة
انهزم ومضى الى ناحية فريش وكاتبَ راغباً في العفو .

وفي سنة ١٤٦ ثار العلاء بن مغيث الجذامي بباجة ، ودعا
الى طاعة أبي جعفر المنصور ، فاتبعه الاجناد ، وتطلّعه العباد ،
الى ان كادت دولة الامير ان تنصرم ، وخلفته ان تنخرم ،
فخرج اليه من قرطبة ، وصار بقرمونة ، فتحصّن بها مع مواليه
وثقات رجاله ، فنازله العلاء بن مغيث منازلة شديدة ، وحاصره
بها اياماً عديدة ، فلما طال الحصار هنالك ، وتحلّخل عسكر
العلاء لذلك ، وعلم عبد الرحمن ما همّ عليه من الانزعاج ، وانهم
قد همّوا بالالجام والاسراج ، امر بنار فأوقدت ، ثم امر
باغمة سيوف أصحابه فأحرقت ، وقال لهم : اخرجوا معي
لهذه الجموع ، خروج من لا يحدث نفسه بالرجوع ؛ وكانوا نحو
سبعمائة من ذكور الرجال ، ومشاهير الأبطال ، فأخذوا معه
سيوفهم بأيديهم ، وخرجوا مفحصين الى اعايدهم ، فدارت الحرب
بينهم طويلاً ، الى ان صنع الله جيلاً وزلزل قوم العلاء واصحابه ،
فولّوا منهزمين ، وصار أمرهم آيةً للعالمين ، وقُتل العلاء فيمن
قتل من اولئك الاقوام ، وطيف برأسه في ذلك المقام .

وقيل : ان أبا جعفر المنصور كان أرسل العلاء بن مغيث

بولاية الاندلس ، فشر الاعلام السود ، وقام بالدعوة العباسية بالاندلس ، فانحشر اليه الناس . ولما ظفر به الامام على ما تقدم أخذ رأسه وفرّغ ، وحشي ملجأ وصبراً ، وجعل معه لواء أبي جعفر المنصور ، وأدخل في سَفَط ، وبعثه مع رجال ، وأمرهم أن يضعوا السَفَط بِمَكَّة ، فوافقوا المنصور بها حاجاً في تلك السنة ، فجعل السَفَط عند باب سرادقه ، فلما نظر الى ما فيه قال : انّا لله ! عرضنا بهذا المسكين للقتل ، الحمد لله الذي جعل البحر بيننا وبين هذا الشيطان ! يعني عبد الرحمن . هذا مساق السالمي في درر القلائد .

ومن بهجة النفس قال : وكانت ثورة العلاء بموضع يقال له لقتت من عمل باجة ، فأظهر سِجْلَ المنصور ولواءه ، وجمع الى نفسه مَنْ أجابه ، ونهض الى باجة فأخذها وتغلّب منها على جميع الغرب ، وخرج يريد الامير عبد الرحمن ، فسار حتى انتهى الى المدور . وكان الأمير يومئذ قد خرج غازياً الى شرق الاندلس ، فرجع اذ بلغه امر العلاء ، فلما دنا من قرطبة أمر من كان معه من أهل اسبيلية ان يقرّوا في المدور ، اذ كان قد اتّهمهم لميل اسبيلية الى العلاء ، ثم نهض وكتب سِراً الى بدر مولاه يأمره بقتالهم ، كان الظفر له او عليه . ومضى العلاء فالتقى معه ، فكانت بينهما حروب وزحوف ، ثم قتل العلاء بمقربة

من قرمونة وفُضِّت جموعه ، وقتل من اصحابه نحو ستة آلاف ،
وامر الامير بجزّ رأس العلاء ورؤوس اشراف أصحابه ، وقرّطت
فيها صكوك باسمائهم ، وجعلت في اوعية ، وندب الامير بها قوماً
توجّهوا بها الى القيروان ، فطرحوها في الليل في الاسواق ، فتسمع
الناس امرها ؛ واتّصل الامر بأبي جعفر ، فانكسرت حدّته .
وقيل ان الذي هزم العلاء بدرّ مولى عبد الرحمن بن معاوية ،
والله اعلم .

وفي سنة ١٤٧ وجّه الامير عبد الرحمن بدرّاً مولاه
وتام بن علقمة في جيش كثيف الى طليطلة وبها هشام بن عروة ،
حتى سَمِمَ اهل طليطلة الحصار ؛ فكاتبوا بدرّاً وتاماً وسألوهما
الامان على ان يسلموا لهما ابن عروة وهشام بن حمزة بن
عبيد الله بن عمر بن الخطاب وحياة بن الوليد وكانوا يداً
واحدة ، فاسلموهم اليهما ، وخرج بهم تمام الى قرطبة ، فلقيه عاصم
ابن مسلم فقبض منه الاسرى ، وعهد اليه عن الامير ان يكرّ
الى طليطلة والياً عليها ، ويقبل بدر الى قرطبة . واقبل عاصم
بالاسرى ، فلما احتلّ بقرية حلزة خرج اليه ابن الطفيل ومعه
حجّام وجبّاب صوف وسلال ، فحلق رؤوسهم وحلّاهم ،
والبسهم جباب الصوف ، وادخلهم في السلال ، وحملهم على
الحمر ، فأتى بهم على تلك الحال الى خُشْب قد أعدّت لهم ،
فصلبوا فيها ، وكتب الى البلدان بفتح طليطلة .

وفي سنة ١٤٩ ثار سعيد اليحصي المعروف بالمطري بكورة
لبلة واجتمعت اليانية اليه ولاذوا بحَقْوِيَّه . ثم سار الى اشبيلية
وتغلب عليها قسراً ، ولم يجد أهلها في مدافعته نصراً ، فكثرت
عدده ، وتأزَّرَ عضده ، وعاد عسكره مهولاً ، قد أخذ وعراً
وسهولاً . فسار اليه الامير عبدالرحمن في جيوش عظيمة المدد
مجهولة العدد ، حتى نزل عليه بقلعة رجواق ؛ وكان المطري قد
تحصَّن بها ، ولاذ بجانبها ، فحصره فيها حصراً ، وأرهقه من
أمره عسراً ، حتى خرج متعرِّضاً للحرب في جماعة من فرسانه
الأكابر ، ومن اختصَّه من أولئك البرابر ، فلم تنشب الحرب
بينهم الا قليلاً ، وقتل المطري ومن معه تقيلاً ، وجيء برأسه
الى الأمير عبدالرحمن ، فرفع في الوقت في طرف سنان .

وفيها قتل الأمير عبدالرحمن أبا الصيَّاح بن يحيى اليحصي ،
وكان قد ولاه اشبيلية ، ثم عزله عنها ، فجمع اليه أهل الخلاف
وثار عليه ، فوجه اليه الأمير مولاه تماماً ملاطفاً له ، فقدم معه
قرطبة في اربع مائة رجل على غير عهد ، فأوصله تمام اليه
فعاتبه ، فأغلظ له أبو الصيَّاح في الجواب ، فأمر بقتله ، ثم
أمر بإخراج رأسه والهتف عليه .

وفي سنة ١٥٠ هاجت فتنة البربر بشنت بوية . وفيها غزا
بدر الى الثغر ، وتقدَّم الى ألبَّة ، فحاربها فاذعنَّتْ له وادت

اليه الجزية ، وأمر بامتحان الرجال بتلك الناحية ، واختبار
بصائرهم ، فاستقدم منهم من اطلع له على سوء سريرة
وشبهة في الشعر .

وفي سنة ١٥٢ ثار رجل من البربر ادّعى انه من
ولد الحسن بن علي (رضه) وكان اصله من مكناسة العدو،
وكانت أمه تسمى فاطمة ، فادّعى انه فاطمي ، فخرج اليه
الامير من قرطبة ، وخلف بها ابنه هشاماً ، فتقحّم الجبال
أمامه بمن كان معه ، وانصرف الأمير الى قرطبة ، فأقبل
الفاطمي وقتل عامل شنتبرية ، وغلظ أمره ، فكان الامير
يرسل الى قتاله بعض الفياق ، فتعلّق بالجبال الشواحق .

وفي سنة ١٥٣ خرج الامير عبد الرحمن لغزو الداعي
الفاطمي ، فهرب وركب الوعر ، فانصرف الامير ، فرجع
الفاطمي ، فغزاه بدر بالصائفة فوجده بجهة سبيران ، فاتبعه
رجاء ان يدركه ، فدخل المفاوز وانقطع اثره ؛ ومضى هذا
الفاطمي الى مدلين ، وكان عامله ابو زعل الصدفوري ، فمادت
قتلته من سنة ١٥٠ الى سنة ١٦٠ الى ان اغتاله بعض أصحابه
فقتله وعقره هناك وخذله .

وفي سنة ١٥٤ تهدّن الامام عبد الرحمن بقرطبة ولم
تكن له بها حركة .

وفي سنة ١٥٥ خرج الامام عبد الرحمن من قرطبة
فجلب بشنت برية ، وقدم عليه هلال من ابناء الميديوني فكتب له
عهداً على قومه وأقره على موضعه ، وكان رأس البربر في شرق
الاندلس ، وقلده امر الفاطمي المتقدم الذكر ، فكان في ذلك
الراحة منه وتفرقت بفعله ذلك كلمة البربر وانحلّت عقدة
الفاطمي وانصرف من شنت برية الى الجوف .

وفي سنة ١٥٦ ثار على الامير عبد الرحمن عبد الغافر
اليحصي وخلع طاعته ، وكان الامير بناحية الشرق فكتب
اليه بدر من قرطبة ، فطوى المراحل اليه ، ثم تقدّم الى اشبيلية
فوضع السيف فيه وفي اصحابه ، فقتلوا قتلاً ذريعاً وأفلت
عبد الغافر فركب البحر ونجا الى المشرق .

وفي سنة ١٥٧ خرج الامير عبد الرحمن الى ناحية الغرب
واحتلّ باشبيلية وقتل بها خلقاً كثيراً ممن كان بسبيل عبد الغافر
وقطع آثارهم ووطد الطاعة ، ثم انصرف معجلاً لأنه انما قصد
امتحان أهل اشبيلية وتمحيصهم ، وقيل كان ذلك سنة ١٥٨ .

وفي سنة ١٥٩ غزا الامام عبد الرحمن قورية وقصد في
طريقه البربر الذين في طريقه بأبي زعل ، ومكنوه من الفاطمي
فقتله ، فدوّن بلد البربر وقتل منهم خلقاً كثيراً وأذلّهم .

وفي سنة ١٦٠ أخرجت الصائفة الى الفاطمي وكان في
احواز شنت برية ، فعورض بالخليل وقطعت عاديته .

وفي سنة ١٦١ ، وقيل سنة ١٦٢ ، دخل الى الاندلس
عبد الرحمن بن حبيب الفهري المعروف بالصقلي ، فنزل كورة
تدمير فاستقر بها ، ولم تبد له في تلك السنة عادية ؛ وانما لقب
بالصقلي لأنه كان طويلاً ، أشقر ، أزرق ، أمعر .

وفيها حمل نهر قرطبة حملاً عظيماً حتى سدّ حنايا القنطرة ،
وهدم بعضها وزلزلها ، وبقي كذلك يومئذ .

وفي سنة ١٦٣ ثار عبد الرحمن بن حبيب الفهري ، المتقدم
الذكر ، في السنة قبل هذه ، في ناحية تدمير ، فغزاه الأمير
عبد الرحمن ، فهرب ابن حبيب وتعلّق بالوعر ، فجال العسكر
في كورة تدمير ، وتقدّم الى كورة بلنسية بعد ان احرق
المراكب بساحل البحر ؛ ثم ان مشكار البربري قتّك بابن
حبيب الصقلي وقتله .

وفيها ثار ابن شجرة بمورور ، فخرج اليه بدر يوم الاضحى
فألفاه على غرة فقتله ، وكتب الى الامام بالفتح ، وقيل :
بل كان ذلك في سنة ١٦٢ .

وفي سنة ١٦٤ غزا الامام عبد الرحمن الرماحس بن
عبد الرحمن ، وكان على شرط مروان بن محمد ، فلحق بالاندلس
فولاه الامام الجزيرة ، فخلع طاعته ، فخرج اليه واحتلّ
بالجزيرة فوجد الرماحس في الحمام ، فلم يشعر إلا وخيل

الامام تجوس الديار ، فأعجل الرماحس عن لبس ثيابه وخرج في ملحفة مصبغة فدخل في قارب ونجا الى العدو . ووجد الامير عبد الرحمن في سجنه جماعة من الامويين فاطلقهم .

وفي سنة ١٦٥ ثار على الامير عبد الرحمن الحسين بن يحيى ابن سعيد بن عبادة الانصاري بسرقسطة ، فسار اليه بالجماهير والعسكر الشهير ، فحاصره بسرقسطة حصاراً ، وقدم لقتاله أحزاباً وأنصاراً ، الى ان خرج طائفاً اليه متوامياً عليه ، فقبل انابته ولم يحرم اجابته . فلما عفا عنه ، وأغضى عما كان منه ، أبقاه بسرقسطة والياً ، وقفل الامير الى قرطبة سامي اللواء قاهر الاعداء . ثم ان الحسين خثر الذمة وكفر النعمة ، واعلن بالنفاق اعلاناً وأرسل في الشقاق عناناً ، فسار اليه الامام أيضاً ونازله نزالاً واذاق سرقسطة نكالا ، الى ان فتحها بنقب سورها فتحاً شديداً وقتل الحسين وأصحابه قتلاً ذريعاً ، وولى عليهم علي بن حمزة ، وقفل الى قرطبة ظاهر العزة .

ومن كتاب بهجة النفس قال : وفي سنة ١٦٧ غزا الامام سرقسطة الى حسين بن يحيى فحاصره حتى اخذ المدينة عنوة ، وقتل حسيناً بالدمغة وجماعة معه ، وأخرج اهل المدينة عنها الى قرية على ثلاثة أميال ليمين لزمه فيهم ، ثم صرفهم اليها بعد ايام وقفل الى قرطبة .

وفي سنة ١٦٨ اراد المغيرة بن الوليد بن معاوية القيام على الامام ، وكان وطنه يومئذ بالرصافة ، فانكشف له يومئذ امره من قبل بعض من تعاقده معه ، فاحضرهم بين يديه واقروا فامر بقتلهم واستبقى الفاضح لهم . وتحول الامام عبد الرحمن يومئذ من الرصافة الى قصر قرطبة .

وفي سنة ١٦٩ ثار على الامير عبد الرحمن محمد بن يوسف الفهري ، وكان قد تحرك من طليطلة وجهة الشرق بالحشود ، وبلغ الامام خبره فأمر بجشد الكور والتقى معه في مخاضة الفتح ، فكان بينهم زحف وقتال أيام ، ثم انهزم المذكور ، ويقال له الاعمى ، فقتل رجاله وافنى عدده . وكانت هذه الواقعة يوم الاربعاء مستهل ربيع الاول من السنة .

قال الرازي : قتل فيها اربعة آلاف رجل سوى من تردى في الوادي وهلك في المهاوي ، وهرب محمد بن يوسف هذا الى قورية .

وفي سنة ١٧٠ خرج الامير عبد الرحمن الى محمد بن يوسف الفهري حتى بلغ قورية ففر أمامه ، وأدركت الخيل عياله واصحاباً له فقتل من ادرك واحرقت دوره ، وانقطع محمد ابن يوسف وحده وانحاش الى غياض ، ووقع ببربر نفزة فاذلتهم واذهب عاديته . ثم مات محمد بن يوسف وقام

بأمره عبد الرحمن بن يوسف أخو يوسف الفهري وخلع
الطاعة ، فلما تحرك أمره وجهه اليه الأمير عبد الرحمن الجيوش
فأذعن له بالطاعة .

وفي سنة ١٧٠ المتقدمة أمر الأمير عبد الرحمن بتأسيس
المسجد الجامع بجزيرة قرطبة ، وكانت كنيسة ، فأنفق فيه مئة
الف بالوازنة .

وفي سنة ١٧٢ مات الامام عبد الرحمن بن معاوية رحمه
الله وذلك يوم الثلاثاء لست بقين من ربيع الآخر من السنة
المذكورة .

ذكر بعض اخباره على الجملة

كان الامام عبد الرحمن فصيحاً بليغاً حسن التوقيع
جيد الفصول مطبوع الشعر ؛ ومما أملاه على كاتبه الى سليمان
ابن الاعرابي : أما بعد فدعني من معاريف المعاذير والتعسف
عن جادة الطريق ، لتَمدنَّ يداً الى الطاعة والاعتصام بحبل
الجماعة ، أو لألقينَّ بنانها على رَضْف المعصية نكالا بما قدَّمت
يداك ؛ وما الله بظلام للعبيد .

وكتب عنه امية بن زيد كتاباً الى بعض عماله يستقصيه
فيما فرط من عمله ، فاكثر وأطال الكتابة ، فلما لحظه

عبد الرحمن بن معاوية أمر بقطعه وكتب بخط يده : أما بعد ، فإن يكن التقصير لك مقدماً ، فعند الاكتفاء يكون لك مؤخراً ، وقد علمت بما قدمت فاعتمد على أيهما أحببت .

وثار عليه ثائر فغزاه وظفر به ؛ فبينما هو في الطريق إذ نظر الى الثائر ، وهو على بغل في كبوله وتحت الأمير عبد الرحمن فرس ، فلما لحقه قشع رأسه بالقناة وقال : يا بغل ماذا تحمل من الشقاق والنفاق ! فقال الثائر : يا فرس ماذا تحمل من العفو والاشفاق ! فقال : والله لا 'دقت' موتاً على يدي ، فاطلقه .

ومن شعره البديع الرائق ما كتب به الى بعض من طراً عليه من قريش ، وكان قد استقل خزائنه واستطال بقرابته وسأله الزيادة له والتوسعة عليه ؛ فكتب اليه بهذه الابيات :

سَيِّانٍ مَنْ قَامَ ذَا امْتِعَاضٍ ،
بِمَنْتَضَى الشَّفَرَتَيْنِ نَصْلَا

فَجَابَ قَفْرًا وَشَقَّ بَحْرًا ،
مَسَامَتًا لِحِجَّةٍ وَمَحَلَا

فَسَدَّ مَلَكًا وَشَادَ عَزًّا ،
وَنَاثَرًا لِلْخَطَابِ فَصَلَا

وجنّد الجنّد ، حين اودى ،

ومصّر المصر ، حين اخلى

ثم دعا اهله جميعاً ،

حيث انتأوا : أن هلمّ أهلاً

فجاء هذا طريد جوع ،

شريد سيف ابيد قتلاً

فنال امناً ، ونال شعباً ،

ونال مالاً ، وحاز أهلاً

وذُكِرَ أن أبا جعفر المنصور قال يوماً لبعض جلسائه :
أخبروني مَنْ صَقَرُ قريشٍ من الملوك ؟ قالوا : ذاك أمير
المؤمنين الذي راض الملوك وسكن الزلازل وأباد الاعداء
وحسم الادواء . قال : ما قلتم شيئاً . قالوا : فمعاوية . قال :
لا . قالوا : فعبد الملك بن مروان . قال : ما قلتم شيئاً .
قالوا : يا أمير المؤمنين فمن هو ؟ قال : صقر قريش عبد الرحمن
ابن معاوية الذي عبر البحر وقطع القفر ودخل بلداً اعجيباً
منفرداً بنفسه فمصر الامصار ، وجند الاجناد ، ودوّن
الدواوين ، واقام ملكاً عظيماً بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة
شكيمته .

ان معاوية نهض بمركب حمله عليه عمر وعثمان وذلك لا
له صعبه ؛ وعبد الملك ببيعة ابرم عقدها ؛ وأمير المؤمنين بطلب عترته
 واجتماع شيعته ؛ وعبد الرحمن منفرد بنفسه مؤيد برأيه مستصحب
 لهزمه ، وطد الخلافة بالاندلس ، وافتتح الثغور وقتل المارقين
 واذل الجبابرة الثائرين . فقال الجميع : صدقت والله يا أمير
 المؤمنين !

وكان الامام عبد الرحمن من اهل العلم وعلى سيرة جميلة
 من العدل ، ومن قوله :

ايها الراكب الميمم ارضي !

اقصر من بعضي السلام لبعضي

إن جسمي كما تراه بارض ،

وفؤادي ومالكه بارض

قدّر البين بيننا فافترقنا ،

وطوى البين عن جفوني غمضي

قد قضى الله بالبعاد علينا ،

فعسى باقترابنا سوف يقضي

وله من الشعر كثير مشهور .

وذكر الرازي : أن الامام عبد الرحمن اول نزوله بمنية

الرصافة واتخاذها لها نظر فيها الى نخلة فهاجت شجته وتذكر
وطنه فقال بديهة :

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة
تناءت بارض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في التغرُّب والنوى
وطول التناي عن بني وعن اهلي

نشأت بارض انت فيها غريبة
فمهلك في الاقصاء والمنتأى مثلي

سقاك غواذي المزن من صوبها الذي
يسحُ ويستمرى السماكين بالوبل

وكان رحمه الله قد عقد العهد لابنيه هشام وسليمان ، فولي
بعده هشام على ما اذكره .

خلافة هشام الرضي بن عبد الرحمن الداخل

كنيته : ابو الوليد .

مولده : سنة ١٣٩

امه : تسمى جمال .

نقش خاتمه : بالله يشق عبده هشام وبه يعتصم .

صاحب شرطته : عبد الغافر بن أبي عبدة .

وزراؤه : ثمانية .

كتّابه اثنان : فطيس بن عيسى وخطاب بن زيد .

قاضيه : المصعب بن عمران .

صفته : ابيض مشرب بحمرة ، بعينه حول .

حاجبه : عبد الرحمن بن مغيث .

بنوه : الذكور ستة ، والبنات خمس .

ببيع يوم الأحد مستهل جمادى الاولى من السنة . وكان

بعد موت ابيه بمدينة ماردة ، فوافاه الخبر فطرق ووصل

قرطبة بعد ستة ايام ، فبايعه الخاصة والعامة . وكان اخوه

بطليلة ، فلما اتصل به خبر أبيه حشد الحشود وجئت الاجناد

يريد قرطبة مخالفاً لأخيه . فلما حصل بيجان خرج اليه هشام

في اجناده ، والتقى معه بجهة بلج فوقعت بينهم حرب شديدة

فانهزم سليمان ، واسلم عسكره ، وفرَّ على وجهه . وقفل هشام الى قرطبة ظافراً في أجناده .

وتوفي هشام ليلة الخميس لثلاث خلون من صفر سنة ١٨٠ فكان عمره أربعين سنة وأربعة أشهر وأربعة أيام . فكانت مدة دولته وخلافته سبع سنين وتسعة أشهر وثمانية أيام .

وقيل ان عبد الرحمن بن معاوية رحمه الله لما حضرته الوفاة ، وابنه هشام بماردة وابنه الآخر سليمان بطليطة ، كان ابنه عبد الملك المعروف بالبلنسي عنده فقال له : من سبق اليك من اخويك فارم اليه بالخاتم والأمر ؛ فان سبق اليك هشام فله فضل دينه وعفافه واجتماع الكلمة عليه ؛ وإن سبق اليك سليمان فله فضل سنّه ونجدته وحب الشاميين له .

فقدم هشام من ماردة قبل سليمان فنزل بالرصافة ، وخاف من عبد الملك أخيه اذ صار متمكناً من قرطبة والقصر والأموال ان يدافعه ، فخرج اليه أخوه عبد الملك وسلم عليه بالخلافة ودفع اليه الخاتم كما اوصاه أبوه ، وادخله القصر .

قال الرازي : ولما صار الأمر الى هشام واتصل ذلك بسليمان أخيه أخذ بيعة أهل طليطلة وما جاورها لنفسه وغلب عليها ؛ وشغله أمر أخيه هشام ، فثار أبو سعيد بن الحسين الانصاري بساغنت من اقليم طرطوشة ، واقبل الى سرقسطة

فأخرج منها واليها وضرب بين الناس ، ودعا الى نفسه والى
الفتنة فارسلها مضرية ويمانية . وحشد موسى بن فرتون الى
سرقسطة فاخذها ، وكان على دعوة المضرية ، فالتقى مع اليمينيين
وكانت بينهم حرب فقتل منهم جماعة ، ودخل سرقسطة . ثم قدم
مطروح بن سليمان الاعرابي على دعوة ابيه من برشلونة فتغلب
على وشقة وسرقسطة والشعر كله .

وفي سنة ١٧٣ طمحت نفس عبد الله البلنسي اخي هشام الى
الامارة ، وقد كانت في يده اولاً ولم يرض منه إلا بمشاركته
وذلك بعد سبعة اشهر من وفاة والدهما . وكان هشام يبره
ويتراضه ويفضله على الكثير من اخوته ، فلم يقنعه ذلك ، وخرج
يريد اخاه سليمان بطليطلة ، فلما بلغ الامر الى هشام اشفق من
ذلك واخرج اليه من يرضيه ويرده فلم يدرك ، ومضى حتى قدم
طليطلة .

وفي هذه السنة خرج هشام الى اخيه سليمان بطليطلة ،
فلما نزل عليه خرج سليمان مستخفياً وخلف اخاه عبد الله وابنه
داخل المدينة ونهض يريد انتهاز الفرصة فطوى المراحل حتى
احتل بشقندة ، فخرج أهل قرطبة مدافعين له . وبلغ هشاماً
خبره فلم يكثر لذلك ، ووجه ابنه عبد الملك يقفوا اثره ، فلما
قرب منه ولى سليمان منهزماً وقطع إلى غير وجهة حتى خرج

متعسفاً الى ناحية ماردة ، وكان عاملها جدير المعروف بالمذبح ؛
فخرج اليه فهزمه . وتماذى الأمير هشام في حصار طليطلة شهرين
واياماً ، ثم قفل عنها .

وفي سنة ١٧٤ انصرف عبد الله البلنسي الى أخيه هشام
بلا عهد ولا أمان ، فأنزله الامام هشام عند ابنه الحكم .

وفيه أغزى الحكم ابنه معاوية الى تدمير ، وقائدها شهيد
ابن عيسى وقام بن علقمة ، فدوخوا تدمير ، وهي مرسية ،
وبلغوا البحر . وكان سليمان ، يعني أخا هشام ، قد حصل في
بعض ثغور تدمير ، فطلب سليمان الامان فاشتروط عليه الامير
هشام الخروج عن الاندلس ويعطيه ستين الف دينار ، فركب
سليمان البحر بأهله وولده واحتلّ ببلاد البوبر ، فكفاه الله
امر اخوته .

وفي سنة ١٧٥ اغزى هشام بن عبد الرحمن عبيد الله الى
سرقسطة ، وبها يومئذ مطروح المذكور ، فحاصرها عبيد الله ثم
احتلّ بمدينة طرطوشة ، والحّ عليها بالمحاصرة ، حتى ضاق
ذرع اهل سرقسطة وضجّوا من تماذي الحصار ، فخرج مطروح
في بعض الأيام متصيّداً ، ومعه عمرو بن يوسف وابن صلتان ،
فلما ارسل بازيه على طائر ونزل على الصيد تعاورا بسيفيهما
حتى قتلاه واحتزّ رأسه وتقدّما به الى ابن عثمان ، وهو

بطرطوشة ، فتحرك الى سرقسطة فلم يتمتع عليه احد من اهلها ،
ودخل المدينة فنزلها وبعث برأس مطروح الى الامير هشام .

وفي سنة ١٧٦ اغزى الامام هشام أبا عثمان عبيد الله بن
عثمان الى ألبّة والقلاع ، فلقي بها اعداء الله بمجموعهم متوافين
فهمهم الله على يديه ، وقتلوا في السهل والوعر ، وانتهى ما
حيز من رؤوسهم الى تسعة آلاف رأس ونيف . وفي هذه
السنة غزا يوسف بن بخت الى جليقية فالتقى برمود الكبير
وواضعه الحرب ، فانهزم عدو الله وانتهب المسلمون عسكره ،
وقتل فيهم مقتلة عظيمة وحزّ من رؤوسهم عشرة آلاف سوى
من لم يتمكن منهم ممن قتل في الوعر . واتي هذا الفتح بعد
فتح ابي عثمان . ذكر ذلك الرازي وغيره .

وفي سنة ١٧٧ اغزى الامام هشام عبد الملك بن عبدالواحد
ابن مغيث بالصائفة الى أرض الروم ، وهي غزوة شهيرة الخبر
جليلة الخطر ، انتهى فيها الى افرنجة فحصرها وثلّم بالمجانيق
اسوارها ، واشرف على بلاد المجوس وجال في بلاد العدو وبقي
شهوراً يحرق القرى ويخرب الحصون ، وواقع بمدينة اربونة .
وكان فتحاً عظيماً بلغ فيه خمس السبي الى خمسة واربعين ألفاً
من الذهب العيين .

وفي سنة ١٧٨ هاجت الفتنة بتاكرنا وخالف بربوها وأغاروا

على الناس وقتلوا وسبوا ، فبعث الامام هشام اليهم الاجناد ،
بعد الإيذار اليهم ، فقتل اكثرهم وفرّ سائرهم الى طليبة
وترجيلة ، وأقامت تاكرنا ، وهي اقليم رندة وبلادها ، خالية قفراً
سبع سنين .

وفي سنة ١٧٩ اغزى الامام هشام بن عبد الرحمن عبد الكريم
ابن مغيث بالصائفة حتى انتهى الى مدينة استرقّة داخل جليقية ،
فبلغه ان اذفونش قد حشد بلاده واستمدّ البشكنش وأهل
تلك النواحي التي تليه من المجوس وغيرهم ، وانه عسكر بهم
ما بين حيز جليقية والصخرة ، وانه اذن لسكان السهل بالتفرق
في شواحق جبال السواحل ، فقدّم عبد الكريم فرج بن كنانة
في اربعة آلاف فارس ، ثم رحل في اثره فألقى أعداء الله
فواضعهم الحرب حتى هزمهم الله ، وقتل حماهم وأسر جماعة
منهم ، ثم أمر بعد انحلال الحرب بقتلهم ، فبثّ الحيل في القرى
فانتسفت جميع ما ألفته من زروعهم وخرّبت ما مرّت عليه
من عمارتهم . وتقدم بعد ذلك الى وادٍ يقال له كرتية فلقى
به غدشارة ، وهو في ثلاثة آلاف فارس ، فقاتله حتى انهزم
عسكره ، وأخذ غدشارة أسيراً ، وقتل من أصحابه عدد كثير ،
وأصاب العسكر جميع ما في تلك الناحية . وتقدّم مستجيزاً
لاذفونش ، فلمّا بلغه قصده اليه تنحّى عن الجبل الذي كان

فيه منحازاً عنه الى حصن له كان قد بناه وأتقنه على وادي بلون ، فقترب منه عبد الكريم مقتفياً لاثره لا ير بمنزل فيما بينه وبينه الا حرقه ، ولا بال الا اصابه ، حتى أطلّ على الحصن ؛ فانتقل منه الى حصن ملكه ، واحتلّ عبد الكريم بالحصن الذي انتقل منه فألقى فيه الأطعمة وضروب الذخر . وبعث في اليوم الثاني من حلوله به فرج بن كنانة في عشرة آلاف فارس يقفوا اثره ، فلما قرب منه انهزم عنه واسلم جميع عدته وذخره ، فغنم المسلمون جميع ذلك .

وفي سنة ١٨٠ توفي الامام هشام بن عبد الرحمن ، رحمة الله عليه ، ودفن بقصر قرطبة ، وصلى عليه ابنه الحكم ، وذلك ليلة الخميس كما تقدم ذكره ؛ وبايع الناس لابنه الحكم ، وكان ابنه عبد الملك اسنّ منه .

ذكر بعض أخباره على الجملة دون تعيين سنة

كان ، رحمه الله ، بسيط اللسان ، فصيح الجنان ، وسيع الجنب ، حاكماً بالنسنة والكتاب ، قبض الزكوات من طرقها ، ووضعها في حقها . لم يأخذه في الله لوم ، ولا تعلق به ظلم . ارتفع اخوه عن مبايعته ، وامتنع عن طاعته ، واستبدّ بطليطلة استبداداً ، واستنفر للخلاف والنفاق اجناداً ، فما زال يشغل

بalfتنه بالآ ، ويزيق الناس وبالآ ، قد عظمت عليه به المحنة ،
وعدمت منه الهدنة ، حتى مات الامير هشام ، وحكمت بخلافة
ابنه الحكم الاحكام ، فحاربه في تلك الاقطار ، الى ان اختطفته
الاستة والشفار ، فأمن بعد ذلك الجانب ، ولم يكن في ذلك
التاريخ هنالك بجانب .

وكان هشام يبعث الى الكور قومآ عدولآ يسألون الناس
عن سير العمال ثم ينصرفون اليه بما عندهم ، فيقع نظره بقدر
ما تكشفه المحنة له منهم . واعترض له يوماً متظلم من احد
عماله ، فبدر الى الشاكي وقال له : احلف على كل ما ظلمك
فيه ، فان كان ضربك فاضربه ، او هتك لك سترآ فاهتك
ستره ، او اخذ لك مالآ فيخذ من ماله مثله ، إلا ان يكون
أصاب منك حدآ من حدود الله . فجعل الرجل لا يحلف على
شيء الا أقيد منه ، فكان زجره هكذا لعماله ابلغ فيهم بالنكال
والادب .

وكان كريماً ، عادلاً ، فاضلاً ، متواضعاً ، عاقلاً ، لم تعرف منه
هفوة في حدائته ، ولا زلّة في أيام صباه . وكان رحمه الله
قد نظر في بنيان قنطرة قرطبة ، وأنفق في اصلاحها أموالآ
عظيمة ، وتولى بناءها بنفسه ، وتعطى الاجرة بين يديه .

قال ابن وضّاح : لما بنى هشام القنطرة تكلم الناس فيه

وقالوا : انما بناها لتصيّد به ونزهته ؛ فحلف ، حين بلغه ذلك ، الا
يجوز عليها إلا لغزو أو مصلحة .

قال القاضي ابو معاوية : ادركت صدراً من الناس يحكون
ان ايام هشام هذا كانت من الدعة والعافية والهدوء بحيث لم يعلم
لها مثل ، وكان يحضر الجنائز ويزاحم فيها كأنه أحد الناس
تواضعاً ؛ وكان لبعض رجال هشام خصومة في دار عند القاضي
مصعب بن عمران ، فسجل عليه القاضي فيها وأخرجه ، فنهض
الرجل الى هشام وقال له : ان القاضي سجل عليّ في داري التي
كنتُ اسكنها واخرجني عنها . فقال له هشام : وماذا تريد
مني؟ والله لو سجل عليّ القاضي في مقعدي هذا لخرجتُ عنه
انقياداً منه للحقّ ، رحمة الله عليه .

قصة الكناني مع هشام بن عبد الرحمن رحمه الله

كان قبل خلافته يقعد في عليّة مطلّة على النهر ينظر منها
الى الربض ، وتقع عينه على من يخطر ؛ فنظر يوماً في الهاجرة
الى رجل من بني كنانة ، وكان من صناعه ، مقبلاً من باديته
بجيان ، وكان أخوه سليمان والياً عليها ، فدعا فتى له وقال
له : أرى الكناني صنيعنا مقبلاً في هذه الظهيرة ، وما ذلك الا
لخطب اقلقه من أبي أيوب اخي ، فاذا وصلك فادخله عليّ كما

هو . ففعل الفتي ما أمره . وكانت مع هشام جارية له ، فلما
دنا الكناني رفع ستراً كان امامه فدخلت الجارية خلفه ، ثم
قال له بعد ان سلم عليه : يا كناني ، لا احسبك الا وقد دهمك
امر . فقال له الكناني : قتل رجل من بني كنانة رجلاً خطاءً
فحُمِلَت الديةُ على العاقلة فأخذت بنو كنانة عامةً ، وحَيَّفَ
عليّ من بينهم ، خاصةً ، لما عرف ابو ايوب مكاني منك ، فعذتُ
بك من ظلامي . فقال له : يا كناني ، ليفرخ روعك ، وليسكن
جأسك ، لا جرم قد تحمّل هشام عنك وعن قومك جميع
الدية . ثم مدّ يده الى خلف الستر فاخرج عقداً ، كان على
الجارية ، ثمنه ثلاثة آلاف دينار ، فقال له : خذ هذا العقد فأدّ
من ثمنه عنك وعن قومك وتوسع في الباقي . فقال الكناني :
يا سيدي ، إني لم آتكَ مستجدياً ولا ضاق لي مال عن اداء ما
حملته ، ولكني اتيتك مستجيراً بك لما أصبت بالعدوان والظلم ،
فأحببت أن يظهر عليّ من عز نصرك . قال له : فما وجه
نصرك ؟ قال له : أن يكتب الامير ، أصلحه الله ، الى أبي
أيوب في الامساك عن أخذي بما لم يجب عليّ وأن يحملني محمل
عامة اهلي . فقال له هشام : خذ العقد لاهلك ولنفسك الى ان
يسر الله ما ذهبت اليه من امرك .

ثم امر هشام باسراج دابته من فوره وركب الى أبيه الأمير

عبد الرحمن ، فلما مثل بين يديه قال له: رجل من بني كنانة هو لي صنعة، عدا عليه أبو أيوب بيمان في دية حملت على العاقلة. قال الامير : فما تحب في امره ؟ قال : الكتب اليه بالكف عنه وان لا يؤخذ بغير ما لزمه . فقال الامير : اوخير من ذلك تؤدى الدية عنه وعن قومه من بيت المال إذ هو منك بهذه المنزلة وإذ أنت له بهذه العناية . فأكثر هشام الشكر لوالده .

ثم أمر الامام باداء الدية من بيت المال وبالكتب الى أبي أيوب ؛ فترك التعرض للكناني .

وحان توديع الكناني لهشام ، فقال له : يا سيدي اني قد بلغت فوق الامنية وجاوزت اقصى غاية العز والنصرة ، وهذا العقد النفيس قد اغنى الله عنه . فقال له هشام : يا كناني ، انه لا سبيل الى رد شيء قد خرج عتاً، فخذ مباركاً لك فيه .

وهشام هذا هو الذي اكمل سقائف المسجد الجامع بقرطبة ورفع منارته القديمة وبني الميضأة العجيبة وعقد من الجسر ما كان تتلثم بالسيل .

خلافة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن

كنيته : ابو العاصي .

أمه : زخرف .

مولده : سنة ١٥٤

ببيع بعد موت أبيه بليلة يوم الخميس لثمان خلون من صفر
سنة ١٨٠ وهو ابن ٢٦ سنة . فكانت خلافته ستاً وعشرين
سنة واحد عشر شهراً .

كتابه ثلاثة : فطيس وخطاب بن يزيد وحجاج العقيلي .

حاجبه : عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث .

وزراؤه وقواده خمسة : اسحاق بن المنذر والعباس بن

عبد الله وعبد الكريم بن عبد الواحد المذكور وفطيس بن

سليمان وسعيد بن حسان .

قضاته : مصعب بن عمران ومحمد بن بشير والفرج بن

كنانة وبشر بن قطن وعبيد الله بن موسى ومحمد بن تليد

وحامد بن محمد بن يحيى .

نقش خاتمه : بالله يثق الحكم ، وبه يعتصم .

صفته : آدم شديد الأدمة ، طويل ، اشم ، نحيف لم

يخضب .

بنوه : الذكور تسعة عشر ، والبنات احدى وعشرون .
توفي لأربع بقين لذي الحجة سنة ٢٠٦ فكان عمره ٥٢ سنة .
ولما بلغ موت هشام الرضا الى سليمان وعبدالله ابني
عبد الرحمن بن معاوية وهما بالعدوة تقدّم عبدالله فجاز اليه
الى ريف الاندلس .

ولما بويع الحكم بالخلافة واستوسق له الأمر وجّه
عبد الكريم بن عبد الواحد غازياً الى دار الحرب في جيش عظيم ،
فاحتلّ عبد الكريم بالشعر وتوافت عليه الجيوش . ثم تقدم
فاحتل على شاطئ البحر ، وقسم الجيش على ثلاثة أقسام وقدم
على كل قسم رئيساً وأمر كل واحد منهم بأن يغير على الناحية
التي قصدها ووجه اليها ، فمضوا واغاروا واستباحوا وأباحوا ،
وانصرفوا غانمين ظافرين ، ثم عادوا ثانية الى الاغارة وجاوزوا
خُلُجاً كانت تمتدّ وتحصر ، وكان اهل تلك النواحي قد تحرّروا بها
ونقلوا اليها العيال والماشية والاموال ، فاغاروا عليها واحتلوا
على جميع ما وجدوا فيها وانصرفوا سالمين غانمين .

وفي سنة ١٨١ ثار على الامير الحكم ، بهلول بن مروان
المعروف بأبي الحجاج في ناحية الثغر ودخل سرقسطة ومملكها ،
وحلّ به عبدالله ابن الامير عبد الرحمن بن معاوية ، وكانت
وجهته الى افرنجة .

وفيهما ثار عبيدة بن حميد بطليطلة فنصب الحكم عمروس
ابن يوسف حربه من طلييرة ، فكان يتردد لحربهم . ثم ان
عمروس كاتب رجالاً من أهل طليطلة واستلطفهم حتى مالوا
اليه ، فدعاهم الى القيام على عبيدة والفتك به ووعدهم على ذلك
بثوبة جلييلة من الامير ، فبدروا اليه وقتلوه وتوجهوا برأسه الى
عمروس فانزلهم عند نفسه بطلييرة ؛ فلما علم بهم بعض بربر
طلييرة ، وكانت بينهم دماء ، دخلوا عليهم تلك الليلة الدار
فقتلوهم فبعث عمروس برأس عبيدة وبرؤوس المذكورين ،
وهم بنو مخشي ، الى الحكم بقرطبة وكتب اليه يخبرهم .

ثم ان عمروس اعمل جهده في استجلاب اهل طليطلة بمكاتبته
حتى ادخلوه المدينة ، فلما تمكن منها بنى القصر على باب
جسرها فاحكمه واتقن أمره ، ثم سعى في قتل رجال طليطلة
وقطع شرهم وحسم دأهم توطيداً للمملكة ؛ فأعدّ للكيد صنيعاً
اظهر أنه يذبح فيه البقر ، وأمر أن يكون دخول الناس على
باب وخروجهم على باب ، فكان كل من دخل وتجاوز الباب
قتل حتى أفنى من أشرافهم سبعمائة .

وفي سنة ١٨٢ كان السيل العظيم بقرطبة ذهب بربض
القنطرة ، ولم يبق فيه داراً إلا هدمها ، حاشا غرفة عون العطّار ،
وبلغ السيل شقندة .

وفيهما دخل سليمان بن عبد الرحمن بن معاوية الأندلس من
العدوة ، وتقدم متعرضاً لحرب الحكم في شوال منها ، فانهمز
سليمان بعدما دارت بينهما حرب شديدة .

وفيهما عاد سليمان ثانياً للقتال ، والتقى مع الحكم أيضاً ببخيمة
فانهمز سليمان .

وفي سنة ١٨٣ خرج سليمان ومعه برابر اجتمعوا اليه الى
ناحية أسجة ، فغزاه الحكم والتقى بمقربة من استجة ، فدارت
بينهم حرب شديدة أياماً ، ثم انهزم سليمان بمن كان معه ، ثم
التقى أيضاً في هذا العام فانهمز سليمان .

وفي سنة ١٨٤ حشد أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن من
المشرق ، فاحتل بجيان ثم بالبيرة ، فاتبعه جماعة من الكورتين ؛
والتقى معه الحكم فدام القتال بينهم أياماً حتى همَّ الحكم
بالهزيمة ، ثم انهزم سليمان وأفلت ، وقُتل في المعترك بشر كثير .
وبعث الحكم اصبع بن عبد الله في طلبه ، فاحقه بجبهة ماردة
وأخذه أسيراً وأتى به الى الحكم ، فأمر بقتله وبعث برأسه
الى قرطبة .

وفي سنة ١٨٦ أخرج الحكم الى عمه عبد الله البلبسي أماناً ،
وهو أول خروج كان اليه ، وأول مكتبة كانت بين الحكم
وبينه بعد حلولة ببلنسية .

وفي سنة ١٨٧ انعقد امان عبد الله البلنسي وصلحه باجراء الارزاق عليه ، وذلك ألف دينار لكل شهر ، وباجراء المعارف وذلك ألف دينار لكل عام ، وخرج اليه بهذا الأمان يحيى ابن يحيى وابن أبي عامر، فعقد الصلح على ذلك ، وعلى ان يسكن عبد الله بلنسية . وقدم يحيى وابن أبي عامر بولد عبد الله على الحكم فزوجاه اخته شقيقته .

مقتل أهل الرض اولا قبل هيجة ثانية

وفي سنة ١٨٩ صلب الامام الحكم اثنين وسبعين رجلاً بقرطبة منهم : أبو كعب بن عبد البرّ ويحيى بن مضر ومصرور الخادم ، وكان السبب في ذلك انهم ارادوا الغدر به وهمؤوا بالخلاف عليه وطلبوا رئيساً يقومون به ، فوقع الخبر على محمد ابن قاسم عم هشام بن حمزة ، واطلعوه على أمرهم ودعوه للقيام معهم ، فخذلهم وافشى سرهم وتقرّب الى الحكم بدمائهم ، فثبت الحكم وسأله تصحيح ما رفع اليه . فقال له : هات امناءك ، فأخفاهم عنده ووجه عنهم لميعاده ، ثم قال لهم : هذا الذي تدعونني اليه لا أثقُ بمن سميت دون ان اسمع منهم كما سمعت منكم فتطيب نفسي وادخل في الامر على قوة وبصيرة . فاتوه وسمع مقاتلتهم والامناء بحيث يرون ويسمعون . فلما صحّ عند

الحكم امرهم بشهادة الامناء عليهم اخذهم وصلبهم جميعاً بمرّة
واحدة . ثم اتقن سور قرطبة وحفر خندقها وتوجّه غازياً .

ومن قوله :

رأيتُ صدوع الارض بالسيف راقما ،
وقدماً لأمتُ الشعب مذ كنت يافعا .

فسائلُ ثغوري : هل بها الآن ثغرة
ابادرها مستنضي العزم ، دارعا ؟

وشافهُ على الارض الفضاء جماجما ،
كأقحاف شريان الهبيد ، لوامعا

تنبئتُك أني لم أكن عن قراعهم
بيوانٍ ، وأنّي كنت بالسيف قارعا

فاني اذا حادوا جزاعاً عن الردى ،
فلم أك ذا حيد عن الموت جازعا

حميتُ ذماري وانتهكت ذمارهم ،
ومن لا يحامي ظلّ خزيان ضارعا

ولما تساقينا سجال حروبنا ،
سقيتهمُ سماً من الموت ناقعا

وهل زدتُ ان وفيتهم صاعَ قرضهم ،
فوافوا منايا قُدِّرَتْ ومصارعا ؟

فهاك بلادي ، اني قد تركتها
مهاداً ، ولم اترك عليها منازعا

وفي سنة ١٩٠ خراج الأمير الحكم غازياً الى ماردة ، فلمّا
وصلها احتلّها وحاصرها ، وكان بها أصبغ بن عبد الله بن
واسنوس ثائراً ، واذا باخبر وصله ان سواد أهل قرطبة اعلنوا
بالنفاق ، وتداعوا الى صاحب السوق بالسلاح ، وكتب المخلفون
الى الحكم بما حدث بعده وبما ظهر من ضماير السفلة ، فصدر
قافلاً وطوى المراحل وقطع الطريق في ثلاثة أيام ودخل
القصر ، فهدأ الناس وسكنت الأحوال ، وصار الناس في هدوء
وسكون من سنة ١٩٠ الى سنة ٢٠٢ والتزموا الدعة ١٢ سنة .

وترددت الغزوات سبعة أعوام الى ماردة ، وبها أصبغ بن
عبد الله ثائراً متمنعاً . وكان سبب ثورته ان عدو الاصبغ
طالبه عند الحكم وأغراه عليه ؛ ثم مشى الى اصبغ بمثل ذلك
وروّعه منه ، فتوقّع العقوبة والسطوة به ، فكان ذلك سبب
دخوله ماردة وقيامه بها ، وتكرّرت الغارات عليه سبعة أعوام ،
فافتحت في العام السابع بمحاولة انحلت عن طلب الأمان للاصبغ ،
فامن وخرج من ماردة وصار في مصفّ الحكم ، فسكن

قرطبة، ثم فسح له في الاختلاف الى ضياعه بماردة حتى التاثر امرها واضطربت رجالها .

وفي سنة ١٩٣ خرج رذريق صاحب افرنجة الى جهة طرطوشة فاغزى الحكم ابنه عبدالرحمن في جيش كثيف، وكتب الى عمروس وعبدون عاملي الثغر بالغزو معه ، فجمع أهل الثغر، فتقدم عبدالرحمن بالجنود وتوفت عليه الحشود وخفت به المطوعة، فألقوا الطاغية خارجاً الى بلاد المسلمين، ودارت بينهم حرب شديدة ثبت الله فيها أقدام المسلمين ، فانهمز المشركون وكانت فيهم مقتلة عظيمة فني اكثرهم .

وفي سنة ١٩٤ غزا الحكم الى ارض الشرك، وكان السبب في هذه الغزاة ان عباس بن ناصح الشاعر كان بمدينة الفرج، وهي وادي الحجارة، وكان العدو، بسبب اشتغال الحكم بماردة وتوجيه الصوائف اليها مدّة من سبعة اعوام، قد عظمت شو كته وقوي امره فشن الغارات في أطراف الثغور يسي ويقتل . وسمع عباس ابن ناصح امرأة في ناحية وادي الحجارة وهي تقول : واغوثاه يا حكم! قد ضيعتنا واسلمتنا واشتغلت عنا حتى استأسد العدو علينا . فلما وفد عباس على الحكم رفع اليه شعراً يستصرخه فيه ويدكر قول المرأة واستصراخها به ، وانهى اليه عباس ما هو عليه الثغر من الوهن والتيث الحال ، فرثى الحكم للمسلمين

وحمي لنصر الدين وامر بالاستعداد للجهاد، وخرج غازياً الى ارض
الشرك فأوغل في بلادهم وافتتح الحصون وهدم المنازل وقتل
كثيراً وأسر كذلك ، وقفل على الناحية التي كانت فيها المرأة
وأمر لاهل تلك الناحية بمال من الغنائم يصلحون به احوالهم
ويفدون سباياهم، وخص المرأة وآثرها، واعطاهم عدداً من الاسرى
عوناً، وأمر بضرب رقاب باقيهم، وقال لاهل تلك الناحية والمرأة:
هل اغاثكم الحكم ؟ قالوا : شفى والله الصدور ونكى في العدو
وما غفل عنا إذ بلغه أمرنا، فاغاثه الله واعز نصره!

وفي سنة ١٩٦ غزا الحكم الى بلاد المشركين واوغل فيها،
فأوغل فيهم وأوقع بهم وقفل . وفيها مات تمام بن علقمة الثقفي .
وفي سنة ١٩٩ كانت المجاعة التي عمّت الاندلس ومات
اكثر الخلق جهداً . وفي هذه السنة أغزى الحكم عمه عبد الله
البلنسي الغزوة الشنيعة المشهورة ، وكانت ببوشلونة ، ألقى
المشركين قد حلّوا بها يوم احتلاله . وكان يوم الخميس ،
فأراد من معه مناشبة الحرب ، وتشوّفوا للقتال فمنعهم ،
حتى اذا كان في اليوم الثاني ، وهو يوم الجمعة وقت الزوال ،
أمر بتعبئة الكتائب ونصب الردود^١ ، وقام فصلي ركعتين ، ثم
نادى في الناس ، وركب هو ومن معه وناهض أهل الشرك ؛
وما أحسبه فعل ذلك الا فقهياً وعلمياً وتأسياً بحديث النبي

١ الردود : الظاهر انها في اصطلاحهم بمعنى المجانيق .

(صلعم) حيث أمر بالقتال في تلك البعثة ، فان فيها تهب
الارواح وتفتح ابواب الجنة وتستجاب الدعوات ؛ فمنهم
الله أكتاف المشركين وانهمزوا وقتل عامتهم وفرق جمعهم .
فلما أقلع عن القتال وانجلت الحرب نصب قناة طويلة ،
فأثبتت في الأرض وأمر بالرؤوس فجعلت وطرح حواشيها
حتى غابت القناة فيها .

ذكر دخول الحكم طليطة حين خالفت عليه

وذلك انه اظهر الغزو الى بلاد المشركين وقصد تدمير
وهو يريد في نفسه طليطة ، فنزل تدمير واضطرب فيها ونازل
بعض حصونها ، وكتب الى عمال الثغر بنزوله فيها وحربه لها ،
فأمن أهل طليطة وانتشروا في بسائطهم ونظروا في
زروعهم ، وله عليهم عيون . فلما صحَّ عنده انبساطهم جعل
يتقرب من احواز تدمير ، وأخبار طليطة تردُّ عليه ، فلما
امكنته الفرصة فيها جدَّ السير اليها وطوى المراحل فوصل
اليها ليلاً ، وسبق بقطع من الحشم فدخل طليطة ليلاً ، ولم
يُعلم بدخوله ؛ أهلها في غفلة وأبوابها مفتحة . وتتابع العسكر
عليه بمقدار قوة كل أحد فملكها وحال بين أهلها وبينها ، وقطع
الخروج عنمن كان بها الى من كان بخارجها ، فاستوسق

له ملكها دون مؤنة ، ولا قتال ، فاستنزل أهلها من الجبال
الى السهل وحرق ديارها وسكنهم في الصحراء ثم ردّهم
اليها .

وفي سنة ٢٠٠ اغزى الحكيم وزيره عبد الكريم بن مغيث
الى بلاد المشركين فدخلها وتوسّطها وأهلك معاشها ومرافقها
وحطم زروعها، وهدم منازلها وحصونها حتى استوفى جميع قرى
وادي ارون ، فحشدت اليه الطاغية ، دمرها الله ، وانجلى النصرانية
من كل مكان ، واقبلت الجموع ونزلت بعدوة نهر ارون ، وصار
النهر حاجزاً بينهم وبين المسلمين . فلما اصبح نهض عبد الكريم
من معه الى مخاض الوادي ونهض اعداء الله اليهم فقاتلوه على
كل مخاضة منها ، فجالدهم المسلمون عليها مجالدة الصابرين
المحتسين ، واقتحم اعداء الله النهر اليهم فاقتتلوا على مخاضته ، ثم
حمل المسلمون عليهم حملة صادقة ، فاضغطوهم في المضائق
وادخلوهم على غير طريق ، فاخذتهم السيوف والطعن بالرمح ،
فقتل من المشركين عدد عظيم لا يحصى كثرة ومات اكثرهم
بالردى ، ودرس بعضهم بعضاً ، وصاروا بعد المطاعنة والمجالدة
بالرمح والسيوف الى القذف بالحجارة ، واكثروا الحراس بالمخاض
ووعروها بالحشب ، وحفروا الحفائر وخذقوا الخنادق ونزلت
الامطار ؛ وكان قد فرغ ما كان لاعداء الله من المرافق ، وضافت

الحال أيضاً بالمسلمين ، فقفل عبد الكريم ظافراً لسبع خلون من
ذي القعدة .

ولم يكن في سنة ٢٠١ صائفة ولا حركة مشهورة .

ذكر هيج اهل الربض ثانية في سنة ٢٠٢

كان من اهل ربض قرطبة ما نستعيد بالله من الخذلان في
مثله وذهاب التوفيق، وقد اختلفت الروايات في سبب قيام
الناس وهيجهم، فمنهم من يقول ان ذلك الهيج كان أصله الاشر
والبطر، اذ لم تكن ثمَّ ضرورة من اجحاف في مال ولا انتهاك
لحرمة ولا تعسف في مملكة؛ والحال تدلُّ على صحة ذلك، فانه
لم يكن على الناس وظائف ولا مغارم ولا سخر ولا شيء يكون
سبباً لخروجهم على السلطان، بل كان ذلك أشراً وبطراً، وملاً
للعافية، وطبعاً جافياً وعقلاً غيبياً، وسعيّاً في هلاك أنفسهم؛
أعاذنا الله من الضلال والخذلان واسباب البوار والخسران .

ولما احتاجوا وقاموا على السلطان ناصبهم الحكم القتال
وواضعهم الحرب، وانجاش اليه حاشيته وجنده، وتألَّب من كل
وجه رجاله، وقامت الحرب بين الجند وعامة قرطبة على ساق .
ثم تكاثرت العامة وهاجت الدهماء السوداء فلم يزدوا على ان
ظهروا في ذلك الحين ظهوراً لم يبلغهم الى أمل؛ فلما اشتغلوا

بالقتال احتيل عليهم مثل حيلة يوم الحرّة ، وهم لا يشعرون
لاشغافهم بالقتال ، فخرج عبيد الله بن عبد الله البلنسي المعروف
بصاحب الصوائف واسحاق بن المنذر القرشي الى باب الجسر
مع من أمكنهما من الفرسان والرجالة ، والتقوا مع العامة
وجالدوهم حتى ازاحوهم وادخلوهم الجسر ، وفتح باب المدينة
عند الجسر ، ودخل الذين سمينا ودخلوا على باب الحديد .

ثم اقتحموا على الزقاق الكبير وخرجوا على الرملة الى
خاضة هناك ، وجازوا النهر . واجتمعوا مع من توافى عليهم
من حشود الكور ، اذ كانوا قد أنذروا قبل ذلك لما كان بدا
منهم وظهر من علاماتهم . فلما اجتمعوا أقبل بعضهم من
وراء الربض ، وشرع بعض في طرح النار في الدور ودسّوا
من أخبر العامة بما نزل بهم في دورهم وذراريهم وعيالههم ، فلم
يبق أحد منهم دون أهله ومنزله وانصرفوا راجعين نحوها ،
فأخذتهم السيوف من أمامهم ووراءهم فقتلوا قتلاً ذريعاً ،
وثبّعوا في الأزقة والطرق يقتلون ، ونجا منهم من تأخّر
اجله ففرّ فلم يلو على أهل ولا ولد ؛ وأخذ منهم ثلاثمائة
رجل فصلبوا على الوادي صفّاً واحداً من المرج الى المصاراة .

وكان الحكم قد عزم على تبييعهم بالأندلس وقتلهم حيث
وجدوا ، فكسر عليه بعض أمحابه وذكره صنع الله له فيهم

فارعوى وكفّ، فخرجوا افواجاً باهليهم واولادهم ولم يعرض
لاحد منهم في شيء من بلاد الاندلس، وهي طاعته وملكه،
ولا نالهم ضرر بعد وقت المعركة وغلين الحال، كرماً وعفواً من
الامير الحكم، رحمه الله. وعفّ الحكم عن الاموال والحرم.
وتفرّق أهل الربض في جميع أقطار الاندلس، ومنهم من جاز
البحر الى العدو بالاهل والولد فاحتلّوا بعدوة فاس، فهم عدوة
الاندلس منها، فصيّروها مدينة، ومنهم اهل جزيرة اقريطش؛
فذكّر انه لم يخرج منهم طائفة بناحية من نواحي الدنيا الا
وتغلّبوا عليها واستوطنوها على قهر من أهلها؛ واكثر من هرب
من اهل العلم والخير، ممن اتّهم او خاف على نفسه، الى ناحية
طليطلة. ثم امنهم الحكم وكتب لهم اماناً على الانفس والاموال
واباح لهم التفسّح في البلدان حيثما اجبّوا من اقطار مملكته،
حاشا قرطبة او ما قرب منها.

وفي سنة ٢٠٦ اشتدّ مرض الحكم بن هشام فاخذ البيعة
لابنه عبد الرحمن ثم للمغيرة من بعده، وانفذت البيعة يوم
الاربعاء لحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة من السنة، فبوع
له ذلك اليوم في القصر، واختلف الناس بعد ذلك اليوم الى دار
عبد الرحمن بن الحكم يبايعونه، وبايعوا المغيرة في دار اخيه
عبد الرحمن ايضاً. ثم ركب المغيرة الى الجامع ونزل فيه يوماً

بعد يوم لمبايعه الناس له ، وكانوا يبائعونه عند المنبر ، ثم بايعوه
في داره . ولما انقضت البيعة لعبد الرحمن والمغيرة بعده أمر
الحكم بن هشام بهدم الفندق الذي كان بالربض ، وكان مُتَقَبِّلُهُ
من اهل الاضرار والفسق ، فهُدم .

وتوفي الامير الحكم يوم الخميس لاربع بقين من ذي الحجة
من السنة ، وصلى عليه ابنه عبد الرحمن ودفن بالقصر .

بعض اخباره وسيره

كان الحكم ، رحمه الله ، شديد الخزم ، ماضي العزم ، ذا
صولة تُتَّقَى . وكان حسن التدبير في سلطانه وتولية اهل
الفضل والعدل في رعيته ؛ وكان مبسوط اليد ، وكان له قاضٍ
كفاه بورعه وعلمه وزهده ، فمرض مرضاً شديداً ، فاغتم
الحكم لمرضه ؛ فذكر بعض خاصته انه ارق ليلة ارقاً شديداً
وجعل يتململ على فراشه ، فقيل له : أصلح الله الأمير ، ما
الذي عرض ؟ فقال : ويحكم ! اني سمعت في هذه الليلة نادبة ،
وقاضيتنا مريض ، وما أراه الا وقد قضى نحبه ، فأين لي بمثله
ومن يقوم بالرعية مقامه ؟

فمات القاضي في تلك الليلة ، وهو المصعب بن عمران ،
قاضي أبيه ؛ فولى بعده محمد بن بشير ، فكان اقصد الناس

الى حق وأبعدهم من جور وأنفذهم لحكم . ورفع اليه رجل من
أهل كورة جيان ان عاملاً للحكم اغتصبه جارية وصيّرهما
الى الحكم ، فوقعت من قلب الحكم كل موقع ، فأثبت الرجل
أمره عند القاضي وأتاه ببينة تشهد على معرفة ما تظلم منه
ويملكه للجارية ومعرفته بها ، فأوجبت البينة ان تحضر الجارية ،
فاستأذن القاضي على الحكم فأذن له ، فلما دخل عليه قال :
أيها الأمير انه لا يتم عدل في العامة دون افاضته في الخاصة ؛
وحكى له أمر الجارية ، وخيّر بين ابرازها للبينة لتشهد على
عينها ، او عزله .

فقال له الحكم : أولاً أدعوك الى خير من ذلك ؟ تبسّع
الجارية من صاحبها بأبلغ ما يطلب فيها .

فقال القاضي : ان الشهود قد شهدوا من كورة جيان ،
وأتى الرجل يطلب الحق في مظانّه ، فلما صار ببابك تصرفه
دون انفاذ الحق له ؛ ولعلّ قائلاً يقول : باع ما لا يملك بيع
مقهور . فلما رأى عزمه على ذلك أمر بإخراج الجارية من قصره ،
فشهد الشهود عنده على عينها وقضى بها لصاحبها .

وكان هذا القاضي محمد بن بشير ، اذا خرج للمسجد وجلس
للاحكام جلس في رداء معصفر وشعر مفرق ، فاذا طلب ما عنده
وجد افضل الناس واورعهم . وكان الحكم يقول : ما تحلى الخلفاء

بمثل العدل . وكانت فيه بطالة الا انه كان شجاع النفس باسط
الكف عظيم العفو، وكان يسلط قضاياه وحكامه على نفسه فضلاً
عن ولده وخاصته .

وكانت للحكم ألف فرس مرتبطة ببياب قصره على جانب
النهر ، عليها عشرة من العرفاء تحت يد كل عريف مائة فرس ،
فاذا بلغه عن ثائر ثار في اطرافه امر، عاجله قبل استحكام امره،
فلا يشعر حتى يحاط به . وجاءه الخبر يوماً ان جابر بن ليبد محاصر
لجيان ، وهو يلعب بالصوخلان في القصر ، فدعا بعريف من
اولئك العرفاء وامر اليه ان يخرج بمن تحت يده الى جابر بن
ليبد، ثم فعل ذلك باصحابه من العرفاء ، فلم يشعر ابن ليبد حتى
تساقطوا عليه مسربلين في الحديد ، فلما رأى العدو ذلك أسقط
في يده وطنّ ان الدنيا قد حُشِرت اليه فولّى بمن معه منهزماً .

وكان فصيحاً بليغاً شاعراً مجيداً؛ فمن شعره، رحمه الله، يتغزل،
وذلك انه كان له أشعار كثيرة في خمس جوارٍ قد استخلصهن
لنفسه ومَلَكنَ أمره؛ فذهب يوماً الى الدخول عليهن فأبَيْنَ
عليه واعرضنَ عنه ، وكان لا يصبر عنهن، فقال :

قَضَبَ مِنَ الْبَانِ مَاسْتٌ فَوْقَ كَثْبَانِ ،
وَلَيْسَنَ عَنِّي ، وَقَدْ أَرَمَعَنَ هِجْرَانِي

ناشدنهن بجبتي ، فاعتزمن علي
الهجران حتى خلا منهن همياني

ملكني ملكاً ذلت عزائه
للحب ، ذل اسير موثق عان

من لي بمغتصبات الروح من بدني ،
غصبنني في الهوى عزي وسلطاني

ثم انهن عدنّ عليه بالوصال فقال :

نلت كل الوصال بعد البعاد ،
فكأني ملكت كل العباد

وتنأهى السرور ، اذ نلت ما لم
يغن فيه تكاتف الأجناد

ومن مليح قوله فيهنّ رحمه الله :

ظلّ من فرط حبه مملوكاً ،
ولقد كان قبل ذاك مليكاً

إن بكى أو شكى الهوى ، زيد ظلماً ،
وبعاداً يدي حِمَاماً وشيكاً

تركته جاذِرُ القصر صبّاً
مستهماً ، على الصعيد تريكاً

يجعل الحددَ واضعاً فوق تراب ،
للذي يرتضي الحرير ، أريكا
هكذا يحسن التذلل للحر ،
إذا كان في الهوى مملوكاً

وله ، رحمه الله ، أشعار كثيرة في الربضين القائمين عليه
لا يجاريه فيها أحد ، وقد تقدّم منها ما يستدلُّ به على فضله .
ولمّا دنت وفاته عتب نفسه فيما تقدّم منه عتاباً وتاب الى الله
متاباً ورجع الى الطريقة المثلى وقال : إنّ الآخرة هي الأولى ؛
فتزيّن بالتقوى واعتمَص بالعروة الوثقى ، وأقرّ بذنوبه واعترف
وانس الى قوله تعالى : ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف . وكان
من عباد الله المتقين ، الى ان اتاه من ربه اليقين ، فتوفي رحمه
الله سنة ٢٠٦ .

خلافة عبد الرحمن بن الحكم

كنيته : ابو المطرّف .

امه : تسمى حلاوة .

مولده : سنة ٧٦

حاجبه : عبد الكريم بن عبد الواحد .

وزراؤه تسعة : رزق كل واحد ثلاث مائة دينار .

كتّابه ثلاثة : عبد الكريم المذكور ، وسفيان بن عبد ربه ،

وعيسى بن شهيد .

قضاته : احد عشر منهم يحيى بن مَعْمَر وقبله مسرور بن محمد بن بشير ثم سعيد بن محمد بن بشير ثم يحيى المتقدم الذكر وغير هؤلاء، وانما كثر القضاة في ايامه لان المشاور في عزلهم وولايتهم يحيى بن يحيى الليثي؛ فكان لا يولّي رجلاً الا برأيه، فكان يحيى بن يحيى اذا انكر من القاضي شيئاً قال له : استعف وإلا رفعت بعزلك؛ فكان يستعفي، ويشير يحيى بعزله فيعزل .

نقش خاتمه : عبد الرحمن بقضاء الله راضٍ . وكان له قبل ذلك خاتم باسمه فتلّف وامر بطلبه فلم يوجد ، فاعاد نقش خاتم جدّه عبد الرحمن بعد ان خرج نصر الفتي من عند الامير هذا بالخاتم للنقش، وبعث في عبد الله بن الشمر الشاعر وقال له : ان الامير

امر بنقش هذا الخاتم فقل ما ينقش فيه، فقال :

خاتم للملك اضحى حكمه في الناس ماضي
عابد الرحمن فيه بقضاء الله راضي

فاستحسن ذلك الامير عبد الرحمن وأمر بنقشهما في الخاتم .
صفته : طويل ، اسمر ، اقنى ، اعين ، اكحل ، عظيم اللحية ،
يخضب بالحناء والكتم .

بويج بعد موت ابيه بيوم واحد وذلك يوم الخميس لثلاث
بقين من ذي الحجة سنة ٢٠٦ وهو ابن ٢٣ سنة و ٩ اشهر .

وتوفي ليلة الخميس لثلاث خلون من شهر ربيع الآخر سنة

٢٣٨

كان عمره ٦٢ سنة .

خلافته : ٣١ سنة و ٣ اشهر و ٦ ايام وقيل و ٥ اشهر .

بنوه : المذكور ٤٥ وبناته ٤٢

وفي سنة ٢٠٧ ثارت بتدمير فتنة بين مضر ويمن ودامت ٧
سنين ؛ فاغزى اليهم الامير عبد الرحمن في هذا العام يحيى بن
عبد الله بن خلف . ثم كان يبعث اليهم المرة بعد المرة بالقواد
فيفترقون فاذا قفلوا عادوا الى الفتنة ؛ وكانت بينهم وبين يحيى
ابن عبد الله وقعة تعرف بوقعة المصاراة بلورقة ، انتهى مبلغ

القتلى فيهم الى ثلاثة آلاف . وفيها كان بالاندلس جوع شديد
مات به كثير من الخلق .

وفي سنة ٢٠٨ كانت الغزاة المعروفة بغزاة ألبه والقلاع ،
غزاها عبد الكريم بن عبد الواحد بالصائفة ، واحتل بالثغر ،
وتوافت عليه عساكر الاسلام ، واختلفوا في الدخول على اي
باب يكون الى دار الشرك ، ثم اجتمعوا على ان يكون من
باب ألبه ، اذ كان ذلك الباب انكى للعدو واحسم لدائه ؛
فاقتحموا من فج يقال له : جرنيق ، وكان وراءه بسيط للعدو
فيه خزائنه وذخره ، فوقع أهل العسكر على تلك البسائط
فاستصفوها ، وعلى ذخرك تلك الخزائن فانتهبوها ، واستوعبوا
خراب كل ما مرثوا عليه من العمران والقرى واقفروها .
وانصرف المسلمون غانمين ظافرين والحمد لله .

وفي سنة ٢٠٩ توفي عبد الكريم بن عبد الواحد ، وكان قد
أخذ في الحركة الى ارض العدو فاعتل ، وعوض منه الامير
عبد الرحمن بن الحكم امية بن معاوية بن هشام ، فغزا بالصائفة
الى اوريط فاحتل بها ، وهي يومئذ للاسلام ، فأخذ أهل
الذنوب والريب وعفا عن الباقيين ؛ ثم تقدّم الى شنت برية
وتدمير ، وكان أبو الشماخ رئيس اليمانية يقوم بدعوة الأميين
على المضرية ، وكانت بينهم وقعة بمرسية ، كوقعة يوم المصاراة

بلورقة ، ففي فيها من المسلمين أمم . وكان انبعثت هذه الفتنة
وسببها بين المضرية واليانية على ورقة دالية أخذها مضريّ من
جنان يماني ، فقتله الياني ، فكان ذلك سبب الحروب التي
دارت بين الفريقين واتصلت أعواماً ، وكانت الدوائر تدور
اكثرها على اليانية والقتلى منهم ، وذلك احدى عجائب الدهر .

وفي سنة ٢١٠ أمر الأمير عبد الرحمن ببنيان الجامع بمدينة
جيان . وفيها كتب الى عامل تدمير ان ينزل بمرسية ويتخذها
موطناً ، فكانت حينئذ موضع نزولهم وموضع قرارهم ، وأمر
بهدم مدينة انة من تدمير ومنها ثارت الفتنة اولاً . وفيها افتتح
فرج بن مسرة في ارض العدو حصن القلعة ، وكان مسرة
عامل جيان .

وفي سنة ٢١١ ثار طوريل بتاكرنا فاخرج اليه الامير
عبد الرحمن بن معاوية ابن غانم في حشد فظفر به وقطع عاديته .

وفي سنة ٢١٢ غزا عبيد الله بن عبد الله البلنسي بالصائفة الى
دار الحرب ، فجال في ارض العدو حتى بلغ برشلونة وتورد في
تدوينها وانتسافها ٦٠ يوماً .

وفي سنة ٢١٣ انقطعت الفتنة بتدمير واستنزل أبو الشماخ
وغيره من القلاع ، وانقطعت عاديته ، وصار أبو الشماخ من ولاية
الامير عبد الرحمن ومن ثقاته .

وفي سنة ٢١٤ هـ ضرب اب بصيصه ، واسمه هاشم وسمي
الضراب لانه لما أحرق الحكم طليطلة وانزل اهلها منها الى
السهل اخذ رهائنهم فدخل حينئذ هاشم الضراب قرطبة وصار
يضرب بالمعول في الحدادين أجيراً فعرف بالضراب، ثم خرج من
قرطبة الى طليطلة فاستدعى أهل الشر والفساد وألبهم، قتألب
اليه منهم نفر، فخرجوا يغيرون على العرب والبربر، وتسامع أهل
الشر به فقطعوا اليه حتى اجتمع له منهم جمع عظيم وخلق
كثير، فعلا ذكره وانتشر صيته ووقع بالبربر بشت بوية ودارت
له عليهم دوائر، فاخرج الامير عبد الرحمن اليه محمد بن وسيم
وامره بحربه فحاربه في هذه السنة .

وفي سنة ٢١٦ توافت الجنود لمحمد بن وسيم عامل الثغر ،
فناهض هاشماً الضراب، وكان قد تغلب على جانب الثغر، وكان
عبد الرحمن قد استقصر محمد بن وسيم في حقه وكتب اليه
يعنفه ، فتقدم ابن وسيم والتقى هاشم الضراب ، ف وقعت بينهم
حرب شديدة اياماً ، ثم انهزم هاشم وقتل هو ومن كان معه
وكانوا آلافاً .

وفي سنة ٢١٧ حوصرت ماردة وضيق عليها حتى فر عنها
خلق كثير وقتل منهم كثير .

وفي سنة ٢١٨ كان الكسوف العظيم الذي توارت معه

الشمس وبدت الأظلام ، وكان ذلك قبل زوال الشمس في
اواخر رمضان . وفيها استوزر الامير عبد الرحمن ابن شهيد
واستحجبه . وفيها قامت الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة من
الارجل التي بين السواري الى القبلة .

وفي سنة ٢١٩ غزا بالصائفة امية بن الحكم الى طليطلة
وحاصرها ، ثم قفل العسكر بعد ان اتلف زروعهم وقطع
ثمارهم ، وابقى بقلعة رباح ميسرة الفتي لمحاصرة طليطلة ، فخرج
جمع عظيم من طليطلة يريدون قلعة رباح ، فبلغه خبرهم فجمع
الجموع وكمّن الكمائن ، فلما قربوا منها وقربوا خيلهم في
الغارة خرجت عليهم الكمائن فقتلوا وحزّت رؤوسهم
فجمعت بين يدي ميسرة واجتمع منها جملة عظيمة ، فلما
رأى ذلك ارتاع وداخله الندم ، فلم يلبث بعد ذلك الا يسيراً
حتى مات ندماً واسفاً .

وفي سنة ٢٢٠ غزا الامير عبد الرحمن فجعل صدر وجهته
على طليطلة ، وولى ابا الشماخ قلعة رباح ، وابقى عنده خيلاً
كثيفة ورجلاً كثيرة لمناهضة طليطلة ، وتقدّم هو الى كور
الغرب .

وكان سليمان بن مرتين قد تحيل عليه يحيى الماردي ،
فأخرجه من ماردة ، فكان في قن الجبال حييناً ، فحلّ عليه

الامير في هذه الغزاة وحاصره حتى ضاق سليمان بن مرتين في
الحصن ، فخرج ليلاً ، فبينما هو يمشي اذ وافق صخرة ملساء
على وجه الارض ، فزلق به الفرس فسقط ومات ، ووجدته
رجل فاحتز رأسه وادعى قتله ، ثم عُرف امره .

وفي سنة ٢٢١ افتتحت طليطلة ، وكان السبب في ذلك ان
ابن مهاجر خرج عنها ونزع الى قلعة رباح واستدعى القواد ،
فخرجوا اليه فنهض بهم الى ابواب المدينة وقطع عنهم مرافقهم ،
فكان ذلك اقوى الاسباب في افتتاحها . وكان عبد الواحد
الاسكندراني بعثه الامير اليهم فوجدهم قد بلغ بهم الجهد ، ثم
اطلّ عليهم الامير فافتتحها قهراً ودخلها على حكمه وأمر بتجديد
القصر الذي كان بناه عمروس في ايام الحكم على باب الجسر .
وقيل ان الذي افتتح طليطلة الوليد بن الحكم ، وجهه اليها اخوه
عبد الرحمن .

وفي سنة ٢٢٢ افتتحتها عنوة ودخلها في شهر رجب من هذه
السنة على حكمه .

وفي سنة ٢٢٣ اغزى الامير عبد الرحمن بن الحكم اخاه
الوليد بن الحكم الى جليقية ، فدخل من باب الغرب مع قطع من
العسكر فدوّنّها وكانت له فتوحات كثيرة .

وفي سنة ٢٢٤ اغزى الامام عبد الرحمن ابنه الحكم الى

دار الحرب وامره بالتجوّل في جهات الشغور ليتعرف اخبارها
ومصالحها، وامر باصلاح قنطرة سرقسطة، ودخل الحكم بالصائفة
الى دار الحرب فدوّخها وقتل من المشرّكين ما لا يحصى ،
 واجتمع من رؤوسهم اكدا س كالجبال حتى كان الفارس يقف
من ناحية فلا يرى صاحبه من ناحية اخرى من عِظَمها . وفيها
كانت رجوم بالنجوم في جمادى الآخرة ، وتناثرت الكواكب
من قبلة الى جوف ومن شرق الى غرب بجزيرة الاندلس .

وفي سنة ٢٢٥ غزا الامام عبدالرحمن بنفسه ارض جليقية
ففتح حصونها وجال في ارضها وطالت غزاته وتعب كثيراً . فأرق
في بعض الليالي . فلما كان في بعض الليل حضر عبد الله بن الشر
الشاعر ، فوصف له ارقه وانه تذكر بعض من حنّ إليه ، فقال
عبد الله بن الشر :

عدائيّ عنك قرار العدى ، وقوّدي إليهم لُهاماً مهبياً
وكم قد تعسّفتُ من سبب ، ولاقيت بعد دؤوب دؤوبا
وأدرّ عِ النقع ، حتى لبستُ ، من بعد نضرة وجهي ، شحوبا
الاقى بوجهي سموم الهجير ، وقد كاد منه الحصى أن يذوبا
انا ابن الهشامين من غالب ، أشبُّ حروباً وأطفي كروبا
بيّ أدّارك الله دين الهدى ، فأحييته واصطليت الصليبا
سموتُ إلى الشرك في جحفل ، ملأتُ الحزون به والسهوبا

وفي سنة ٢٢٦ غزا بالصائفة إلى جليقية من بلاد العدو
مُطَرِّف بن عبد الرحمن فتوسَّط بسيطهم وذهب بنعمتهم؛
وكان القائد عبد الواحد بن يزيد الاسكندراني .

وفي سنة ٢٢٧ خرج عبيد الله بن عبد الله صاحب الصوائف،
فلما حصل بين اربونة وسرطانية تجالب الاعداء من كل ناحية
واحاطوا بالعسكر ليلاً فقاتلهم المسلمون الليل كله ، فلما انجلي
الضوء أيَّد الله المسلمين وهزم الاعداء .

وفي سنة ٢٢٨ خرج الامير عبد الرحمن بنفسه إلى أرض
العدو وخلف في القصر ولده المنذر ، وجعل على ميمته ولده
محمدًا ، وعلى الميسرة ولده المطرف ، فلقى جيشاً كبيراً من
المشركين فناشبههم الحرب ، فأنزل الله نصره على المسلمين ،
وهزموا المشركين واثخنوا فيهم القتل ، وافاء الله على المسلمين
من ذراري بنبلونة وخیلهم واسلحتهم ما عظم به من الله
سبحانه المنُّ ، وقفل عزيزاً في منتصف شوال ، وكان خروجه
من قرطبة لتسع بقين من شعبان .

وفي سنة ٢٢٩ خرج الأمير عبد الرحمن لمحاصرة موسى بن
موسى بتطيلة ، فدوَّخ بلاده ثم صالحه ثم تقدَّم الى بنبلونة ، فكانت
له بها وقعة عظيمة على المشركين فني فيها اعداء الله . وكان
معهم موسى بن موسى فناله ورجاله ما نالهم . وفيها ورد

كتاب وهب الله بن حزم عامل الأشبونة يذكر انه حلّ
بالساحل، قبّله، اربعة وخمسون مركباً من مراكب المجوس
معها اربعة وخمسون قارباً؛ فكتب اليه الأمير عبد الرحمن
والى عمال السواحل بالتحقّظ .

دخول المجوس اشبيلية في سنة ٢٣٠

فخرج المجوس في نحو ثمانين مركباً كأنما ملأت البحر طيراً
جَوْنًا ، كما ملأت القلوب شجواً وشجوناً . فحلّوا بأشبونة ثم
اقبلوا الى قادس الى شذونة ، ثم قدموا على اشبيلية فاحتلّوا
بها احتلالاً ، ونازلوها نزالاً ، الى ان دخلوها قسراً ، واستأصلوا
اهلها قتلاً واسراً ، فبقوا بها سبعة ايام ، يسقون اهلها كأس
الحمام . واتّصل الخبر بالأمير عبد الرحمن فقدم على الخيل
عيسى بن سعيد الحاجب ، واتّصل المسلمون به اتصال العين
بالحاجب ، وتوجّه بالحيل عبدالله بن كليب وابن وسيم وغيرهما ،
واحتلّ بالشرف وكتب الى عمال الكور في استنفار الناس ،
فحلّوا بقرطبة ونفر بهم نصر الفقي؛ وتوافت للمجوس مراكب
على مراكب ، وجعلوا يقتلون الرجال ويسبون النساء
ويأخذون الصبيان ، وذلك بطول ثلاثة عشر يوماً . ذكر ذلك
في بهجة النفس . وفي كتاب درر القلائد سبعة أيام كما تقدّم .

وكانت بينهم وبين المسلمين ملاحم . ثم نهضوا الى قبطيل
 فأقاموا بها ثلاثة ايام ودخلوا قورة على اثني عشر ميلاً من
 اشيلية ، فقتلوا من المسلمين عدداً كثيراً ، ثم دخلوا إلى
 طلياطة على ميلين من اشيلية فنزلوها ليلاً وظهروا بالغداة
 بموضع يعرف بالفخارين ، ثم مضوا بمرأيتهم واعتراكوا مع
 المسلمين ، فانهزم المسلمون وقتل منهم ما لا يحصى ، ثم عادوا
 إلى مرأيتهم ، ثم نهضوا إلى شذونة ومنها إلى قادس ، وذلك
 بعد ان وجه الامير عبد الرحمن قواده فدافعهم ودافعوه
 ونصبت المجانيق عليهم ، وتوافت الامداد من قرطبة إليهم فانهزم
 المجوس وقتل منهم نحو من خمسمائة عالج ، واصيب لهم أربعة
 مراكب بما فيها ، فأمر ابن وسيم باحراقها وبيع ما فيها من الفياء .
 ثم كانت الواقعة عليهم بقرية طلياطة يوم الثلاثاء خمس بقين
 من صفر من السنة ، قتل فيها منهم خلق كثير ، واحرق من
 مرأيتهم ثلاثون مركباً ، وعُلق من المجوس باشيلية عدد
 كثير ، ورفُع منهم في جذوع النخل التي كانت بها ، وركب
 سائرهم مرأيتهم وساروا إلى لبلة ، ثم توجهوا منها إلى الاشبونة
 فانقطع خبرهم . وكان احتلالهم باشيلية يوم الاربعاء لأربع
 عشرة ليلة خلت من المحرم من سنة ٢٣٠ ؛ وكان بين دخولهم
 إلى اشيلية وخروج من بقي منهم وانقطاعهم اثنان وأربعون

يوما ؛ وقتل اميرهم فقتلهم الله وأبادهم ، وبدد عددهم واعدادهم ،
 نعمة من الله وعذاباً ، وجزاء بما كسبوا وعقاباً . ولما قتل الله
 اميرهم وافنى عديدهم وفتح فيهم ، خرجت الكتب إلى الآفاق
 بنجرهم وكتب الامير عبد الرحمن إلى من بطنجة من صنهاجة
 يعلمهم بما كان من صنع الله في المجوس وبما انزل بهم من النعمة
 والهلكة ، وبعث اليهم برأس اميرهم وبمائي رأس من انجدهم .
 وفي سنة ٢٣١ غزا بالصائفة الى جليقية محمد ابن الأمير
 عبد الرحمن فحصرها وحصر مدينة ليون ورمها بالمجانيق ؛
 فلما ايقنوا بالهلاك خرجوا ليلاً ولجؤوا الى الجبال والغياض ،
 فأحرق ما فيها وأراد هدم سورها ، فوجد سبع أو ثمان عشرة
 ذراعاً ، فتركه وامعن في بلاد الشرك قتلاً وسيياً .
 وفي سنة ٢٣٢ قحطت الاندلس قحطاً شديداً ، وكانت فيها
 مجاعة عظيمة حتى هلكت المواشي ، واحتوت الكروم ، وكثر
 الجراد .

وفي سنة ٢٣٤ امر الأمير بتوجيه العساكر الى اهل جزيرة
 ميورقة لنكايتهم واذلالهم ومجاهرتهم بِنَقْضِهِم العهد واضرارهم
 بمن مرّ عليهم من مراكب المسلمين ، فغزتهم ثلاثمائة مركب ،
 فصنع الله للمسلمين جيلاً وأظفرهم بهم وفتحوا اكثر جزائرهم .
 وفي سنة ٢٣٤ المذكورة توفي يحيى بن يحيى فاستراح القضاة
 من سبه .

وفي سنة ٢٣٥ ورد كتاب اهل ميورقة ومنورقة الى الامير
عبد الرحمن يذكرون ما نالهم من نكايه المسلمين لهم ، فكتب
اليهم كتاباً أذكر هنا فصولاً منه وهو :

اما بعد فقد بلغنا كتابكم تذكرون فيه امركم واغارة
المسلمين ، الذين وجهناهم اليكم لجهادكم ، واصابتهم ما اصابوه منكم
من ذرايركم واموالكم ، والمبلغ الذي بلغوه منكم ، وما
اسفتم عليه من الهلاك ، وسألت التدارك لأمركم وقبول الجزية
منكم وتجديد عهدكم على الملازمة للطاعة والنصيحة للمسلمين
والكف عن مكروهمهم والوفاء بما تحملونه عن انفسكم ، ورجونا
ان يكون فيما عوقبتم به صلاحكم ، وتمنعكم عن العود الى مثل
الذي كنتم عليه ، وقد اعطيناكم عهد الله وذمته .

وفيها كان سيل عظيم بمجزيرة الاندلس ، حمل وادي شليل
وخرب قوسين من حنايا قنطرة استجة وخرب السداد والارحاء ،
وذهب السيل بست عشرة قرية من قرى اشبيلية على النهر
الاعظم ، وحمل وادي تاجه فاذهب ثمانى عشرة قرية ، وصار عرضه
ثلاثين ميلاً .

وفي سنة ٢٣٦ ثار رجل من البربر يقال له : حبيب البرنسي
بجبال الجزيرة ، وتآبش اليه جماعة من أهل الشر والفساد ،
فأخرج اليه عبد الرحمن الأجناد ، فلما وصلوا اليه ألفوا البربر

قد قصدوا حبيباً ومن تابش اليه، فتغلبوا على المعقل الذي كان
انضوى اليه وأخرجوه عنه ، وقتلوا عدة كثيرة من أصحابه،
وافترق بقيتهم عنه . ودخل حبيب في غمار الناس فكتب
الأمير عبدالرحمن الى عمال الكور بالبحث عنه .

وفي سنة ٢٣٧ قام رجل من المعلمين بشرق الأندلس
فادعى النبوة وتاول القرآن على غير تأويله ، فاتبعه جماعة من
الغوغاء وقام معه خلق كثير . وكان من بعض شرائعه النهي
عن قص الشعر وتقليم الاظفار، ويقول : لا تغيير لحلق . فبعث
فيه يحيى بن خالد فأتي به ، فلما دخل عليه كان أول ما خاطبه
به ان دعاه الى اتباعه والأخذ بما شرع ، فشاور فيه أهل العلم
فأشاروا بأن يستتاب ، فان تاب والا قتل . فقال : كيف أتوب
من الحق الصحيح ؟ فأمر بصلبه ، فلما رُفِع في الحشبة قال :
أتقتلون رجلاً ان يقول ربي الله ! فصلبه وكتب الى
الامير بنجوره .

وفي سنة ٢٣٨ توفي الأمير عبدالرحمن بن الحكم ، رحمه
الله، ليلة الخميس لثلاث خلون من ربيع الآخر من السنة ، وما
زال يقتفي المآثر ويبني المكارم والمفاخر حتى قبضته شعوب ،
وأرداه مُردِي الشعوب .

ذكر بعض اخباره على الجملة وسيره

لما ولي الامير عبد الرحمن بعث في اخوته وأهله ووزرائه
فبايعوه وبايعته العامة ؛ ثم صلى على ابيه الحكم ، فلما قضى
صلاته وواراه جلس بالأرض متطأطأاً ليس تحته وطاء ، وجلس
من كان معه ؛ ثم افتتح القول فقال : الحمد لله الذي جعل
الموت حتماً من قضاؤه وعزماً من امره ، واجرى الامور على
مشيئته فاستأثر بالملكوت والبقاء واذلّ خلقه ، فما لفناء تبارك
اسمه وتعالى جده ، وصلى الله على محمد نبيه ورسوله وسلم
تسليماً ؛ وكان مصابنا بالامام رحمه الله مما جلت به المصيبة
وعظمت به الرزية فعند الله نخسبه واياه نسأل إلهام الصبر
واليه نرغب في كمال الاجر والذخر ؛ وعهد الينا فيكم بما فيه
صلاح احوالكم ولسنا ممن يخالف عهده بل لكم لدينا المزيد ان
شاء الله .

ثم قام عنهم وخرجت لهم الاموال والكساء على اقدارهم .
وكان شاعراً اديباً ذا همة عالية ، وكانت له غزوات كثيرة
وفتوحات في دار العدو شهيرة ، يخرج اليها في العدد الجم
والعسكر الضخم ، يخرب ديارهم ويُعَفِّي آثارهم ، ويقفل
ظافر الاعتلاء قاهر الاعداء ، لم يلق المسلمون معه بوساً
ولم يروا في مدته يوماً عبوساً .

وهو اول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل
وترتيب الخدمة ، وكسا الخلافة ابهة الجلالة ، فشيّد القصور
وجلب اليها المياه ، وبني الرصيف وعمل عليه السقائف ، وبني
المساجد الجوامع بالاندلس وعمل السقاية على الرصيف ، احدث
الطرز واستنبط عملها ، واتخذ السكة بقرطبة وفخّم ملكه .
وفي ايامه دخل الاندلس نفيس الوطا وغرائب الاشياء وسيق
ذلك اليه من بغداد وغيرها ، وعندما قتل محمد الامين بن
هارون الرشيد وانتهب ملكه سيق الى الاندلس كل نفيس
غريب وجوهر نفيس من متاعه وقصد بالعقد المعروف بعقد
الشّبا وكان لربّيدة ام جعفر .

ومن مآثره انه كان ورد عليه يوماً أموال من بسلاده
لأعطيات أجناده ، فادخلت اليه وجعلت الخرائط بين يديه ،
وكان بعث فتيانه فخلا مجلسه اذ ذاك ولم يبقَ أحد هناك ،
حاشا فتى كان بين يديه واقفاً وعلى خدمته الخاصة عاكفاً ،
فغشيت الأمير عبد الرحمن نعسة ظنها الفتى نهزة وفرصة ،
فقبض على خريطة من ذلك المال وأسدل عليها كُمّه أسبغ
اسدال ، والامير يلاحظه بطرف خفي ويصمت عنه صمت
برّ حفي ، ففاز الفتى بماله وناط به أسباب آماله . فلما رجع
الفتيان أمرهم الأمير عبد الرحمن برفع تلك الخرائط المبسوطة

فوجدوا نقصان تلك الخريطة ، فتدافعوا فيها اذ ذاك ، كل يقول لصاحبه : انت أخذتها من هناك ، فقال لهم الأمير : اسكتوا عن هذا فقد أخذها مَنْ لا يردُّها وعائنه من لا يقولها ؛ فكان هذا بما عُدد من كرمه وفضله .

وكانت له جارية تسمى طروب كان بها دنفاً ، فصَدَّت عنه يوماً وأبَدَتْ هجرانه ، فأرسل فيها فامتنعت عليه واغلقت على نفسها بيتاً ، فأمر ببنيان الباب بالخرائط المملوءة من الدراهم استرضاء لها واستعطافاً بوصلها ؛ فلما فتحت الباب تساقطت الخرائط من كل جانب فأخذتها فألقت فيها نحواً من عشرين ألفاً . وأمر لها بعقد قيمته عشرة آلاف دينار فجعل بعض من حضر من وزرائه يعظّم الأمر عليه ، فقال له الأمير عبد الرحمن : ان لا لبسه أنفـس منه خطراً وأرفع قدراً ، ولئن راق من هذه الحصباء منظرها ، ورصف في النفس جوهرها ، فلقد برأ الله من خلقه جوهرأ يغشي الابصار ويذهب بالألباب ، وهل على وجه الارض من زبرجدها وشريف جوهرها اقرّ لعين واجمع لزين من وجه اكمل الله فيه الحسن ونضرتـه ، والقي عليه الجمال بهجته ؟ ثم قال لعبد الله بن الشعر الشاعر وكان حاضراً : هل يحضرك شيء في المعنى ؟ فأنشد :

اتقرن حصباء اليواقيت والشدـر

بمن يتعالى عن سنا الشمس والبدر ؟

بمن قد بَرَّتْ قدماً يدُ الله خلقه ،

ولم يك شيئاً قبله ابداً يبري

فأكْرِمُ به من صنعة الله جوهرأ ،

تضاءل عنه جوهر البر والبحر

فاعجبه الأبيات وطرب بها طرباً شديداً وأنشد الأمير

مرتبلاً :

قريضك يا ابن الشَّمْرِ عَفَى على الشعر ،

وجلَّ عن الأوهام والذهن والفكر

إذا شافَهَتْهُ الاذن أدَّى بسحره

الى القلب إبداعاً ، فجلَّ عن السحر

وهل برا الرحمن ، في كل ما برا ،

أقرَّ لعين من منعمة بكر

ترى الورد فوق الياسمين بجدها ،

كما فُوقَ الروض المنعم بالزهر

فلو انني مُلْكْتُ قلبي وناظري ،

نظمتها منها على الجيد والنحر

ثم أمر لابن الشمر ببذرة فيها خمس مائة دينار، فحُمِلَ مع

الوصيف يحملها له تحت ابطة. فلما تواريا عن الأمير قال له

الوصيف : اين لَدَات العمر يا ابن الشمر ؟ فقال : تحت ابطك
يا سيدي .

ودخل عليه الغَزَّال الشاعر فقال الامير :

جاء الغزال بحسنه وجماله

فقال له الوزير : اجز ما بدأ به الامير . فقال الغزال

الشاعر :

قال الامير مداعباً بمقاله :

جاء الغزال بحسنه وجماله

اين الجمال من امرىءٍ اُرى على

متعدّد السبعين من احواله

اين الجمال له ، الجمال من امرىءٍ

ألقاه ريب الدهر في اغلاله

وأعاده من بعد جدّته بيليّ ،

وأحال رونق وجهه عن حاله

وهي طويّلة .

ومن قول الامام عبد الرحمن ، رحمه الله ، يصف حال المعزول :

أرى المرء بعد الغزل يرجع عقله ،

وقد كان في سلطانه ليس يعقل

فتلقيه جهنم الوجه ما كان والياً ،
ويسهل منه ذاك ساعة يُعزَل

وكتب اليه بعض عماله يسأله عملاً ربيعاً ليس من شاكلته ،
فوقع له في اسفل كتابه : من لم يصب وجه مطلبه ، كان الحرمان
اولى به . ومثل هذا كثير مما يدلُّ على فضله .

خلافة محمد بن عبد الرحمن

ابن الحكم بن هشام

كنيته : أبو عبد الله .

امه : بيهير .

مولده : في شهر ذي القعدة سنة ٢٠٧

وزراؤه وقواده : اثنا عشر .

حجابه اثنا : ابن شهيد ، وابن أبي عبدة .

كتابه ثلاثة : عبد الملك بن أمية ، وحامد بن محمد الزجالي ،

وموسى بن أبان .

قضاته : أحمد بن زياد ، ثم عمر بن عبد الله المعروف بالقبعة ،

ثم سليمان بن أسود العافقي .

نقش خاتمه : بالله يثق محمد وبه يعتصم .

صفته : أبيض مشرب بحمرة ، ربعة أوقص وافر اللحية ،

يخضب بالحناء والكتم .

بنوه : ثلاثة وثلاثون .

بناته : إحدى وعشرون .

بويع يوم الخميس لأربع خلون لربيع الآخر سنة ٢٣٨ ، وهو

ابن ثلاثين سنة وخمسة أشهر .

وتوفي يوم الخميس ليلة بقيت من شهر صفر سنة ٢٧٣

عمره : خمس وستون سنة واربعة أشهر .

وكانت خلافته أربعاً وثلاثين سنة وعشرة اشهر وعشرين يوماً .

وفي سنة ولايته ثار عليه أهل طليطلة وجبسوا العامل

عندهم حتى اطلقت رهائنهم من قرطبة ، وحينئذ أطلقوه .

وفي سنة ٢٣٩ خرج الحكم ابن الامير عبد الرحمن الى

طليطلة بالصائفة ، وكانت قلعة رباح قد اقفرت خوفاً من اهل

طليطلة ، فاحتلها الحكم وامر ببنيان سورها واستوجاع من فرّ

من اهلها اليها . وفيها اخرج الامير محمد الى شندلا قاسم بن

العباس وقام بن أبي العطف صاحب الخيل ، ومعهما الحشم ؛ فلما

حلاّ باندو جر خرجت عليهم كائن اهل طليطلة ووقعت الحرب

وكثر القتل فانهمز قاسم وقام وأصيب ما في العسكر ؛ وفي ذلك

يقول صفوان بن العباس اخو قاسم :

ضرب القاسم يوماً ضرطاً في القرميط

مات منها كل حوت كان في البحر المحيط

وكانت هذه الواقعة في شوال .

وفي سنة ٢٤٠ خرج الامير محمد بنفسه الى طليطلة في

المحرم ، فلما اتصل بأهلها ذلك ارسلوا الى اردن بن اذفونش

صاحب جليقية يعلمونه بحركته ويستمدون به ، فبعث اليهم اخاه

عشون في جمع عظيم من النصارى، فلما اتصل ذلك بالأمير محمد،
وقد كان قارب طليطلة، عمل الحيلة والكيد واستشعر الحزم
فعبأ الجيوش وكمّن الكمائن بناحية وادي سليط، ثم نصب
الردود وطلع في أوائل العسكر في قلة من العدد، فلما رأى
ذلك أهل طليطلة اعلّموا العليج بما عاينوه من قلة المسلمين،
فتحرّك العليج فرحاً وقد طمع في الظفر والغنيمة وانتهاز الفرصة.
فلما التقى الجمعان خرجت الكمائن عن يمين وشمال، وتواترت
الحيل أرسالاً على أرسال، حتى غشي الأعداء منهم ظلل كالجبال،
فانهزم المشركون وأهل طليطلة واخذتهم السلاح هذاً بالسيوف
وطعنأ بالرماح، فقتل الله عامتهم وأباد جماعتهم، وحيز من
رؤوسهم مما كان في المعركة وحواليها ثمانية آلاف رأس،
وجُمعت ورُصّت، فصار منها جبل علاه المسلمون يكبرون
ويهللون ويمجدون ربّهم ويشكرون، وبعث الأمير محمد
بأكثرها إلى قرطبة وإلى سواحل البحر وإلى العدو، وانتهى
عدد من فقد منهم في هذه الواقعة إلى عشرين ألفاً. وكانت في
شهر محرم من السنة.

وفي سنة ٢٤١ شجن الأمير محمد قلعة رباح وطلبيورة بالحشم
ورتب فيها الفرسان وترك فيها عاملاً حرث بن بزيع. وفيها
جدّد الأمير محمد طرز الجامع بقرطبة واتقن نقوشه. وفيها

حشد الأمير محمد ودخل الى ألبه والقلاع وبلغ الى اقصاها
وافتح كثيراً من حصون المشركين .

وفي سنة ٢٤٢ كتب الأمير محمد الى موسى بن موسى
بجشد الثغور والدخول الى برشلونة ، فغزا اليها واحتل بها ،
وافتح في هذه الغزاة حصن طرّاحة ، وهو من آخر احواز
برشلونة ، ومن خمس ذلك الحصن زيدت الزوائد في المسجد
الجامع بسرقسطة ، وكان الذي أسسه ونصب محرابه حنش
الصنعاني (رضه) وهو من التابعين . وفيها وجه الأمير محمد ابنه
المنذر بالجوش الى طليطلة ، فحاصرها وأقام عليها ينسف معاشها .

وفي سنة ٢٤٣ كانت وقعة عظيمة في أهل طليطلة وذلك
انهم خرجوا الى طليطلة فخرج اليهم قائدها مسعود بن عبد الله
العزيز ، بعد ان كمن لهم الكمائن ، فقتلهم قتلاً ذريعاً وبعث
الى قرطبة بسبعمائة رأس من رؤوسهم .

وفي سنة ٢٤٤ خرج الأمير محمد بنفسه الى طليطلة وعددهم
قد قلّ ، وحدّهم قد قلّ بتواتر الوقائع عليهم ونزول المصائب
بهم ، فلم تكن لهم حرب الا في القنطرة ، ثم أمر الأمير بقطع
القنطرة وجمع العرفاء من البنائين والمهندسين واداروا الحيلة
من حيث لا يشعر أهل طليطلة ، ثم نزلوا عنها ، فبينما هم
يجتمعون بها اذ اندقت بهم وتهدمت نواحيها وانكفأت بمن

كان عليها من الحماة والكمأة فغرقوا في النهر عن آخرهم ،
فكان ذلك من أعظم صنع الله فيهم .

وفي سنة ٢٤٥ دعا اهل طليطلة الى الامان فعقده الامير لهم
وهو الامان الاول . وفيها خرج المجوس أيضاً الى ساحل البحر
بالغرب في اثنين وستين مركباً فوجدوا البحر محروساً ومراكب
المسلمين معدة تجري من حائط أفرنجة الى حائط جليقية في
الغرب الاقصى ؛ فتقدم مركبان من مراكب المجوس ، فتلاقت بهم
المراكب المعدة فوافوا هذين المركبين في بعض كور باجة
فاخذوهما بما كان فيهما من الذهب والفضة والسبي والعدة . ومرت
سائر مراكب المجوس في الريف حتى انتهت الى مصب نهر
اشيلية في البحر ، فأخرج الامير الجيوش ونفّر الناس من كل
اوب ، وكان قائدهم عيسى بن الحسن الحاجب ، وتقدمت المراكب
من مصب نهر اشيلية حتى حلت بالجزيرة الخضراء ، فتغلبوا
عليها واحرقوا المسجد الجامع بها ، ثم جازوا الى العدو فاستباحوا
اربابها ، ثم عادوا الى ريف الاندلس ، وتوافوا بساحل تدمير ، ثم
انتهوا الى حصن اوريوالة ، ثم تقدموا الى افرنجة فشتوا بها
واصابوا بها الذراري والاموال ، وتغلبوا بها على مدينة سكنوها
فهي منسوبة اليهم الى اليوم ، حتى انصرفوا الى ريف بحر الاندلس ؛
وقد ذهب من مراكبهم اكثر من اربعين مركباً . ولقيهم مراكب

الامير محمد فاصابوا منها مركبين بريف شذونة فيهما الاموال
العظيمة ، ومضت بقية مراكب المجوس .

وفي سنة ٢٤٦ اغزى الامير محمد بن عبد الرحمن الى ارض
بنبلونة احد قواده ، فخرج في هذه الغزوة خروجا لم يخرج قبله
مثله جمعا وكثرة وكال عدة وظهور هيبة ، وكان غرسية اذ ذاك
متضافرا مع اردون صاحب جليقية ، فأقام هذا القائد يدوِّخ
أرض بنبلونة متردداً فيها اثنين وثلاثين يوماً يخرب المنازل
وينسف الثار ويفتح القرى والحصون ، وافتتح في الجملة حصن
قشتيل ، وأخذ فيه فرتون بن غرسية المعروف بالانقر ، وقدم
به الى قرطبة ، فأقام بها محبوساً نحواً من عشرين سنة ، ثم
ردّه الأمير الى بلاده ، وعمر فرتون مائة وست وعشرون سنة .

وفي سنة ٢٤٧ قال الرازي : غزا محمد بن السليم أرض
الحرب ، وعامل الثغر اذ ذاك عبد الله بن يحيى ، وكان كتب
موسى بن موسى يذكر ما ناله ونال أهل بلده في اداختهم أرض
الجليقيين وما وصل اليهم من النصب ، وسأل ان يكون
دخول العسكر على غير ناحيته ، فأسعف في ذلك ودخلت
العساكر على غير بلده .

وفي سنة ٢٤٨ تقدّم موسى بن موسى لمقاتلة ابن سالم في
وادي الحجارة ، فنالت جراح منعت الركب بعدها وكانت
سبباً لهلاكه ، فتوفي في هذه السنة .

وفي سنة ٢٤٩ خرج عبد الرحمن ابن الأمير محمد الى حصون ألبه والقلاع ، وكان القائد عبد الملك بن العباس ، فافتتحها وقتل الرجال وهدم البنيان وانتقل في بساطها من موضع الى موضع يحطم الزروع ويقطع الثمار .

واخرج اردون بن اذفونش اخاه الى مضيق الفج ليقطع بالمسلمين ويتعرضهم فيه ، فتقدم عبد الملك فقاتلهم على المضيق حتى هزمهم وقتلهم وبددهم ، ثم وافقهم بقية العساكر وأطلقتهم الحيل من كل الجهات ، فصبر اعداء الله صبراً عظيماً ثم انهزموا ، ومنح الله المسلمين اكتافهم فقتلوا قتلاً ذريعاً ، وقتل لهم تسعة عشر قومساً من كبار قوادهم .

وفي سنة ٢٥٠ كملت مقصورة المسجد الجامع بقرطبة وبني فيها الأمير محمد بنياناً كثيراً في القصر الكبير والمنائر الخارجة عنه . ولم تكن في هذه السنة صائفة ، استغني بالغزوة المتقدمة واريح العسكر فيها .

وفي سنة ٢٥١ كانت غزوة ألبه والقلاع ايضاً هزيمة المراكين ، اخزاه الله .

خرج الى هذه الغزاة عبد الرحمن بن محمد وتقدم حتى حل على نهر دويرة وتوالت عليه العساكر من كل ناحية ، فرتبها ثم تقدم فاحتل بفج برذيش ، وكانت عليه اربعة حصون ، فتغلب

العسكر عليها وغنم المسلمون جميع ما فيها وخرّبوها ، ثم انتقل
من موضع الى موضع لا يمرّ بمسكن الا خربه ولا موضع الا
حرقه ، حتى اتّصل ذلك في جميع بلادهم ولم يبق لردريق صاحب
القلاع ، ولا ... صاحب توقّة ، ولا لغندا شلب صاحب برجية ، ولا
لغومس صاحب مسانقة ، حصن من حصونهم الا وعمّه الخراب .
ثم قصد الملاحة ، وكانت من أجلّ اعمال لدرّيق ، فحطم ما حوالها
وعفا آثارها ، ثم تقدّم يؤمّ الخروج على فنج الكوين ، فصدّ العسكر
عنه ، وتقدّم لدرّيق بحشوده وعسكره فحلّ على الخندق المجاور
للمركوين ؛ وكان ردريق قد عانى توعيره اعواماً وسخر فيه أهل
بملكته وقطعه من جانب الهضبة فارتفع جرفه وانقطع مسلكه ،
فنزل عبد الرحمن ابن الأمير محمد على وادي ابره بالعسكر ، وعبا
القائد عبد الملك للقتال ، وعبا المشركون وجعلوا الكمائن على
مينة الدرب وميسرته ، وناهض المسلمون جموع المشركين
بصدورهم فوقع بينهم جلاّد شديد ، وصدق المسلمون اللقاء ،
فانكشف الاعداء عن الخندق وانحازوا الى هضبة كانت تليه .
ثم نزل عبد الرحمن ابن الامير محمد ونصب فسطاطه وامر
الناس بالنزول وضرب ابنتهم ، فقامت المحلّة . ثم نهض
المسلمون اليهم فصدقهم القتال وضرب الله في وجوه المشركين
ومنح المسلمين اكتافهم ، فقتلوا ابرح قتل واسر منهم

١ الغند : الكونت كالتدمس .

جموع ، واستمروا في الهزيمة الى ناحية الاهزون ، واقتحموا
نهر ابره بالاضرار في غير مخاضة فمات منهم خلقٌ كثير
غرقاً ، وكان القتل والأسر فيهم من ضحى يوم الخميس لثنتي
عشرة ليلة خلت من رجب الى وقت الظهر، وسلّم الله المسلمين
ونصرهم على المشركين .

وكان قد لجأ منهم الى الوعر والغياض ، عندما اخذتهم
السيوف ، جموع فتتبعوا وقتلوا ، ثم هتك الخندق وسوّي
حتى سهل وسلّكه المسلمون غير خائفين ولا مضطّعين ؛ واعظم
الله المنّة للمسلمين بالصنع الجميل والفتح الجليل ، والحمد لله
رب العالمين . وكان مبلغ ما حيز من رؤوس الأعداء في
تلك الوقعة عشرين ألف رأس واربعمئة رأس واثنين وسبعين
رأساً .

وفي سنة ٢٥٢ خرج عبدالرحمن ابن الأمير محمد غازياً الى
ألبه والقلاع ، فحارب أهلها وافسد زروعها وغادرها هشيماً ؛
وكان أهل هذا الجانب في ضعف ووهن شديد، منعهم من التجمع
والاحتشاد ما نالهم في العام الفارط من النهب والقتل الذريع .
وفي سنة ٢٥٣ خرج الحكم ابن الأمير محمد غازياً الى
جرنيق ، فجال في ارض الأعداء وحلّ على حصن جرنيق
وحاصره حتى فتحه عنوة . وفيها كانت بالاندلس مجاعة
عظيمة متوالية .

وفي سنة ٢٥٤ خرج الأمير محمد الى ماردة واطهر ان
استعداده لطليطة ، وكان بماردة قوم من المنتزق ، فلما فصل
من قرطبة وتقدّم بالمحلات الى طريق طليطة ، نكب الى ماردة
فاحتلّ بهم وهم في أمن وعلى غفلة ، فتحصّنوا في المدينة اياماً ،
ثم ناهض القنطرة فوقع القتال واشتدّ الحرب حتى غلبوا عليها ،
فأمر الأمير بتخريب رجل منها ، فكان ذلك سبباً لاذعان
أهل ماردة ، فطاعوا على ان يخرج فرسانهم ، وهم يومئذ
عبد الرحمن بن مروان وابن شاكر ومكحول وغير هؤلاء ،
وكانوا أهل بأس ونجدة وبسالة مشهورة ، فخرج المذكورون
ومن هو مثلهم الى قرطبة بعيالهم وذرائعهم ، وولّى عليها
سعيد بن عباس القرشي وأمر بهدم سورها ، ولم تبق الا قصبتها
لمن يريد من العمال .

وفي سنة ٢٥٥ خرج الحكم ابن الامير محمد وقصد مدينة
سرية ، وكان قد تغلّب بها سليمان بن عبدوس وخالف فيها ،
فبادرت الصائفة وحلّت به العساكر واحدقت بالمدينة ، ورميت
بالمجانيق حتى هتكت اسوارها ، فقام اهلها على سليمان بن عبدوس
فطاع ونزل فقدم به قرطبة فسكنها .

وفي سنة ٢٥٦ غدر عمروس عامل وشقة وملكها وظهرت
عاديته في الثغر ، فاخرج الامير اليه قطعاً من الحشم والعدة

وقصد بها لاردة ابن مجاهد المعروف بالتدميري فلزمها ، وحشد عبد الوهاب بن مغيث الحشود وقدم عليهم عبد الأعلى العريف ، وبعثه الى وشقة ، فلما بلغ عمروس خبره خرج عن وشقة ، واسر بها لب بن زكريا بن عمروس ، وكان أحد قتلة عامل السلطان بها موسى بن علند ، فقتل لب وعلق من السور .

وفي سنة ٢٥٧ خرج الى الثغر عبد الغافر بن عبد العزيز ، وكان بتطيلة ، فقبض على زكريا بن عمروس وعلى أولاده وجماعة من أهل بيته ونزل بهم على باب مدينة سرقسطة وقتلهم بها وقفل الى قرطبة بالرووس .

وفي سنة ٢٥٨ كانت في الثغر ثورات وحركات منها ان مطرفاً واسماعيل ابني لب ويونس بن زنباط غدروا بعبد الوهاب ابن مغيث عامل تطيلة وابنه محمد عامل سرقسطة ، فنقبضوا عليهما وملكوا في هذا العام الثغر ، وكان توثب مطرف في صفر ، ودخل اسمعيل سرقسطة في ربيع الاول .

وفي سنة ٢٥٩ خرج الامير محمد بنفسه الى الثغر وحلّ في وجهه بطليطلة وأخذ رهائئهم وعقد امانهم وقاطعهم على قطيع من العشور يؤدونه في كل عام ، وهو الامان الثاني . واختلفت اهواؤهم في عملهم ، فطلب قوم منهم تولية مطرف ابن عبد الرحمن ، وطلب آخرون تولية طريشة ، فولّي كل واحد

منهما جانباً وتقسماً المدينة وأقاليمها على حدود مفهومة معلومة .

ثم تنازعا واراد كل واحد منهما الانفراد بملك طليطلة ، ثم غلب الداعون الى تقديم طريشة بن ماسويه وتأخير مطرف المذكور ؛ وكان الأمير محمد تتلقاه في وجهته هذه في الارتحال والاحتلال طلائع الظفر وبوادر النجج والنصر ، وتجوّل في الثغر محاصراً لبني موسى ومضيفاً عليهم ؛ ثم تقدّم الى بنبلونة فطوى ارضها وأذلّ أهلها وخربها وقفل فحلّ بقرطبة ، ومعه جماعة من الثوار الناكثين المفسدين ، فلما اخذ راحته أمر بقتل مطرف بن موسى وبنيه ، وأمر باطلاق كاتبهم ، وكان لا ذنب له . فلما أخرج مطرف وبنوه للقتل واخرج كاتبهم للاطلاق ، وكان يعرف بالأصبحي ، قال : لا خير في العيش بعد هؤلاء . فقدم للقتل قبلهم ورفعت رؤوسهم .

وفي سنة ٢٦٠ خرج المنذر ابن الأمير محمد الى سرقسطة وبنبلونة ، وكان القائد هاشم بن عبد العزيز ، فاحتلّ سرقسطة وانتهب زروعها وأذهب ثمارها وأشجارها ونقل أطعمتها الى وشقة ، وتقدّم الى بنبلونة فجال في أرضها واتلف معاش أهلها . وفيها كانت المجاعة التي عمّت الأندلس ومات فيها أكثر الخلق .

وفي سنة ٢٦١ هرب ابن مروان الجليقي من قرطبة مع رجال ماردة المنزلين منها واستقروا بقلعة الحنش ، فغزاه الأمير محمد وحاصره حصاراً قطعته وضيق عليه مدة من ثلاثة أشهر ألجأه فيها الى أكل الدواب ، وقطع عنه الماء ورماه بالمجانيق حتى اذعن وطلب الامان ؛ وشكا ثقل الظهر وضيق الحال فاباح له الامير الرحيل الى بطليوس والحلول بها ، وهي يومئذ قرية ، فخرج عنها وقفل عنه .

وفي سنة ٢٦٢ خرج المنذر ابن الامير محمد الى ابن مروان ، وكان القائد هاشم بن عبد العزيز وهو الذي كان سبب هروب ابن مروان لانه قال له من بين الوزراء : الكلب خير منك ، وأمر بصفع قفاه واستبلغ في خزيه ، فهرب مع اصحابه وذلك في خبر طويل ؛ وكان ابن مروان قد ابتنى في بطليوس حصناً وجعله موطناً وادخل فيه اهل ماردة وغيرهم من اهل المكاثبة له على الشر ، فلما انتهى الى ابن مروان تحرك العسكر اليه تنقّل عن بطليوس وحلّ بحصن كركر ، واجتمع اهل ماردة اليه فيه ، فنزل العسكر بمقربة من الحصن ، وكان هاشم قد بعث الى منت شلوط خيلاً ورجلاً لضبطه ، وكان سعدون الرماري قد دخل بمدد من المشركين واطهر انه في قلة ، فكتب عامل حصن منت شلوط الى هاشم ، فرأى هاشم ان ذلك فرصة في سعدون فبادر

بالخروج عن العسكر على غير تعبئة ولا اهبة في خيل قليلة ،
وافحص هاشم وجاوز الوعر وابتعد عن العسكر ، فأخذت المضائق
عليه ، وناسبوه القتال ، فأخذته جراحٌ وقُتِلَ من أصحابه جماعة
واسر هاشم المذكور .

ولما اتَّصل خبر هاشم بالامير محمد وقع في جانبه وقال :
هذا أمر جناه على نفسه بِطَيْشِهِ وعجلته . ثم ردَّ ولده عوضاً
منه وحصل هاشم اسيراً بيد ابن مروان الذي صفعه في اسره
في قرطبة ، فبرَّه ابن مروان واكرمه وأحسن اليه ولم يعاقبه
بما فعل معه .

وفي سنة ٢٦٣ خرج المنذر ابن الامير محمد وجعل طريقه على
ماردة ، فلما انتهى ذلك الى ابن مروان زال عن بطليوس ،
واحتلَّ بها قائد المنذر الوليد بن غانم فخرَّب ديارها ، وتقدَّم
ابن مروان على بلاد العدو .

وفي سنة ٢٦٤ حارب المنذر سرقسطة وأفسد ما ألقي من
زروعها ، ثم تقدَّم الى تطيلة والمواقع التي صار فيها بنو موسى
فانتسفها واجال العسكر عليها . وفيها دخل البواء بن مالك
من باب قلنبرية الى جليقية بحشود العرب ، وتردد هنالك حتى
اذهب نعيمهم . وفيها انطلق هاشم من الاسر .

وفي سنة ٢٦٥ ظهرت الفتنة وظهر الشر في جانب كورة

رية والجزيرة وتاكرنا ، وظهر يحيى المعروف بالجزيري ، فغزاه هاشم فاذعن له وقدم به الى قرطبة .

وفي سنة ٢٦٦ خرج عبدالله ابن الأمير محمد الى كورة رية ونواحي الجزيرة وبنى حصوناً في تلك النواحي ثم قفل . وفيها أمر الأمير محمد بإنشاء المراكب بقرطبة ليتوجه بها الى البحر المحيط الرعيطي المعروف بابن مغيث ، وكان قد رفع اليه رافع ان جليقية من ناحية البحر المحيط لا سور لها ، وان أهلها لا يمتنعون من جيش ان غشيم من تلك الناحية ، فلما كملت المراكب بالانشاء قدّم عبد الحميد بن مغيث عليها ، فلما دخل البحر تقطعت المراكب كلها وتفرقت ولم يجتمع بعضها الى بعض ونجا ابن مغيث .

وفي سنة ٢٦٧ التاث الحصون المبتناة بوية وتاكرنا وجهة الجزيرة . وفيها ابتداء شرّ عمر بن حفصون الذي أعيا الخلفاء امره وطالت في الدنيا فتنته وعظم شرّه ، فقام في هذه السنة على الأمير محمد بناحية رية ، فتقدم اليه عامر بن عامر فانهمزم عامر واسلم قبضته ، فأخذها ابن حفصون ، وهو اول رواق ضربه ، فاستكن اليه أهل الشر ، وعزل الامير عامراً عن كورة رية وولاهها عبد العزيز بن عباس ، فهادنه ابن حفصون وسكنت الحال بينهما .

ثم عزل عبد العزيز وتحرك ابن حفصون وعاد الى ما كان عليه من الشر ، وخرج هاشم بن عبد العزيز الى كورة رية يطلب كل من كشف وجهه في الفتنة واظهر الخلاف ، واخذ رهاث اهل تاكرنا على اعطاء الطاعة .

ومن العجائب في هذا العام ما ذكره الرازي وغيره قال : زلزلت الارض بقرطبة زلزلاً شديداً ، وهاجت ريح عند صلاة المغرب فاثارت سحاباً فيه ظلمة ورعد وبرق ، فصعق ستة نفر وانقلبوا على ظهورهم ، مات اثنان وخر جميع الناس سجداً الا الامام فانه ثبت قائماً ، وكان الرجلان اللذان ماتا اقرب الناس الى الامام ، فاحترق شعر احدهما واسود وجهه وشقه اليسر ، والآخر ظهر بشقه اليمين سواد ، والاربعة الصرعاء مكثوا حتى فرغ الامام ، فسئلوا عما احسثوا فقالوا : احسنا نارا كأنها الموج ثقيل ؛ ووجد اهل المسجد رائحة النار ولم يوجد للصاعقة اثر في سقف ولا حائط ، واهتزت لهذا الزلزال القصور والجبال وهرب الناس من القصور الى الصحارى ضارعين الى الله تعالى ، وعمّ هذا الزلزال من البحر الشامي الى آخر الجوف والى آخر ارض الشرك لم يختلف في ذلك مختلف .

وفي سنة ٢٦٨ خرج المنذر ابن الامير محمد والقائد هاشم بن عبد العزيز فقصد الثغر الاقصى وحطم سرقسطة وافتتح حصن

روطة ، ثم تقدم الى ألبه والقلاع وافتتح حصوناً كثيرة واخلى
حصوناً كثيرة خوفاً من معرّة العسكر وتوقعاً من تغلبه .
وفيها فسد ما بين المنذر وبين الوزير هاشم بن عبدالعزيز .

وفي سنة ٢٦٩ قال الرازي : وفي سنة ٢٦٩ غزا محمد بن
امية بن شهيد الى كورة رية وكورة البيرة ، وكانوا بحال
توحّش ونفار ، فسكّن احوال اهلها وهدن الناس بها ونظر
في استنزال رجال ببحال رية وغيرها من بني رفاعه وغيرهم .

وفي سنة ٢٧٠ استم محمد بن شهيد استنزال بني رفاعه ،
وأثاه في هذه الغزاة كتاب الامير محمد بتولية عبدالعزيز بن
العباس كورة البيرة فولاه وقفل . وفيها غزا هاشم كورة رية
واستنزل عمر بن حفصون من جبل بربشتو وقدم به قرطبة ،
فأنزله الامام وأوسع له في الاكرام .

وفي سنة ٢٧١ هرب عمر بن حفصون من قرطبة ولجأ الى
جبل بربشتو ، فانتدب الأمير محمد الى حربه ، وحوصر في
السنة الآتية .

وفي سنة ٢٧٢ خرج عبدالله ابن الامير محمد والقائد هاشم
وقصد الغرب الى ابن مروان ، وهو يجبل أشر وغيره ،
فنازله وحاربه .

قال حيان بن خلف في عمر بن حفصون : هو كبير الثوار

بالاندلس ، ونسبه عمر بن حفصون المعروف بحفص بن عمر
ابن جعفر بن شتيم بن ذبيان بن فرغلوش بن اذفونش من مسالة
الذمة من كورة تاكرنا من عمل رندة ، وكان الذي اسلم
منهم جعفر بن شتيم ، ففشا نسله في الاسلام ، وكان له من
الولد الذكور عمر وعبد الرحمن ، فولد عمر بن جعفر حفصوناً
وولد هذا حفصون عمر هذا الثائر الملعون ، فعمر هذا هو
الذي ثار على الامير محمد أولاً ، ثم بلغ بعد ذلك في الشقاق
والفتن منزلة لم يبلغها ثائر بالاندلس ، واستوطن لاول تفاقه
حصن بربشتر قاعدة وحضرة ، وهي امنع قلاع الاندلس ، وذلك
في هذه السنة ، وهو تاريخ صعوده الآخر اليها الذي توطد له
ملكه ، وخالف على السلطان حتى رضي عنه بالمتاركة ، واتصلت
ايامه في ظهور وعزّة حتى قدم فيها ثلاثة من خلفاء المروانيين
ائمة الجماعة بالاندلس رحمهم الله ، أولهم هذا الامير محمد ،
وتخلّف بعدهم الى ان هلك على يد الرابع منهم وهو عبد الرحمن
الناصر على ما يأتي مفسراً .

وفي سنة ٢٧٣ خرج المنذر ابن الامير محمد الى كورة رية ،
والقائد محمد بن جهور ، فقصده مدينة الحامة ، وفيها حارث بن
حميدون من بني رفاعة ، وكان مظاهراً لعمر بن حفصون وكان قد
اجتمعوا بالحامة ، فنازلهم وناهضهم واحدق بهم من كل ناحية واقام

محاصراً لهم شهرين، فلما وصل اليهم الضيق برزوا الى باب المدينة خارجاً مستتبين للحرب، وقام بها فنالته جراحٌ وشلّت يده ثم انهزم هو واصحابه وصاروا بين قتيل وفيل، ودخل باقيهم في الحامة . فبينما المنذر في هذه الحال من السرور اذ اتاه الخبر بموت ابيه الامير محمد بن عبد الرحمن ليلة الخميس لليلة بقيت من شهر صفر من السنة ودفن في القصر، وادركه المنذر قبل مواراته وصلى عليه .

بعض أخباره وسيره

كان الامير محمد رحمه الله فصيحاً بليغاً عظيم الاناة متزهراً عن القبيح، يؤثر الحق واهله، لا يسمع من باغٍ ولا يلتفت الى قول زائع، وكان عاقلاً على اخلاق جميلة ومكارم حميدة، ذا بديهة وروية، يرى كل من باشره وحدثه ان له الفضل المستبين في ادراكه وفهمه ودقة ذهنه ولطيف فطنته وجزالة رأيه، وكان اعلم الناس بالحساب وطرق الخدمة، وكان متى اعضل منها شيئاً رجع اليه فيه، واذا اخل احد من خزانته واهل خدمة الحساب شيئاً من ذلك لم يجز عليه باللحظة والنظر .

ولقد استدرك على بعض خزانته، في سك يشتمل على مائة ألف دينار، خمس درهم، فردّ السك وأمر بتصحيحه فتجمع الخدمة

والكتاب عليه فلم يقعوا على ذلك النقصان لدقته وخفائه ،
فرجعوا اليه معترفين بالتقصير واعلموا الرسول ، فردوا الصك
اليه واعلموه باعترافهم ، فعلم على موضع الخطأ فاذا هو خمس
درهم .

وقال هاشم بن عبد العزيز : كان الامير محمد ، رحمه الله ،
أصح الناس عقلاً ، وأحسنهم تمييزاً ، وأبصرهم بوجه الرأي ،
وكان يستشيرنا فنجتهد ونقول ونحصل ، فان أصبنا أمضى ذلك ،
وان كان في الرأي خلل قام فيه بالحجة وأبانه بما تعجز الاوهام
عنه تنقيحاً وتهذيباً .

وبما يحفظ عنه انه قال لهاشم في شيء أنكره عليه من عدم
التثبت : يا هاشم ، من آثر السرعة أفضت به الى الهفوة ، ولو
انّا أصغينا نحو زلاتك وأصغنا الى هفواتك لكنا شركاءك في
الزلة وقسماءك في العجلة ، فمهلاً عليك رويداً بك ، فانك ان
تعجل يعجل لك . وكان مع تثبته واثاته وفيّاً لمواليه في انفسهم
وأعقابهم لا يكدر عنده كادح في شيء عن احدهم فيسمع
أو يُسمع .

ولقد ولّى الكتابة عبد الملك بن عبد الله بن امية اصطناعاً
له وعائدة عليه ، فردّ عليه يوماً جواباً يقول فيه : قد فهمنا
عنك ولم نأت ما أتيناه عن جهل بك ، لكن اصطناعاً لك

وعائدة عليك ، وقد أنجنا لك الاستعانة بأهل اليقظة من الكتاب ، فختير منهم مَنْ تثق به وتعتمد عليه ، ونحن نعينك على امرك بتفقد كتبنا والاصلاح عليك ، الى ان تركب الطريقة وتبصر الخدمة ان شاء الله تعالى . فحسده على الخطة لشرفها مَنْ رأى نفسه أولى بها لاستكمال ادواتها ، فطولب عليها ، وكان أشد الناس في ذلك هاشم بن عبد العزيز يثير سقطاته ويتتبع هفواته ويشنع عليه ، والامير محمد بفطنته يتغافل له ، فلما طال عليه الصبر دعا هاشماً وقال له : قد أكثر أهل خدمتنا وأكثر في هذا الكاتب ، تذكرون جهله وفدامته ، وقد ضممننا اليه من الكتاب مَنْ يستعين به ويستظهر على خدمته بمكانه ، وانما نقفوا بخدمتنا ونسلك بمراتبنا طريق مَنْ ابتدأها وأسسها ووضع أهلها فيها ، واذا كنا لا نخلف آباءكم بكم ولا نخلفكم بأبنائكم فعند مَنْ نضع احساننا ونرُبُّ أبادينا ، أعند ابناء الفرّانين او الجزارين وامثالهم ؟ وانت كنت أحق بالحض على هذا وتصويب الرأي فيه لما ترجو من مثله في اولادك وعقبك . فرجع هاشم الى الشكر له وتقبل يده ورجله .

وكان رحمه الله مأمولاً محبوباً في جميع البلدان ، وكان محمد ابن افلح صاحب تاهرت لا يقدم ولا يؤخر في اموره ومعضلاته الا عن رأيه وأمره ، وكذلك بنو مدرار بسجلماسة ؛ وكان فردلند

ملك افرنجة يسترجع عقله فيهاديه ويتحفه، وهو، اعني فردلند،
الذي عمل صورة عيسى من ثلاثائة رطل من ذهب خالص وحفها
باليافوت والزبرجد وجعل لها كرسيّاً من ذهب خالص مفصص
باليافوت والزبرجد أيضاً، فلما كمل ذلك سجد له واسجد له
جميع اهل افرنجة في ذلك التاريخ، ثم دفعه الى صاحب كنيسة
الذهب برومة .

وكان الامير محمد رحمه الله مهتلاً بامور رعيته مراقباً
لمصالحها، ووضع عن اهل قرطبة ضريبة الحشود والبعوث . وقال
ابن حيان : كانت عدة الفرسان المستنفرين لغزو الصائفة المجردة
الى جليقية مع الولد عبدالرحمن ابنه، على التسمية الفصلة من
ذلك : كورة البيرة ألفان وتسع مائة ؛ جيان ألفان ومائتان ؛
قبرة ألف وثمان مائة ؛ باغة تسع مائة ؛ تاكرنا مائتان وتسعة
وتسعون ؛ الجزيرة مائتان وتسعون ؛ اسجة ألف ومائتان ؛
قرمونة مائة وخمسة وثمانون ؛ شدونة ستة آلاف وسبع مائة
وتسعون ؛ رية ألفان وستائة ؛ فحص البلوط اربعمائة ؛ مورور
ألف واربعمائة ؛ تدمير مائة وستة وخمسون ؛ رينة مائة وستة ؛
قلعة رباح واوريط ثلاثائة وسبعة وثمانون .

قال : ونفر من اهل قرطبة لهذه الغزوة عدد لم يوقف على
قدره ، وكان هذا العدد الذي غزا به بعد ان رفع الضريبة التي

كانت على أهل قرطبة وأقاليمها وغيرها من البلاد وقطع عنهم الحشود، التي كانوا يؤخذون بتجديدها في كل سنة للصوائف الغازية لدار الحرب، واسقطها عنهم ووكلمهم إلى اختيار أنفسهم في الطوعية للجهاد من غير بعث، فحسن مدفع ذلك منهم وتضاعف حمدهم له وشكرهم واعتباطهم بدولته .

وذكر جماعة من المؤرخين عن بقيّ بن مخلد أنه قال : ما كلّمت أحداً من ملوك الدنيا أكمل عقلاً ولا أبلغ فصلاً من الأمير محمد، دخلت عليه يوماً في مجلس خلافته، فافتتح الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثم ذكر الخلفاء خليفة خليفة، فحلى كل واحد منهم بحليته ووصفه بصفته، وذكر مآثره ومناقبه بافصح لسان وأبلغ بيان حتى انتهى إلى نفسه فسكت .

وفي صدر من دولته سعي به إليه رحمه الله، وذلك أنه لما قدم بقيّ بن مخلد من المشرق عن رحلته الطويلة بما جمع من العلوم الواسعة والروايات العالية والاختلافات الفقهية، اغاظ ذلك فقهاء قرطبة أصحاب الرأي والتقليد الزاهدين في الحديث، العارين من علوم التحقيق، المقصرين عن التوسّع في المعرفة، فحسدوه ووضعوا فيه القول القبيح حتى الزموه البدعة وشنّوه إلى العامة، وتخطى كثير منهم برميهم إلى الإلحاد والزندقة، وتشاهدوا

عليه بغليظ الشهادة داعين إلى سفك دمه ، وخاطبوا الأمير
محمدًا في شأنه يعرفونه بأمره ويكثرّون عليه بكل ما يرجون
به الوصول إلى سفك دمه ، ويسألونه تعجيل الحكم فيه ، فاشتدّ
خوف بقيّ بن مخلد جدًّا واستتر خوفًا على دمه ، وعمل على
الفرار عن الاندلس إن أمكنه ذلك ، فأرشده الله إلى التعلّق
بجبل هاشم بن عبد العزيز وسؤاله الأخذ بيده ، وكتب إلى
الأمير محمد ينشده الله في دمه ويسأله التثبّت في أمره والجمع
بينه وبين خصومه وسماع حجته ، فيأتي في ذلك بما يوفقه الله
له . فالتقى الله في نفس هاشم الاصغاء إلى شكواه والاعتناء
بأمره ، فشر له عن ساعده وأوصل كتابه إلى الأمير محمد
بشرح حاله ، فعطف عليه واتهم الساعين به إليه ، فأمر بتأمين
بقيّ بن مخلد واحضاره مع الطالبين له ، فتناظروا بين يديه ،
فادلى بقيّ بحجته وظهر على خصومه ، واستبان للأمير محمد
حسداهم إياه لتقصيرهم عن مداه ، فدفعهم عنه وتقدم إليه بمطأطأة
قدمه ونشر علمه ، وأمر بإيصاله إليه في زمرة الفقهاء والرفع
من منزلته ، فاعتلى ذروة العلم ولم يزل عظيم القدر عند الناس
وعند الأمير محمد إلى أن مات رحمه الله .

وفي صدر دولته توفي عالم الاندلس طرًّا عبد الملك بن
حبيب وذلك في رمضان سنة ٢٣٩ ، وهو عبد الملك بن سليمان

ابن مروان بن جهلة بن عباس بن مرداس السلمي، يكنى ابا هارون، اوله من كورة البيرة، ونقله الأمير محمد الى قرطبة ، بل نقله ابوه عبد الرحمن بن الحكم .

وكان محمد بن عمر بن لبابة يقول : عالم الاندلسيين عبد الملك بن حبيب ، وعاقلها يحيى بن يحيى ، وفقهها عيسى ابن دينار .

قال ابن وضاح وغيره : لم يقدم الأندلس احد افقه من سحنون الا انه قدم علينا مَنْ هو اطولُ لساناً منه ، يعني ابن حبيب ، وكان ابن حبيب أديباً نحويّاً حافظاً شاعراً متصرفاً في فنون العلم من الاخبار والانساب والاشعار ، وله مؤلفات حسان في الفقه والادب والتواريخ كثيرة ، وكانت علته التي مات منها الحصى ، وتوفي سنة اربع وستون سنة . وكتب إلى الامير عبد الرحمن بن الحكم في ليلة عاشوراء :

لاتنس ، لا ينسك الرحمن ، عاشورا ،
واذكره لا زلت في الاخبار مذكورا

من بات في ليل عاشوراء ذا سعة ،
يكن بعيشته في الحول محبورا

فارغب فديتك فيما فيه رغبنا
خيرُ الورى كلهم حيّاً ومقبورا

وخرج الامير محمد بن عبد الرحمن الى الرصافة متنزهًا
ومعه هاشم بن عبد العزيز، فكان بها صدر نهاره على لذته، فلما
امسى واختلط الظلام انصرف إلى القصر وبه اختلاط ، فأخبر
من سمعه وهاشم يقول له : يا ابن الخلائف ما أطيب الدنيا
لولا الموت ! فقال له الامير : يا ابن اللخناء لحنت في كلامك ،
وهل ملكنا هذا الملك الذي نحن فيه إلا الموت؟ فلولاً الموت
ما ملكناه أبدًا .

وكان الامير محمد رحمه الله غزاة لاهل الشرك والاختلاف،
وربما اوغل في بلاد العدو الستة الاشهر والاكثر يحرق وينسف .
وله وقعة وادي سليط وهي من امهات الوقائع ، ولم يعرف
بالاندلس قبلها مثلها ، وفيها يقول عباس بن مرداس ، وشعره
يكفيننا من حفتها وهو :

ومؤتلف الاصوات مختلف الزحف،

لهوم الفلا ، عبل القبائل ، ملتف

إذا اومضت فيه الصوارم خلقتها

بروقاً ، تراءى في الحِمَام وتستخفي

كأن ذرا الاعلام ، في ميكلانها ،

قراقير في يَمِّ عجزن عن القذف

وان طحنت اركانها كان قطبها
حجبا مَلِكٍ ، ندب شمالك ، عَفَّ

سَمِيَّ ختام الانبياء محمد ،
إذا وُصِفَ الاملاكُ جُلَّ عن الوصف

فمن اجله يوم الثلاثاء غدوة ،
وقد نفض الاصباح ، حلّى عرى السجف

بكى جبلاً وادي سليط ، فأعولا
على النفر العبدان والعصبة الغلف

دعاهم صرير الحين ، فاجتمعوا له ،
كما اجتمع العجلان للبقر في وقف

فما كان الا ان رماهم ببعضها ،
فولوا على اعقاب مهزولة كشف

كانّ مساعير الموالي عليهم
شواهيق جادت للغرائق بالنسف

بنفسي تنازين الوغى ، حين جمعت ،
الى الجبل المشحون ، صفّاً على صف

يقول ابن يوليس لموسى ، وقد تأى :
 ازى الموت قدامي وتحتي ومن خلفي
 قتلنا لهم الفاً والفاً ومثلها ،
 والفاً والفاً بعد الف الى الف
 سوى من طواه النهر في مُسَلِّحِيَّه ،
 فأغرق فيه او تَدَادَا مِنْ جرف

قال ابو عمر السالمي : كانت أولى غزواته الى بلد العدو ،
 وقد حشد لها وجنّد وصوّب كيف شاء ، وقد الفى العدو وقد
 ضاق بخيله الفضاء الواسع والمكان الداني والشاسع ، وهو
 متأهب للقاءه متوجه الى تلقائه ، فخامر الأمير محمداً الجزع
 وشابه الروع والفرع ، وظنّ ان لا منجاة من الكفار وان
 المسلمين هناك طعم الشفار ، فرأى من الحزم الأوكد ،
 والنظر الأحمد الأرشد ، الرجوع عن تلك الحركة ، لقوله تعالى :
 « ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة » ، فقام رجل فقال : ايها
 الأمير قال الله تبارك وتعالى : « الذين قال لهم الناس ان
 الناس قد جمعوا لكم » الآية . فقال له الأمير محمد : والله ما
 حذرت نفسي إلا انه أرى لمن لا يطاع ^١ ، ولست استطيع ان
 اجاهد وحدي . فقال له العتيبي : والله ما أراه قذف بها على

^١ ارى لمن لا يطاع : كذا في الاصل ، ولعل صوابها : لا رأي لمن لا
 يطاع ، وهو من كلام الامام علي .

لسانه إلاً ملكاً، فاستخر الله في ليلك هذا وفي يومك . فأراه الله في مقابلة العدو الرشاد والهمة التوفيق والسداد ، فندب الناس الى لقاء أعداء الله ونصر دينه ، وان يكون كل على احسن ظنه من الظفر ويقينه .

فلما انعقدت راياتهم ، وتأكدت على المقارعة نياتهم ، قدّم عليهم الأمير محمد ابنه المنذر اذ كان مشهوراً باللباس محبوباً في الناس ، فسار المسلمون الى ان التقى الجمعان والتفتّ الفريقان ، فأعقب الله لاوليائه ظفراً ونصراً وجعل بعد عسر يسراً . قال : ولم يؤذن مؤذن الظهر الا ومن رؤوس الاعداء جملة آلاف مقطوعة لأعداء الله ، وذلك من فضل الله . وفي هذا الفتح يقول العتيبي يمدح الامير محمداً في قصيد طويل اذكر هنا بعضه وهو :

سائلٌ عن الثغر الصوارم تصدق ،
واستنطق السمير العوالي تنطق
تركت وقائع في الثغور ، وقد غدت
مثلاً بكل مغرب ومشرق
وأداخ أرض المشركين بوقعة ،
تركتهُم مثل الأشياء المحرقا
جادت عليهم حربه بصواعق ،
تركتهُم مثل الرماد الأزرق

١ الاشاء : صغار النخل .

خلافة المنذر بن محمد

ابن عبد الرحمن بن الحكم

كنيته : أبو الحكم .

مولده : سنة ٢٢٩

امه : تسمى ايل ، ولدته لسبعة اشهر .

وزراؤه : احد عشر .

كتّابه اثنان : سعيد بن مبشر ، وعبد الملك بن عبد الله
ابن امية بن شهيد .

حاجبه : عبد الرحمن بن امية بن شهيد .

قواده : سبعة .

قاضيه : ابو معاوية عامر بن معاوية اللخمي .

نقش خاتمه : المنذر بقضاء الله راضٍ .

صفته : اسمر ، جعد الشعر ، بوجهه أثر جدري ، يخضب
بالحنا والكتّم .

أولاده : الذكور خمسة والاناث ثمان .

ببيع يوم الاحد لثمان خلون من ربيع الأول سنة ٢٧٣ ، وهو

ابن أربع وأربعين سنة وسبعة عشر يوماً .

وتوفي في غزاة له على يربشترو يوم السبت للنصف من صفر سنة
٢٧٥ . عمره ست واربعون سنة .

خلافته : سنتان الا سبعة عشر يوماً ، ودفن بقصر قرطبة
وصلى عليه اخوه عبد الله جدّ الناصر .

واتصل به موت ابيه وهو على حصن الحامة يقاتل المرتدّ
اللعين عمر بن حفصون، فقفل الى قرطبة وتمّت له البيعة في اليوم
الثاني من وصوله، ففرق العطاء في الجند وتجبّب الى اهل قرطبة
والراعايا بان اسقط عنهم عشر ذلك العام وما يلزمهم من جميع
الغرم .

وكانت اكثر حصون رية قد حصلت في طوع ابن حفصون،
فبعث اليها الامام المنذر الاجناد فانصرفت الى الطاعة .

ولما بلغ ابن حفصون موت الامير محمد ، وانصرف عنه
المنذر على ما تقدّم ، نهض من فوره فراسل الحصون التي بينه
وبين الساحل كلها، فاجابته وطاعت له، ونهض الى باغة وجبل شيبة
فاخذ من الاموال ما لا يوصف، كل ذلك منه بلا قوة ولا كثرة
من مال ولا عدد، ولكنه كان عذاباً من الله ونقمة انتقم بها من
عبيده . واتّفق له زمان هرج وقلوب قاسية فاسدة ونفوس
خبثية متطلعة الى الشرّ مُشرّبة الى الفتنة، فلما ثار وجد من
الناس انقياداً وقبولاً للمشاكلّة والموافقة ، فتألّبت له الدنيا ،

ودخل الى الناس من جهة الأنفة وقال : طالما عنف عليكم
السلطان وانتزع اموالكم وحمّلكم فوق طاقتكم واذلّتكم
العرب واستعبدتكم ، وانما أريد أن اقوم بئاركم واخرجكم من
عبوديتكم .

فكان ابن حفصون لا يورد هذا على أحد الا اجابه وشكره ،
فكانت طاعة أهل الحصون بهذا الوجه ، وكان أتباعه سُطّار
الناس وشرارهم ، فكان يمينهم بفتح البلاد وغنائم الاموال ؛ وكان
مع ذلك متحبيّاً لاصحابه متواضعاً للأئمة ، وكان مع شره وفسقه
شديد الغيرة حافظاً للحرمة ، فكان ذلك مما يميل النفوس اليه .

ولقد كانت المرأة في أيامه تجيء بالمال والمتاع من بلد الى
بلد منفردة لا يعترضها احد من خلق الله ؛ وكانت عقوبته
السيف ، يصدق المرأة والرجل والصبي أو من كان على من كان ،
لا يطلب على ذلك شاهداً اكثر من الشكوى ، وكان يأخذ
الحق من ابنه ، ويبرّ الرجال ويكرم الشجعان ، واذا قدر
عليهم عفا عنهم ، وكان يسوّرهم بأسورة الذهب اذا اختلوا ،
فكانت هذه الاشياء كلها عوناً له .

وانتهى ابن حفصون بعاديته الى قبرة وما أمامها الى قرية
الجالية ، وأغار على القبذيق من البيرة وعلى أحواز جيان ،
وأسر عبد الله بن سماعة عامل باعة ، وكان اجتمع الى حصن

أشرس من حوز رية ، وبمقربة من قبرة ، جمع الشر من أصحاب
ابن حفصون فراع أهل قبرة أمرهم وهابوهم ؛ واتصل بالأمير
المنذر خبرهم فأرسل اصبع بن فطيس في خيل كشيقة الى حصن
أشرس ، فحاصروهم حتى افتتحه وقتل من كان فيه ، واخرج
الأمير المنذر عبد الله بن محمد بن مضر وايدون الفتى بجيل الى
ناحية لجانة من قبرة ، وكان بها مسلحة لابن حفصون ، فنازلوهم
وقاتلوهم حتى افنوهم .

قال الرازي : وفي سنة ولاية الامام المنذر غزا محمد بن
لب الى ألبه والقلاع ، ومعه جموع المسلمين ، ففتح الله للمسلمين
وقتلوا المشركين قتلاً ذريعاً .

وفي هذه السنة ، اعني سنة ٢٧٣ في جمادى الاولى ، أمر الأمير
المنذر بسجن هاشم بن عبد العزيز وزير أبيه وخاصته ، وأمر بقتله
في جمادى الاولى . وسبب ذلك ان هاشماً كان يُحسدُ لمكانه
من الأمير محمد وخاصته به ، فكانوا يسعون به عند المنذر
ويكررون ذلك عليه حتى تنافرت النفوس . فلما مات الأمير
محمد وولي المنذر اراد ان يفي له ويتبع فيه فعل أبيه ، فولاه
الحجابه . ثم تمالؤوا عليه واكثرؤا وصرفوا عليه الكلام وتأولوا
عليه أقبح التأويل حتى نفذ قضاء الله فيه ؛ وكان بما تأولوا
عليه ان هاشماً انشد عند مواراة الامير محمد رحمه الله :

أَعَزِّي يا محمد عنك نفسي ،
امينَ الله ذا المنن الجسام
فهلاً مات قوم لم يموتوا ،
ودو فعنك لي كأس الحمام !

فتأولوا انه يريد بقوله لم يموتوا المنذر . وكتب هاشم من
حبسه الى جاريته عاج :

واني عداني ان ازورك مطبق ،
وباب منيع بالحديد مضبب
فان تعجبي يا عاج مما أصابني ،
ففي ريب هذا الدهر ما يُتعجب
تركتُ رشاد الامر ، اذ كنتُ قادراً
عليه ، فلاقيت الذي كنتُ أُرهب
وكم قائل قال : انج و يحك سالماً ،
ففي الارض عنهم مستواد ومذهب
فقلت له : ان الفرار مذلة ،
ونفسي على الاسواء احلى وأطيب
سأرضى بحكم الله فيما ينوبني ،
ومما من قضاء الله للمرء مهرب

فمن يك أمسى شامتاً بي ، فانه
سينهل في كأسه وشيكاً ويشرب

ثم بعث فيه الامير ليلاً فقتله وسجن أولاده وحاشيته
وانتهب ماله وهدم داره والقي أولاده في السجن والزهمهم غرم
مائتي ألف دينار ، فلم يزالوا في السجن والغرم الى موت المندر
وولاية اخيه عبدالله ، ثم أطلقهم عبدالله وصرف عليهم ضياعهم
وولى احدهم الوزارة والقيادة . وفيها كانت الوقعة على أهل
طليطلة وكانوا قد جيئوا البربر المنفيين من ترجيلة فقتل منهم
ألف .

وفي سنة ٢٧٤ خرج الامير المندر بجيوشه الى عمر بن
حفصون ، فافتتح حصونه برية والحصون التي بجبهة قبوة ، ثم توجه
الى حضرته بربشتر فحاصره فيها وأفسد ما حواله وضيق عليه ،
ثم انتقل عنه الى ارجذونة ، وبها عيشون ، فاقام عليها محاصراً لها
ومضيقاً على أهلها الى ان نبذوا عيشوناً واهله واسلموه بذنبه ،
فدخلها الأمير المندر وقبض على عيشون وأصحابه ، وظفر أيضاً
ببني مطروح ، وهم حرب ، وعون وطالوت ، وافتتح حصونهم
بجبل باغة وأتي بهم الى الأمير اسارى ، فبعث ببني مطروح الى
قرطبة وأمر بقتلهم وصلبهم ، وكانوا اثنين وعشرين رجلاً ، فصلبوا
بأجمعهم وصلب مع عيشون في الحشبة خنزير وكلب . وكان

السبب في ذلك ان عيشوناً كان يقول : اذا ظفر بي فليصلبني
وليصلب عن يميني خنزيراً وعن يساري كلباً . وكان يثق بنفسه
في القتال ثقةً شديدةً ، ويأمن من أن يؤخذ لشدة وشجاعته ،
فلما يئس الامير منه دس الى بعض أهل ارجذونة بأن يتحيل
في أخذ عيشون ، فأجابه ووعد بأخذه ، فلما كان في بعض
الايام دخل بيت أحدهم بغير سلاح وقد استعد له بكبل ،
فأوثق به وبعث به الى الامير .

شأن عمر بن حفصون في ايام المنذر رحمه الله

ولما كان في العام الثاني من ولايته ، وهي هذه السنة المؤرخة ،
خرج في عديده الاكثر وقصد بربشتر ، فحل عليها احفل
احتلال وقاتل ابن حفصون بها اشد قتال ، وانتشرت خيله
في تلك الاقطار واستولت على السهول والاوعار ، ثم عطف
الامير الى مدينة ارجذونة ليتبرها تتبيراً ويؤتي اهلها يوماً
عبوساً قمطريراً ، لدخولهم في طاعة ابن حفصون ونزوعهم
الى ما نزع اليه اهل تلك الحصون ، فخرجت رسلهم الى الامير
فتكلمته بالسمع والطاعة والدخول في جمهور الجماعة ،
فتقبل نزوعهم وآنس جميعهم ، وتغلب على القصة اثر
ذلك وأسر عامل ابن حفصون هنالك ، واستمر اللعين ابن

حفصون على ضلالتة وغيه ولم يثن عناناً عن عاديته وبغيه ،
فخرج اليه الامير ثاينة وحاصره حصاراً وقد عدم ابن حفصون
اعواناً وانصاراً .

فلما رأى الامير أخذ بمخنقه وسدّ افواه طرقه ، اعمل
سوابح الفكر في الخديعة والمكر ، ليعتصم بذلك من تلك
الجلال المنصوبة والاشراك المعترضة المضروبة ، فظهر الانابة
الى الطاعة وشهر النصيحة جهد الاستطاعة ، على ان يكون
عند الامير من خاصة جنده وقطان قرطبة باهله وولده ،
وان يلحق ابنه في الموالي ويتابع الاحسان قبلكه ويوالي .
فاجابه الامير الى مطلبه بأكد الايمان وكتب له بذلك
مبادراً عقد الامان ، وقطع لاولاده ارفع الثياب واوقرت
لهم الدواب بالاموال والاسباب اسباعاً عليهم بالافضال وتوسيعاً
لهم في الاماني والآمال ، وسأل مائة بغل يجعل عليها جملة
متاعه وعباله ، وجعل طلبها قوة لمكره واحتياله ، فامر الامير
بالبغال ان تحمل اليه وتوضع بين يديه ، وقد جعل عليها
عشرة من العرفاء بمائة وخمسين فارساً اتماماً للاكرام وانعاماً
على انعام .

فارسل عمر بن حفصون جميعهم الى بربشتو حيث اهلـه
وولده وطريقته من المال ومثله ، وانحل العسكر عن الحصن

اذ ذاك وقفل القاضي والفقهاء عن تمام الصلح من هناك ،
وظنّهم قد غلب لا كذب ولا مَين ، وان قد نيل من الراحة
من شعبه املاءً وقُرّةُ عين .

فلما انقضّ جمع ذلك العسكر وانتقض ذلك المعسكر ،
ودخل الليل وامتدّ للقاتك الذيل ، هرب عمر بن حفصون من
ذلك الحصن وسار الى بربشتر في ظل الامن ، فلقى العرفاء
فناصبهم القتال واخذ تلك البغال ، وعاد الى سيرته الاولى ،
وقال لشيعته انا ربّكم الاعلى ، فأقسم الامير المنذر ان يقصده
ويحلّ عليه ، ولا يقبل منه او يلقي بيده اليه ، فأعمل الغزو الى
بربشتر وجمع لها الجمع الاكبر .

فلما احتلّ عليها امر ان يحدق بها ويحاط بجوانبها ،
وان يعتزم لقاتها اعتزاماً ويلتزم محاصرتها التزاماً ، فظهر
من حزم الامير المنذر وعزمه ما يؤسّ معه ابن حفصون من
البقاء في تلك الحصون ، فبقي الامير على حصن بربشتر يرومه
روماً مدة من ثلاثة وأربعين يوماً ، وكان قد اصابته علة
اكذبت نفسه وكدرت أنسه ، فبعث في اخيه عبد الله لينوب
منابه وينتدب في تلك الحال انتدابه ، فلما وصل اليه
وحمل في المظلة لديه ، خرجت في الحين روحه وبكاه من
كان يغدوه ويروحه ، فوقع الحرم في العسكر اثر موته

وتفرّق الناس عند فوته ، ولم يقدر عبد الله على ضبطهم
عندما انخل من ربطهم ؛ واستطال عمر بن حفصون في المحلّة
وانتهبها بالجملة ، وحُمِلَ الامير المنذر على جمل الى قرطبة
ودفن مع أجداده هنالك ، وصار عند الناس أهون مفقود
وأيسر هالك ، اذ كان قد اضطرّهم في ذلك المقام وندبهم
الى الثبات هنالك والمقام .

وفي هذه السنة كان القحط الشديد بالاندلس فاستسقى الناس
فنزل ثلج كثير في اول يوم من يناير ولم ينزل غيث ، ثم
استسقوا مراراً فلم يمتروا ، فخامر الناس القنط ، فلما دخل
من فبراير بعض أيام سقي الناس وارتفع الباس ، فاستبشروا
بفضل الله واعلنوا بشكره ، فقال العكي في ذلك ويمدح
الامير المنذر :

نزل الحيا المحيي وطابت انفس ،
قد كان سوء الظن فيها يهيجس

أحيا الاله عباده ، من بعد ما
كانت من القنط النفوس توسوس

متلافياً فيه بعائد رحمة ،
لولا عوائدها طوتنا الأبئوس

ملك الملوك تقدّست اسماءه
الحسنى ، وعزّ جلاله المتقدس

ومنها :

بالمندر المأمون طاب زماننا ،
وبطبيب دولته تطيب الانفس

الى قوله :

خُذْهَا امين الله وابن امينه
من شاكر ، في الشكر ليس يدلس

وفي سنة ٢٧٥ توفي الامير المنذر رحمه الله ، وقد ذكر
موته على حصن بربشتر ، محاصراً للخيث ابن حفصون ، وكانت
وفاته منتصف شهر صفر من السنة المذكورة ، وهو ابن ست
واربعين سنة ، وملك سنتين الا اياماً .

بعض سيره واخباره

كان الامير المنذر رحمه الله يحب اخوته ويكرمهم ويديني
مجالسهم ويصلهم ويحضرهم مجالس انسه ؛ وكان يجزل العطاء
للشعراء وينشدونه غازياً وراجعاً ، وكان من شعرائه احمد بن
عبد ربه والعكي وغيرهما ، ولم يكن أحد من الخلفاء قبله مثله

شجاعةً وصرامةً وعزماً وحزمًا؛ ولقد بلغ في سنة بذلك ما لم يبلغه غيره في الدهر، ولقد كان أبطال الرجال وأنجادهم من اهل الفتنة يدعون اليه دون محنة ويرسلون اليه بالطاعة قبل ان يطلبها. وان الجبر المستفيض عن الشيوخ انه لو عاش المنذر عامًا واحدًا زائدًا لم يبق بزية منافق . واخباره تدلُّ على ذلك .

واول اخباره الدالة انه لما اتاه موت ابيه لم يمنعه ذلك من التعرّيج عن القصد واختصار الطريق ، ولا شغله مهم ولا أمر جليل عن آخر، فجعل طريقه على رية فهذب امورها وولى عليها سليمان بن عبد الملك بن اخطل وعبد الرحمن بن حريش، وادخل معهما اهل المعاهد من العرب والحشم . ثم جمع في يوم واحد مبايعته واعطاء الجند والنظر فيما اسقط من الأزمّة عن الرعية ، وما فعله من الاستجماد الى اهل قرطبة باسقاط العشور عنهم ، والنظر في النذب واخراج القائد ؛ وهكذا كان فعله في جميع اسبابه ، وبحسب ذلك كان انقياد الاشياء اليه .

خلافة عبد الله بن محمد

ابن عبد الرحمن بن الحكم

كنيته : أبو محمد .

مولده : في النصف من ربيع الآخر سنة ٢٢٩

امه : تسمى بهار ، وقيل : عشار .

حجّابه اثنان : عبد الرحمن بن شهيد وابن السليم .

وزرائه : ستة وعشرون .

كتّابه ثلاثة : عبد الله بن محمد الزجاجي ، وعبد الله بن

محمد بن أبي عبيدة ، وموسى بن زياد .

صفته : أبيض مشرب بحمرة ، أصهب ، أزرق ، أفنى الأنف ،

ربعة ، يخضب بالسواد .

بنوه : احد عشر ، اقدمهم محمد المقتول والد عبد الرحمن

الناصر .

بناته : ثلاث عشرة .

بويع في اليوم الذي مات فيه اخوه المنذر في المحلّة على

بربشتو ، وذلك يوم السبت في النصف من شهر صفر من سنة

٢٧٥ ، ثم قفل الى قرطبة بأخيه المنذر ميتاً ، فاستمّ البيعة بقرطبة

ودفن أخاه بغيرها .

وتوفي عبد الله سنة ٣٠٠ وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .
فكانت خلافته خمساً وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً .
ومن قول ابن عبد ربه فيه :

خلافه عبد الله حجّ على الوري ،
فلا رفت في عصره وفسوق

تجلّت دياجي الحيف عن نور عدله ،
كما ذرّ في جنح الظلام شروق

وثقّف سهم الدين بالعدل والتقى ،
فهذا له نصل وذلك فوق

وما عاقه عنها عوائق ملكه ،
وامثالها عن مثلهن تعوق

وافضت الخلافة اليه وقد تحيّفها النكت ومزقها الشقاق
وحلّ عراها النفاق ، والفتنة مستولية ، والدجنة متكاثفة ،
والقلوب مختلفة ، وعصا الجماعة متصدعة ، والباطل قد أعلن ،
والشر قد اشتهر ، وقد تمالأ على أهل الايمان حزب الشيطان ،
وصار الناس من ذلك في ظلماء ليل داج لا اشراق لصباحه ولا
افول لنجومه ، وتألّب على أهل الاسلام اهل الشرك ومن
ضاهاهم من اهل الفتنة ، الذين جردوا سيوفهم على أهل الاسلام ،

فصار اهل الاسلام بين قتيل ومحروب ومحصور يعيش مجهوداً ويموت هزلاً ، قد انقطع الحرث وكاد ينقطع النسل ، ففاضل بجهد وحمى بجدّه ، وجاهد عدو الله وعدوه وانقطع الجهاد الى دار الحرب ، وصارت بلاد الاسلام بالاندلس هي الشغل المخوف ، فكان قتال المنافقين واشباههم اوكد بالسنة وألزم بالضرورة .

فاول ما تناوله ونظر فيه ان وجّه ابراهيم بن حميد لاختد بيعة ابن حفصون وبيعة من قبله ، فقصد ابراهيم اليه وقصد طاعته ، فظهر منه حسن مذهب ، فاخذ بيعته وصدر عنه ، وقدم معه حفص ابنه وجماعة من اصحابه ، وأخذت عليهم البيعة وردّهم الامير محبوبين بالكرامة والرعاية ، فبقي ابن حفصون سامعاً مطيعاً منتهياً عما نهى عنه ، واقفاً عند ما أمر به ، ثم تعدّى بعد ذلك حدّه ومدّ يده الى ما نهى عنه ، فلم يدع مالاً عند من امكنه ، واستحوذ على اهل الكور في اموالهم وامضى نفسه على عادته الذميمة من الفساد وقطع السبل ، وذلك في سنة ولاية الامير عبد الله .

وفي سنة ٢٧٦ خرج الامير عبد الله بنفسه الى بربرشت وحصون رية ، فانتسف معايشها وقفل عنها وقد شدّت تلك الناحية وابقي بحاضرة رية محمد بن ذقين من أهل قرطبة ، فخرج ابن

حفصون في اثره وتآلف اليه المفسدون فأتوا الى اسجة فاحتلوها ثم الى حصن اسجة فاخذوه ، فاخرج اليهم الامير جيشاً فنزل ابن حفصون واعترف بذنبه فعقد له الامير اماناً . وفي هذه السنة ولي محمد ابن الامير عبدالله كورة اشيلية ، فخرج في ايامه بعض عرب اشيلية الى قرمونة فضبطوها . وفيها ثار عبد العزيز التجيبي المعروف بالانقر . وفيها نقض ابن حفصون وقصد بيانة فحارب أهلها ، ثم اعطاهم العهد ، فلما نزلوا اليه غدرهم وقتلهم وأخذ اموالهم وسبى ذرارهم . وفيها انتقض أهل جيان واخرجوا عاملها عباس بن لقيط ، وملكها ابن شاكر .

وفي سنة ٢٧٧ ولد عبد الرحمن الناصر . وفيها غزا القائد ابن ابي عبدة الى جيان ، وفيها ابن شاكر مخالفاً ، فحاربه وحاصره وقتل جماعة من اصحابه وأحرق كثيراً من دور جيان . وفيها خرج حفص بن المرة الى سوّار وكمّن له الكمائن وأغار عليه ، فلما خرج سوار في طلبه خرجت عليه الكمائن فقتل . وفيها قتل ابن شاكر الثائر بجيان ، وسبب قتله ان ابن حفصون اراد ان يراجع طاعة الامير وان يتقرب اليه بقتل ابن شاكر ، فبعث اليه خيلاً يريد ان يمده على عدوه ، فأقبل المدد اليه ، فلما خرج اليهم فتكوا به وقتلوه وبعثوا برأسه الى ابن حفصون ، فبعث به الى الامير عبدالله ؛ وعند ذلك توجه ابن

حفصون الى جيان فاغرم اهلها الاموال الجسيمة ، وأقامت
جيان والبيرو مدة دون عامل من الامير .

وفي سنة ٢٧٨ خرج الامير عبد الله الى بلاني من عمل قبورة ،
وبها عدو الله ابن حفصون مع جماعة كبيرة من اصحابه اهل
الفساد والارتداد ، وكانوا قد أضرّوا بأقاليم قرطبة وضيّقوا عليهم
حتى أغاروا على اغنام قرطبة ، فخرج اليهم الامير مستهلاً صفر
واحتلّ به ، فناهضه وصادقه القتال ، فانهزم هو ومن معه ولجأ
الى حصنه مع ملائ من اصحابه ، وعوجل عشيره عن الدخول معه
واتّبعوا فلم يخلص منهم احد ، فبات الامير قري عين ، والمسلمون
قد أخذوا عليه تلك الليلة الباب رجاء ان يأتي الصباح فيؤخذ
داخل الحصن .

ثم خرج منه مع بعض اصحابه ونجا ونجوا ، ولما اصبح أعلم
السلطان بنخبره فارسل الحيل في اثره فلم يُعلم له خبر .
ودخل الامير الحصن يوماً آخر فوجده مُتَرَعّاً بالذخّر ملان
من العدد . وكان عدد عسكر الامير ثمانية عشر ألف فارس ،
وقيل ان ابن حفصون الب اهل حصون الاندلس كلها ، واقبل
اليه في ثلاثين الفاً ووقعت الحرب بينهم ، فانهزم عدو الله وقتل
اكثر من كان معه ، ودخلت جملة منهم في محلة الامير فامر
بالتقاطهم ، فأتي بالف رجل منهم فقتلوا صبراً بين يديه . هكذا
ذكر في بهجة النفس .

ثم قصد الامير استجة فنازلهم وحاربهم وقتل لهم عدداً كثيراً ، فلما اخذهم الجهد رفعوا الاطفال على الايدي في الاسوار مستصرخين ضارعين راغبين في العفو فعفا عنهم .

وفي سنة ٢٧٩ غدر اهل ارجذونة باحمد بن هشام ، ونقض ابن حفصون ما كان انعقد من سلمه وطوعه .

وفي سنة ٢٨٩ توجه المطرف بن عبد الله بالجيش الى ابن حفصون ببزبشتر ، فحاصرها وهتك جميع ما حوالها . وفيها امر الامير عبد الله ببنيان حصن لوشة وابقى عليه ادريس بن عبيد الله . وفيها دخل اذفونش بن اردن مدينة سمورة وبنائها وكانت من بنيان عجم طليطلة .

وفي سنة ٢٨١ اغزى الامير عبد الله عبد الملك بن امية فتقدم الى حصون ابن مستنة ونازل حصن اشتر وحاربه وقتل من اهله عدداً كثيراً ، وهدم حصن السهلة ، ثم قفل الى قرطبة .

وفي سنة ٢٨٢ غزا بالصائفة المطرف ابن الامير عبد الله وقاد الصائفة عبد الملك بن امية ، فلما كان بمقربة من اشبيلية قبض على القائد عبد الملك وقتله ، وقدم على قيادة العسكر احمد بن هاشم ، واقام العسكر في الموضع اربعة ايام ؛ وكتب اماناً لأهل اشبيلية وأماناً لأهل شذونة ، فدانت له وقبض جبايتها ودوّن تلك البلاد ، ثم رحل الى اشبيلية فناشبههم الحرب ،

فانهزم أهل اشيلية ووقع فيهم القتل الى سور المدينة ، ثم
أجاز الوادي ففتبّع القرى بالنسف والتغوير .

وفي هذه السنة ضمّ المطرف ابن الأمير عبد الله ابراهيم بن
حجاج وابن خلدون وابن عبد الملك الشذوني الى السجن ،
واوثقهم في الحديد ، وقطع لسان سحنون الكاتب وضرب ظهره .
وفيها أتت جباية اشيلية ، وعندما أتت أُطلق بنو حجاج وابن
خلدون والشذوني من سجن قرطبة .

ذكر ثورة بني حجاج باشيلية

وذلك ان ابراهيم بن حجاج ترك ولده رهينة بقرطبة
ورجع الى بلده اشيلية ، فتوزّع كورتها على نصفين خرج ابراهيم
بالنصف وابن خلدون بالنصف ، وبقي كذلك أعواماً . وكان
الأمير عبد الله قد أخذ في الضرب بينهما ، ويكتب كل واحد
منهما بما يراه من صاحبه ، فلما كان في بعض الايام كتب
ابراهيم بن حجاج وكريب بن خلدون الى الامير عبد الله في
مصلحتهما ، وكتب معهما خالد بن خلدون أخو كريب يغري فيه
بابراهيم بن حجاج عند الأمير ويقول انه في قبضتهم . فكتب
له جوابه على نص كتابه وخرج الحامل بالكتب اليهم ، فسقط
له كتاب خالد الذي كان بعث للأمير ، فأخذه بعض قتيان القصر

فقرأه وعلم ما فيه فدفعه لرسول ابراهيم بن حجاج وقال له :
اسبق به مولاك . فلما وصل الرسول والكتاب الى ابراهيم
علم حقيقة ما يحتوي عليه ابنا خلدون من سوء الباطن ، وكان
هذا في سنة ٢٨٦ ، فعند ذلك تلطّف ابراهيم في طعام ودعا
ابني خلدون فوصلا اليه ، فلما استقرّ المجلس بهم اخذ ابراهيم
في عتاب كريب واخيه خالد واخرج الكتاب الذي بعث به
الامير اليهما واوقفهما عليه وابلغ في عتابهما واكثر في ذلك
عليهما ، فاخرج خالد سكيناً كانت في كمّه فضرب بها رأس
ابراهيم بن حجاج فمزق قلنسوته وضربه في وجهه . فلما صدر منه
ذلك نهض ابراهيم ودعا من حضر من رجاله فعلوهما بالسيوف
حتى قتلوهما ، والقي رأسيهما الى اصحابهما ورجلتهما فتفرّقوا ،
وتتبّعهم ابراهيم بالقتل والنهب ، ودفن اجساد ابني خلدون ،
وانقاد له جميع أهل الكور الملاصقة لاشبيلية ، وخاطب
عند ذلك الامير عبد الله يتبرّأ له من دمهما ويقول انهما كانا
يحملانه على النكث وانه الآن على الطاعة ، وطلب منه ولاية
اشبيلية فاجابه الامير الى ذلك وانفرد ابراهيم بولاية اشبيلية ،
فاجتنبى الاموال واصطنع الرجال ، وارتقى في الاحوال
وامتدّت لفضائله الآمال ، وكان له حميد آثار وجميل اخبار
فاق بها اهل عصره ، وحسن في الآفاق طيب ذكره .

ولم يزل بعد ذلك ابراهيم بن حجاج يبسط على الامير
عبد الله الى ان سأل اطلاق ولده عبد الرحمن الرهين عنده ، فلم
يسعفه الامير عبد الله في ذلك ، فنبتد ابراهيم الطاعة عند ذلك
وظاهر ابن حفصون وامتد بالمال والرجال نكاية للامير عبد الله ؛
فقويت شوكة ابن حفصون وازداد به طماعية ، وفي خلال
ذلك لم يزل ابراهيم يدسس ويرسل من يشير على الامير باطلاق
ولده ويضمن له عوده الى الطاعة ، حتى وافق السلطان على ذلك
فاطلق عبد الرحمن بن ابراهيم واعظم الاحسان اليه ، وجدّد
له السجل على بلده اشبيلية ؛ فعاد ابراهيم الى ما كان اولاً عليه
من الطاعة واستقامت احوال تلك النواحي على يديه .

قال حيان بن خلف : لما ملك ابراهيم بن حجاج اشبيلية
وقرمونة وما والاها ، ارتفع ذكره وبعد صيته واتخذ لنفسه
جنداً ورتّب لهم الارزاق كفعل السلطان ، فكمل في مصافه
خمس مائة فارس .

وكان لابراهيم بن حجاج في بساط السلطان بقرطبة قوم
يقفون في حقه ويعلمونه بما عند السلطان من حاله وينصحونه في
أمره ، فعند ذلك أطلع عما كان عليه من موافقة ابن حفصون
واعترف بحق أمير الجماعة ، فعامله الأمير بما شهر له من الفضل ،
وكانت منزلته عنده أعلى منزلة الى ان توفي رحمه الله .

وذكر حيان أيضاً قال : كان لابراهيم بن حجاج في بلده
اشبيلية قاضٍ يقوم بالحكم وصاحب مدينة يقيم الحدود ، جرى
في ذلك كله مجرى السلطان في حضرته .

قال : وكان فظاً على أهل الريب ، قامعاً لأهل الشر ،
وكان منتجعاً على البر والبحر ، مقصوداً بالغرائب والطرف ؛
وكانت له باشبيلية طُرُز يطرز فيها على اسمه كفعل السلطان
اذ ذاك . وكانت قرمونة تحت مملكته وهو الذي حصنها وحسن
بنيان سورها ، وفيها كانت مرابط خيله المتخذة لركوبه ؛ وبينها
وبين اشبيلية كان ترداده سائر أوقاته . وكان جواداً ممدحاً ،
يرتاح للثناء ويعطي الشعراء ، ويضاهي في فعله كبار الأمراء ،
ويعقد أهل البيوتات والشرف بالعتاء ؛ وكان أهل قرطبة
متعرضين لسيده فيكرمهم ويصلهم .

وقد انتجعه شاعر منهم الأكبر ابو عمرو احمد بن عبدربه
ما بين جميع ثوار ذلك الوقت بالاندلس ، فعرف قدره وأفضل
عليه ، ومن قوله فيه يصف تنقله من اشبيلية الى قرمونة :

ألا ان ابراهيم لُجَّةٌ ساحِلِ
من الجود أرسى فوق لجة ساحل

فأشيلة الزهراء تزهو بوجهه ،
وقرمونة الغراء ذات الفضائل

إذا ما تحلّتْ تلك من نور وجهه ،
غدت هذه للناس في زيّ عاطل

وان حلّ هذي فهو يوحش هذه ،
فتهدى برسل نحوه ورسائل

وهي طويلة ؛ ومن قوله ايضاً فيه من قصيد طويل :

كتاب الشوق يطويه الفؤاد ،
ومن فيض الدموع له مداد

تخطّ يد البكاء به سطوراً
على كبدي ، ويمليها السهاد

وكيف وبى فؤاد مستطير
بمن لا يستطير له فؤاد ؟

أمن بمن يكون الجود خلواً ،
وابراهيم خاتمها الجواد

وباركه بمن يأتيه حج ،
ومدحته رباط او جهاد

ومالي في التخلف عنه عذر ،
ولي في الارض راحلة وزاد

ولأحمد بن عبد ربه في ابراهيم بن حجاج اشعار كثيرة
ولغيره من الشعراء . وذكر ابن أبي الفياض ان محمد بن يحيى
القلقاط الشاعر القرطبي قصد الامير ابراهيم بن حجاج يمدحه
بقصيدة نونية اولها :

ارقت رحلتي فأهمت جفونا

ثم اخذ في هجاء عشيرته اهل قرطبة وكبرائها وعظماء
دولتها ، فافحش عليهم . فلما أنشد القصيدة لابراهيم بن حجاج زها
به وحرمه واساء ذكره ، فانصرف خائباً من نواله جانباً ثمرة
فعاله ومقاله ، فلما وصل قرطبة اخذ يهجو ابراهيم بن حجاج
بقصيدة اولها :

لا تنكري للبين طول بكائي

فلما بلغ الشعر ابراهيم اغضبه فاوصى من قال له عنه يميناً
مغلظة إن عاد لما وقع فيه امرتُ بأخذ رأسه بقرطبة على فراشه ،
فارتاع القلقاط المذكور لذلك وكفَّ ، فكان هذا الفعل لابراهيم
في حق اهل قرطبة اجل مكرمة ، وعُدَّ في جملة فضائله ؛ ولاجل
هذا ساقه القاضي ابن أبي الفياض رحمه الله ، وقد قصده العذوي
من الحجاز فراعى حقه وأكرم مثواه وأثاله جزيل خيره ورفع
الناس ذكره .

وقد ذكر أبو عمر السالمي في كتابه المسمى بدرر القلائد
وغرر الفوائد ان الامير الرئيس الهمام الجواد الحبيب أبا
اسحاق ابراهيم بن حجاج سمع بجارية بغذاذية اسمها قمر ، فوجه
بأموال عظيمة الى المشرق في ابتياع هذه الجارية الى ان
استقرت بدار مملكته اشيلية ، وكانت كالبدرة المنيرة ذات بيان
وفصاحة ومعرفة بالالخان والغناء ، فوجدها قمرًا عند اسمها ؛ وكان
لها شعر يستحلى ويستحسن ، فمن قولها تردّ على من عاذلها :

قالوا أتت قمر في زيّ اطمار ،
من بعد ما هتكت قلباً بأشفار

تمشي على وحلّ تغدو على سبل ،
تشقّ امصار أرض بعد أمصار

لا حرة هي من احرار موضعها ،
ولا لها غير ترسيل واسعار

لو يعقلون لما عابوا غريبتهم ؛
لله من أمة تزري بأحرار

ما لابن آدم فخر غير همته ،
بعد الديانة والاخلاص للباري

دعني من الجهل لا أرضى بصاحبه ،
لا يخلص الجهل من سبّ ومن عار

لو لم تكن جنة الالجاهلة ،
رضيت من حكم رب الناس بالنار

ولم تزل مدة ابراهيم تتمشى على أحسن حال واجزله ،
واهذب زي واكمله ، فعدت زيناً لعصره وفخراً له بها
على أهل مصره ، لم يلحقه في ذلك احد في وقته ولا قدر على
نيل مرتبته ، الى ان وافقه منيته فجأة ، وذلك عام ٢٨٨ ، وولي
ابنه عبد الرحمن بن ابراهيم بن حجاج بعد ابيه ، وطالت مدته
ثلاث عشرة سنة ، وتوفي سنة ٣٠١ .

وكان اخوه محمد بن ابراهيم بن حجاج رحمه الله صاحب
قرمونة في حياة ابيه وبعد موته الى ان مات اخوه ولم يستقر
باشيلية ولا حكمها ؛ وقيل انه دس على اخيه عبد الرحمن
جارية سمته فمات من ذلك .

قال ابن أبي الفياض : كان محمد بن ابراهيم بن حجاج
صاحب قرمونة بعد موت ابيه ، وكانت له بها دولة حسنة وايام
صالحة ، شهر في الفضل ذكره ، وانبسط على ألسنة الناس
شكره ، قصد من الاقطار ومُدح بجيد الاشعار ، فأنال
القاصدين ومنح المادحين ؛ ولما توفي ابوه ولي اشيلية اخوه
عبد الرحمن ، اذ كان كبيره ، وكان يزيد على عبد الرحمن باشياء
من المحامد خص بها في وقته فحمد ، وظهر اثر الامارة في

فعاله فشكر وحسب ؛ وكانت دولته بقرمونة اضخم من دولة
اخيه باشبيلية واطول وذلك اربع عشرة سنة بعد موت ابيه ،
وتوفي عام ٣٠٢

قال الرازي : افتتح الناصر لدين الله اشبيلية سنة ٣٠١ ،
وكان سبب ذلك موت عبد الرحمن بن ابراهيم بن حجاج
المنتزعي فيها بعد والده ، واجتماع اهلها من بعده على تقديم احمد
ابن مسلمة ، ودفعهم لأخي عبد الرحمن محمد بن ابراهيم صاحب
قرمونة ، ومخالفة محمد ومن معه بقرمونة ، ولياذه بسلطان الجماعة ؛
فبعث الناصر عسكرياً الى اشبيلية فجرت بينهم حروب عظيمة ،
ثم بعث الامير عبد الرحمن الناصر الى محمد بن ابراهيم بن
حجاج وامره بالتضييق على أهل اشبيلية وعقد له على ذلك
واشرك معه فيه قاسم بن الوليد صاحب شرطته في ذلك الوقت ،
وكان بينه وبين محمد صداقة ، فخرجا معاً من قرطبة الى قرمونة ،
ومنها دنوا الى اشبيلية ، فتردد محمد وقاسم والجموع على اشبيلية
وملكا اقاليم الشرف واقاليم طالقة واقليم ألبة وغيرها واخذ
بمخنق ابن مسلمة صاحب اشبيلية .

فاستجاش ابن مسلمة برأس النفاق الالعين ابن حفصون فاتاه
بنفسه وخرج معه من مدينة اشبيلية وجاز النهر ؛ وكان الجيش
بحصن قبرة ، وفيه محمد بن ابراهيم بن حجاج وقاسم بن

وليد ، فخرجا اليهما بمن معها من حشم السلطان ، فانهمز ابن حفصون وفرّ على وجهه حتى لحق بقلعته ؛ فتأمل ابن مسلمة منتشبه مع ابن عمه محمد بن حجاج ودخوله معه في وراثة ابيه وانه لا طاقة له به ، فأخذ في اصلاح ما بينه وبين السلطان الناصر ، فراسله بأن يعطيه اشيلية ، فوصله الحاجب بدر ، وتملك السلطان اشيلية دون اراقة دم ولا قتال .

فلما استقرّ الحاجب باشيلية أحضر أهلها ووعدهم عن السلطان بكل جميل ، وان يجري عليهم عواندهم مع بني حجاج وزيادة على ذلك ، فرضي القوم وتمّ الأمر للحاجب وابن مسلمة ، واخذ الحاجب في مخاطبة محمد بن حجاج يعرفه بتملك السلطان اشيلية ، وان السلطان أمره بالكف عن حصارها .

فعند وقوف محمد على الكتاب ساء ذلك وتغيّر له وخرج من حصن قبرة الذي كان به مع قاسم بن وليد ناكثاً للطاعة ، وسرى ليلته مع جموعه قاصداً بلده قرمونة ، فلقي في طريقه أغناماً لأهل قرطبة ، فأغار عليها وحملها معه الى قرمونة فدخلها واظهر التمتع بها ، فأخرج اليه الناصر لدين الله صاحب الحشم ، فلما وصله وخاطبه بما أمره به السلطان ردّ عليه الاغنام بجملتها . ولما رجع صاحب الحشم الى قرطبة خرج محمد بن حجاج من قرمونة بجيشه ، فوصل اشيلية عند

الصباح فهجم عليها ، وكان بعض سورها مهدماً ، فطمع فيها ،
فخرج اليه العامل عليها من قبيل السلطان فهزمه عنها ، فرجع
الى قرمونة .

فلما علم الناصر بذلك وجهه عسكرياً الى عامل اشيلية
تقوية له ، فحصن البلد على نفسه وامن من عادية محمد بن
حجاج .

ولما طال على الناصر تمادي محمد بن حجاج على العناد
بعث اليه صديقه ابن وليد طالباً منه العودة الى الطاعة ، فلم
يزل به حتى اظهر الانابة له ، فانفذ محمد بن حجاج خاصته الى
الناصر فوصل اليه ، فالحقه الناصر بنفسه وشافهه بما القاه اليه
محمد ، واعلمه انه ينعزل عن قرمونة ويسكن قرطبة على ان يترك
بها نائبه . فاجابه الناصر لذلك كله ووعدته بتتميم اغراضه . فلما وصل
الرسول الى محمد بما القاه اليه الامير الناصر خرج من قرمونة
في شهر رمضان المعظم من عام ٣٠١ ، ووصل قرطبة مع وجوه
قومه وعدة من رجاله ، فامر لهم الناصر بالكساء ووصلهم على
اقدارهم ومنازلهم عند محمد ، واجزل لهم الصلة واعطى محمداً
العطاء الجزل ، وقربه من نفسه وولاه من حينه خطة الوزارة
منوهاً مرفّع الذكر . ثم خرج الناصر لدين الله غازياً فاغزاه
معه وزيراً .

وكان حبيب بن عمر الوالي على قرمونة من قبيل السلطان
قد امتنع بقرمونة، فحاصر الناصر قرمونة، ومحمد بن حجاج معه
وزيراً، فسعى به عند السلطان من كان يحسده وقال له : انما
نافق ابن عمر مع محمد وبامره، فعزله عن الوزارة وحبسه وحبس
معه ابن وليد صاحب الشرطة، ثم أطلقا بعد ذلك. فلم يلبث محمد
ابن حجاج بعد ذلك الا يسيراً، وتوفي في شوال سنة ٣٠٢

ومن أخبار عمر بن حفصون في ايام الامير عبد الله

وعندما ولي عبد الله الخلافة ووافته الكتب من البلاد،
 واجتمعت على طاعته جميع العباد، رأى عمر بن حفصون، على
فرط عناده وعتوه في الأرض وفساده، أن يدخل في جماعته
ويلتزم بفروض طاعته، فارسل ابنه حفصاً الى قرطبة مع جماعة
من اصحابه على ان يعقدوا مع الامير سلماً منتظماً وصالحاً
مبرماً، لا يحيله حال ولا يلحقه محال، على ان يستقرّ عمر
ابن حفصون ببربشتي على الطوع، ويقيم بها على الطاعة والسمع،
فقبل الامير نزاعه وسمح بابقائه هنالك، وأصدر ابنه ورسله
اصداراً جميلاً ومنحهم براً جزيلاً، ووجه معهم عبد الوهاب
ابن عبد الرؤوف والياً على كورة رية ومشاركاً لابن حفصون
في نقضه وحله، ومساهماً له في توليته وعزله، فمكثا شريكين

في الامر والنهي إلى ان غلب ابن حفصون على عبد الوهاب
واخرجه من الكورة منبت الاسباب ، واشتدت معرفته
وتأكدت عاديته ومضرته ، حتى همت القرى بالحلا والناس
بالجلا ، ولم يبق بالقبانية قرية الا غشيتها الحيل وعمتها الذلة
والويل ، قد ملك اللعين اسجة وارجدونة وأجادهما ثقافاً
وصير فيهما من الآلات أضفافاً .

فلما رأى الامير عبد الله ما احاط بقرطبة من ابن حفصون
ودار عليها من الحرب الزبون ، أمر باخراج السراق الى فحص
الربض بشقندة ، فلما اشتدت أطنايه ومدت جباله واسبابه ،
بعث ابن حفصون خيلاً ترمي على شقندة لعلها تأخذ السراق
السلطاني وتفوز به وتهجم على البلد وتحيط بجانبه ، فخرجت
لهم الحيل اثر ذلك وطردتهم طرداً من هنالك ، ووصلت الى
ابن حفصون فدفعته عن الجهة ومنعته من تلك الوجهة ،
وآوى الى حصن بلى بقبرة ، فجمع له الامير اهل قرطبة وسار
اليه في نحو اربعة عشر ألفاً ، وحشد ابن حفصون نحو ثلاثين ألفاً
فصدمه الامير بمن معه ، فمثر عقده وفرق جمعه ، فعملت
السيوف في رقابهم وتبعته سيل أعقابهم ، حتى رويت الارض
من دماهم . ودخل الامير عبد الله القلاع الثائرة عليه وصارت
يومئذ في يديه . وفي ذلك يقول ابن عبد ربه :

رام ابن حفصون النجاة فلم يسر ،
والسيف طالبه فليس بناج
في ليلة أسرت به فكأنما
. . . ، ليلة المعراج

ما زال يلقي كل حرب حائل ،
فالآن انتجها بشر نتاج

ركبوا الفرار بعصبة قد جربوا ،
غب السرى وخوافت الادلاج

واذا سألتهم : موالي من هم ؟
قالوا : موالي كل ليل داج

ولما رجع ابن حفصون الى بربشتو حشد اعوانه وجد
للعرض ديوانه ، وخرج بجمعه الى البيرة وادار بها حرباً مبيرة ،
الى ان تغلب عليها بأيده وقبض على عاملها بكيده . فأخرج
الأمير عبد الله العسكر اليه وقدّم ابن ابي عبدة عليه ، فلمّا
تدافى الفريقان وتراءى الجمعان ، هجمت خيل ابن أبي عبدة على
خيل ابن حفصون ، فعكستهم عكساً وطمست آثارهم طمساً ،
وأثقل ابن حفصون بالجرّاح وآب من النصر صفر راح ، قد
ركب الأوعار واحتمل الخزي والعار ، وبلغ حصن بربشتو

مفلولاً خاسراً ذليلاً ؛ ثم عاد الى عادته وسبيل بغيه وفساده ،
وفي كل ذلك كان الأمير عبد الله يهزم جيشه ويروع ببأسه
جأشه ، حتى خمدت نيرانه وملّت انصاره واعوانه . فلما
توفي الأمير عبد الله وولي الناصر لدين الله ، بادر الى الطاعة
والدخول في الجماعة ، ثم نكث وخان حتى اهلكته الأزمان .

جملة الثوار ببلاد الاندلس في أيام الامير عبد الله
الخارجين عن الجماعة المضرمين لنار الفتنة

اولهم ابن حفصون وقد تقدّم ذكره وتأتي بقية اخباره
بحسب السنين .

وثار سوار بن حمدون بخص من شاقند ، فقام الى جعد
عامل البيرة بمن معه ، فهزم جمعه وأخذ أسيراً وأراه يوماً
عسيراً ، ثم اطلقه من عقاله وعمّه بافضاله ، وانصرف الى
البيرة بلده ومقر أهله وولده .

وسار سوار الى غرناطة واغار على حصون ابن حفصون ،
فاجتمع اهل البيرة في نحو ثلاثة وعشرين ألفاً ، فلقبهم سوار
في عدد قليل فلاذوا بالفرار والنفور وصاروا كالهباء المنثور ،
ونيطت بهم الختوف كسفاً وقتل منهم على ما ذكر احد عشر
ألفاً ، وذلك سنة ٢٧٩

وكانت بين سوار هذا وابن حفصون ملاقاتة انقلب فيها
ابن حفصون مهزوماً وتولّى ملوماً مذموماً ، قد اثقل بالجرّاح
وقتل قواده في ذلك الكفاح .

وكان جعد الثائر بالبيرة متفقاً مع ابن حفصون على النفاق ،
متفقاً معه على الفساد في تلك الآفاق ، فأعمل جعد الحيلة في
القدر بسوار جهده واضمر في ذلك نصبه وجهده ، فاغار على
جهته يوماً وقد اكمن هنالك قوماً ، وخرج هو بنفسه في نفر
يسير فاكتسح وأغار وأنجد في الجهة وغار ؛ وظنّ سوار ان
ليس وراءه اجناد تنجده ولا امداد تمده ، فبرز اليه باهل المكان
وقد ايقن بالظفر والامكان ، فلما انبسط من هنالك كالفرح
الاشر ثارت الكمائن عليه كالجراد المنتشر ، واحدقت الحيل
بسوار فقتل تفتيلاً وعاد عسكره مهزوماً مفلولاً . وارسل
صاحب البيرة الى ابن حفصون برأس سوار واعلمه بالكتب
الشامل لاعدائهم والبوار .

وثار سعيد بن جودي في ذلك التاريخ بالغرب وعارض
ابن حفصون بالحرب والحرب ، حتى أغصه بريقه وضايقه
في سبيله هنالك وطريقه ، فرجع ابن حفصون الى الحيلة
والكيد اذ عجز عنه بالقوة والأيد ، حتى قبض عليه
وصار اسيراً لديه ، واقام عنده ببشر شهرّاً مكبولاً الى ان

قبل فيه ابن حفصون مالا جزلاً قبولاً ، فاطلقه من وثاقه فجده
في خلافه على الأمير عبد الله وشقيقه ، الى ان مكر به مكرأ
وقتل في دار عشيقه له يهودية غدراً .

وتولى امر الغرب بجانب البيرة محمد بن اضحى فامسى على
طاعة الأمير عبد الله واضحى ، فناصر ابن حفصون الحرب
وعارضه بالطعن والضرب ، الى ان ظفر به ابن حفصون في
تلك المسالك وصار عنده اسيراً هنالك ، ففداه العرب منه
بمال جسيم ومشى من طاعة الأمير على منهاج قويم .

وثار العرب باشيلية ثورة وقبضوا على عاملها غنوة ،
وانتهبوا طارفه ومتلده ولم يتركوا الا اهله وولده ، وقتلوا
كثيراً من اعدائه وعاثوا ما شاؤوا من سلطانهم ؛ فاجتمعت
العساكر من قرمونة وسائر الأقطار واحاطت باشيلية احاطة
الفلك الدوار ، فغلبوا على القائمين فيها وقتلوا منهم فرقة
فكانت الواقعة المعروفة بالدعكة .

وتغلب ابراهيم بن حجاج على اشيلية تغلباً ونصب
لأحواز قرطبة منها حرباً وحرباً ، وارتبط مع ابن حفصون
على العيث العام والاحتلال بقرطبة في ذلك العام ، وتغلباً
على الحصون والقلاع وجداً في الكفاحه والقراع ، الى ان
انتقض ما بينهما من السلم المنتظم والعهد المحكم المبرم ،

وصالح ابن حجاج الأمير عبد الله فارقّه بأشبيلية وصرف اليه
زمامها ووقف عليه اعمالها واحكامها .

وثار دَيْسَم بن اسحاق وغلب على مدينتي لورقة ومرسية
وما يليهما من كورة تدمير ، وكان مودوداً من طبقات الناس ،
رفيقاً برعيته جواداً منتجعاً ، له افضال على الشعراء والأدباء .
وثار عبيد الله بن أمية وملك كورة جيان ودخل حصن
قسطلونة وغيره .

ومنهم عبد الرحمن بن مروان المعروف بالجليقي ، اقتعد
مدينة بطليوس وماردة ، ففارق الجماعة وجاور اهل الشرك
ووالاهم على اهل القبلة .

ومنهم عبد الملك بن ابي الجماعة ، اقتعد مدينة باجة وملكها
وتحصن بحصن مارتلة ، وله حظ من المنعة تشييداً وعدة ، وكان
معاقداً لابن مروان صاحب بطليوس في هذا التاريخ وابن
بكر صاحب اكشونية ، فكانوا متآلفين على من خالفهم .

وثار ابن السليم ، وهو منذر بن ابراهيم بن محمد بن السليم ،
بمدينة ابن السليم المنسوبة الى جدّه من كورة شذونة ،
فاقتصد في سيورته ولم يظهر نبذ الطاعة ، الى ان قتله مملوك يسمى
غلنده وخلفه وليد بن وليد وصار الى الطاعة عند هبوب ريحها
بالخليفة عبد الرحمن الناصر .

ومنهـم محمد بن عبد الكريم بن الياس ، امتنع بقلعة ورد
من كورة شذونة وسعى للفتنة سعيه وتماذى حتى استنـزله
الناصر فيمن استنـزل من الثوار ومات بقرطبة .

وثار خير بن شاكر بحصن شوذر من كورة جيان ، وظاهر
زعيم الثوار عمر بن حفصون ، ففتك بخير المذكور وأرسل
برأسه الى الأمير عبد الله .

ومنهـم عمر بن مضم البنزوتي المعروف بالملاحى ، وكان جندياً
متدرباً عند العامل بحضرتهـا ، فوثب عليه وغدره وضبط القصة .
ومنهـم سعيد بن هذيل ، كانت ثورته بحصن المنتلون من
كورة جيان ، فبنى قصبته وحصنها واعلن بالخلاف ، حتى استنـزله
الناصر فلحق بقرطبة الى ان مات .

وثار سعيد بن مستنة بكورة باغة واقعد حصونها فاستفحل
امرـه وشـره وعم أذاه ، واصطفى من حصونها التي ظهر عليها
اربعة لا مثيل لها في الحصانة والمنعة .

وثار بنو هابل الاربعة ، اكبرهم منذر بن حريز بن هابل
واخوه ابو كرامة هابل بن حريز واخوه عامر واخوه عمر ،
ثاروا ببعض حصون جيان في ايام الأمير عبد الله ، وخلعوا طاعته
واطلقوا الغارة واطلعوا اهل الفساد ثم استنـزلوا ، فنزلوا على
حكم الأمان ، فحسنت طاعتهم وخدمتهم .

وثار اسحاق بن ابراهيم بن عطف العقيلي بحصن منتلثة ،
فبناه وحصنه وامتنع به ، الى ان استنزله الخليفة الناصر الى
قرطبة وبها توفي .

ومنهم سعيد بن سليمان بن جودي أمّرتّه عرب غرناطة
والبيرة فضبط امرهم حتى دبر عليه كبيران منهم بحيلة فقتلاه بها ،
فلم ينتظم للعرب هناك امر بعده .

وثار عمر بن اضحى بن عبد اللطيف الهمداني من أكابر ابناء
العرب بكورة البيرة ، الى ان هلك الامير عبد الله ، فاستنزله
الناصر لدين الله عن حصنه فيمن استنزله من الثوار ، وكان ابن
اضحى هذا مع رجوليته اديباً بيّناً يقوم بين ايدي الخلفاء في
المحافل فيحسن القول ويطيب الثناء ، وله اخبار معروفة .

وثار بكر بن يحيى بن بكر واقاعد مدينة شنت برية من
كورة اكشونية ، وبناها حصناً اتّخذ عليها ابواب حديد ، وكان
له ترتيب وأهبة ورجال شجعان وعدة موفورة ، وكان يتشبه
بزعمه في سلطانه بابراهيم بن حجاج ، وكان له أصحاب للرأي
وكتّاب للامل ، وكان له عقد مؤكد الى جميع من في طاعته
باضافة ابناء السبيل وقراء النزول ، وحفظ المجتازين فكان السالك
بناحيته كالسالك بين اهله واقاربه .

وثار ابنا مهلب من وجوه قبائل البربر بكورة البيرة ، وهما

خليل وسعيد، ثارا ثورة نظرائهما بجهتهما، فاقاما على سبيلهما الى
ان استنزل الناصر اولادهما بعد وفاتهما .

وثار سليمان بن محمد بن عبد الملك الشدوني بشريش وشدونة،
وهو الذي بنى نبريشة وحصنها .

وثار ابنا جرج بحصن بكور ففسدت سيرتهما فاخرجا عن
الحصن، فمات عبد الوهاب ولحق محمد بن عبد الرحمن بن جرج
بابن الشالية، وكان مصافياً له، فتقبَّله واستخدمه وبنى له حصن
مورينة من كورة جيان، فأقام فيه الى ان استنزله الناصر ونقله
الى قرطبة .

وثار أبو يحيى التجيبي المعروف بالانقر بمدينة سرقسطة
واعمالها، وقتل احمد بن البراء القرشي عامل الأمير على
سرقسطة واستولى عليها، وأظهر التمسك بطاعة الأمير عبد الله
وخاطبه وهو ينسب ابن البراء الى الخلاف، فأظهر الأمير تصديقه
وسجل له على سرقسطة فثبت بها قدمه .

وفي سنة ٢٨٣ اخرج الأمير عبد الله على العسكر هشام بن
عبد الرحمن بن الحكم الى كورة تدمير في أواخر ربيع الاول،
وكان القائد معه على الجيش احمد بن أبي عبدة، ولما احتل
بوادي بلون تقدّم قطع من الحيل فافتتح هنالك حصناً وغنم
ما كان فيه . وتوافت على العسكر حشود أهل الكور، ثم انتقل

وطوى المراحل حتى حلّ بمرسية ، ثم انتقل الى لورقة فخرج
اليه ديسم بن اسحاق فحاربه ، فهزم ديسم ورجع الى لورقة
واقام محاصراً حتى قفل عنه العسكر . ثم خرج ديسم بمن معه
فضرب في الساقة ، فرجع اليه فهزم واتّبع حتى استغاث بالوعر
ونجا راجلاً وأخذ فرسه ، وقفل العسكر سالماً ، وفقد في هذه
الغزاة الماء ومات فيها اثنان وثلاثون رجلاً عطشاً ، وهلك
دواب كثيرة .

وفي سنة ٢٨٤ اخرج الأمير عبد الله ابنه ابان الى لبلة ، وكان
ابن خصيب بحصن منت ميور ، وكان قد ثار به ، فحاصره ونصب
عليه المجانيق ورماهم بها حتى ضجّوا ودعوا الى الطاعة وانعقد
امانهم .

وفي خلال ذلك دخل ابن حفصون اسجة الدخلة الثانية ،
فورد كتاب الامير باستعجال القبول بسبب استجة ، فقفّل
العسكر . وكانت مدة هذه الحركة شهرين ونصفاً وهي اولى
حركات ابان .

وفي سنة ٢٨٥ غزا ابان ابن الامير عبد الله الى ابن حفصون
والقائد ابن أبي عبدة . وفيها ايضاً غزا عباس بن عبد العزيز الى
حصن كركي وجبل البرانس ، وقتل ابن يامين وابن موجول
واخذ حصونهما . وفيها تقدّم لب بن محمد من طليطلة الى حيز

جيان ونازل حصن قسطلونة، وكان فيها نصارى يحاربون عبيد الله
ابن امية المعروف بابن الشالية، فاخذ الحصن وقتل العجم، ووافاه
فيه قتل ابيه محمد بن لب في محاصرته لسرقسطة. وفيها كانت
المجاعة الشديدة التي سميت السنة بها : سنة لم اظن .

وفي سنة ٢٨٦ اظهر ابن حفصون النصرانية، وكان قبل ذلك
يسرّها، وانعقد مع أهل الشرك وناظمهم ونفر عن اهل الاسلام
ونابذهم، فتبرّأ منه خلق كثير ونابذه عوسجة بن الحليع ، وبني
حصن بنيط وصار فيه موالياً للامير عبد الله محارباً لابن حفصون،
واتّصلت عليه المغازي من ذلك الوقت ، ورأى جميع المسلمين
ان حربه جهاد، فتتابعت عليه الغزوات بالصوائف والشواتي لا
يُني القواد عنه في الحل والترحال، وفي ذلك قال ابن قنزم لابن
أبي عبدة :

ففي كل صيف وفي كل مَشْتَى
غزاتان منك على كل حال

قتلك تبيد العدو ، وهذي
تفيد الامام بها بيت مال

وفي سنة ٢٨٧ كانت الصائفة متجولة ما بين كورة مورور
وكورة شذونة وكورة رية . وفيها قتل القائد ابن أبي عبدة
طالب بن مولود المروري. وفيها صلب اسحاق وصاحبه وكانا من

رجال ابن حفصون . وفيها جرى المثل في الناس : غررتَ بي يا اسحق ؛ وذلك ان احدهما قال هذه الكلمة لصاحبه وهو يرفع في الحُشبة .

وفي سنة ٢٨٨ قبضت رهائن ابن حفصون وتحولت الصائفة لشذونة وغيرها من الكور . وفيها عظم السيل بقرطبة وانهدم رجل من قنطرتها . وفيها خرج من قرطبة احمد بن معاوية ابن الامام هشام الى فحص البلوط ، ثم تقدّم الى ترجيلة فأقام فيها مدة يسيرة ، وانحشدت اليه الحشود فدخل الى سمورة وقتل بها في شهر ربيع الأول .

وفي سنة ٢٩١ كان غزو ابان ابن الامام عبد الله ، رحمه الله ، الى رية ، وقاد الحثيل احمد بن محمد بن ابي عبدة وفصل يوم الخميس لحُمس خلون من جمادى الآخرة ، ونهض حتى احتلّ بوادي نسقانية ، واضطرب في هذه المحلة ، وخرج اليه عمر بن حفصون ، ثم التقيا فوقع بينهما حرب شديدة ، ثم انكشفت الهزيمة على اصحاب ابن حفصون ، فقتل منهم عدد كثير ، ثم اضرم قرى وادي نسقانية وما حوالها نارا .

ثم انتقل وحلّ على وادي بينش المجاورة لبيشتر ، ووقعت الحرب بين اهل العسكر وبين ابن حفصون ، فانهمزم ابن حفصون وقتل له رجال وعقرت له خيل . واتصل الحريق في جميع قرى تلك الناحية .

ثم انتقل الى محلة طليحيرة فأقام بها أياماً يحارب فيها ابن حفصون كل يوم وينال منه .

وفي هذه الايام احترقت منية لجعفر بن عمر بن حفصون ، وفي هذه الغزاة^١ حوز (سَطْرُش) والرجل^٢ وقُتِل اخو (زسى) وجماعة من حماة ابن حفصون ، ونصب المنجنيق على الرجل فآثر فيه وثلم في سورة . ثم تقدّم القائد احمد بن محمد بن أبي عبدة من حصن لوشة الى حصن الحشن في جرائد الحيل وابقى ابان ابن الامام عبد الله رحمه الله معسكراً بمحلة لوشة ، فحارب حصن الحشن وقتل عدداً من اهله واسر منهم جماعة وانصرف بالروّوس والاسرى الى لوشة ؛ ثم قفل بالعسكر ودخل قرطبة يوم الجمعة خمس بقين لرمضان ، فكانت هذه الغزاة ثلاثة اشهر وعشرين يوماً . وفيها خرج لب بن محمد الى بايش من احواز ألبة ، وذلك في رمضان ، فافتتح حصن بايش وما يليه ، والعليج اذفش يومئذ على حصن (عرمون) محاصراً لاهله ، فلما بلغه دخول لب بن محمد بحصن بايش ولي هارباً .

وفيها ثم في ذي الحجة خرج لب بن محمد الى ناحية بليارش فافتتح حصن (لحرونفة) وحصن ايلاس وحصن قشتيل سنت وحصن مولة ، وقتل بهذه الحصون نحواً من سبع مائة عليج وسبى بها نحواً من ألف سبية .

١ هنا كلمة ناقصته ، لعليها : هدم ٢ الرجل : المراد به أسفل السور .

وفيها توفي جعفر بن يحيى بن مزين الفقيه من اهل قرطبة،
وكانت له رواية عن أبيه وغيره .

وفيها توفي احمد بن هاشم القائد بمدينة غرناطة ودفن
هناك وهو ابن اربع وسبعين سنة . وفيها توفي اسحق بن
عبد الله الطيب . وفيها مات عامر بن موصل الاصبحي بحصن
ناجرة .

وفي سنة ٢٩٢ كان خروج الصائفة الى عمر بن حفصون ،
وتجول العسكر على حصونه فهتك بعضها ، وقوطع البعض على
وظيف يؤدونه .

وفيها كانت الواقعة العظيمة على عمر بن حفصون بوادي
بلون من جيان ، وكان قد توافى اليه اهل الخلاف والخلعان
وخرج مغيراً على المسلمين ، فهزمه الله وقتل كثير ممن كان
معه ، وأدبر في شزيمة قليلة ، وافني اكثر رجاله في ذلك المعترك .
وفيها خرج لب بن محمد لمحاصرة مدينة سرقسطة واخذ
في ردم القرق المجاور لسورها ، وشرع في البناء عليها ، فلما
كمل له ردم القرق وبنان ما فيه رحل عنه وادخل ندبة فيه
من رجاله .

وفيها توفي عبد الله بن قاسم بن هلال وكانت له رحلة ،
وادخل الاندلس كتب داود القياسي وغيره .

١ الفرق : المكان المستوي .

وفيهما توفي الوزير سليمان بن محمد بن وانسوس وعبد الرحمن
ابن امية بن عيسى بن شهيد المعروف بدحيم ، وتوفي اخواه
عثمان بن امية وعيسى بن امية .

وفي سنة ٢٩٣ كان خروج الصائفة الى فهر بن اسد ، وهو
بحصن تش من كورة جيان ، فافتتح الحصن واخذ فهراً
أسيراً وقدم به الى قرطبة فأمر الامام عبد الله رحمه الله
بصلبه عند القصابين في ربيع الآخر .

وفيهما عزل محمد بن امية بن شهيد عن المدينة ووليها محمد
ابن غانم ، فكانت ولايته شهوراً ، ثم عزل وولي مكانه موسى
ابن محمد بن جدير . وفيها حبس حزمير القومس وعذب
وأرهب حتى مات .

وفي جمادى الآخرة دخل القائد احمد بن محمد بن ابي
عبدة حصن قنيط من تاكرنا وندب فيه جيشاً واستنزل من
كان فيه من بني الحليع وادخل فيه غلاماً .

وفيهما توفي يونس بن هاشم بن عبد العزيز . وفيها توفي ديسم
ابن اسحاق صاحب تدمير . وفيها قتل يحيى بن قطام ومحمد بن
اسماعيل وايوب بن سليمان بطليطلة .

وفي سنة ٢٩٤ كان غزو ابان ابن الامام عبد الله رحمه الله
بالصائفة الى الجزيرة ، وقاد الحيل احمد بن محمد بن أبي عبدة ،

وحلّ بالجزيرة يوم الجمعة لتسع بقين من رجب ، ثم تقدّم الى حصن لوزة يوم السبت لانسلاخ رجب ، فحارب الحصن وحاصره وقتل جماعة ممن فيه ، ثم تقدّم الى حاضرة رية ، وفيها مشاور بن عبد الرحمن ، فاحرقت ارباض الحاضرة وحوصر من كان فيها ، فدعا مشاور الى السلم وبذل الرهائن ، فاجيب الى ذلك وقبضت رهائنه ، ثم تقدّم القائد الى الساحل فجال عليه اجمع وخرج على حصون البيوة وقفل منصرفاً الى قرطبة فدخلها يوم السبت لليلتين خلتا من ذي القعدة .

وفيها خرج لب بن محمد الى جانب بنبلونة فنزل في نهورة وشرع في البنيان بحصن هرين ، فحشد اليه العلج شانجة جميع اهل بلده وكايداه بالمكامن ، ثم وجّه اليه خيلاً يسيرة ، فلما سمع الصيحة بدر الى الركوب فبلغ بكمين فهزمه ثم بكمين فبهزمه ، ثم احدثت به الكمائن فقتل وقتل من كان معه بمن آثر الشهادة ، وذلك في ذي الحجة لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه ، فنزل تطيلة اخوه عبد الله بن محمد ، وكان لب يوم قتل ابن ثمان وثلاثين سنة . وفيها ظهر محمد بن عبد الملك الطويل في الثغر ، ودخل حصن بربشتر وحصن القصر وحصن بربطانية . وفي سنة ٢٩٥ كان غزاة ابان ابن الامام عبد الله رحمه الله بالصائقة الى جهة رية ، وقاد الحيل ابو العباس احمد بن محمد بن

أبي عبدة ، فقصده ببشتر وحارب ابن حفصون ونكاه وانزل به ،
وحارب ما حواليه من الحصون .

وفيهما غدر سعيد بن الوليد المعروف بابن مستنة وتخلّى
عن حصن بلدة الى عمر بن حفصون وظافره وأبدى ما كان
بضميره من العصيان .

وفيهما ولي المدينة محمد بن عبيد الله بن أبي عثمان ، وذلك
يوم خميس ، فاستعفى عنها فأعفي يوم الجمعة ثاني ولايته ،
وولي مكانه علي بن محمد المعروف بالباسه ، وكان عليها ثلاثة
أيام ، ثم عزل واعد اليها موسى بن جديّر ، فكان والياً عليها
الى آخر أيام الامام عبد الله واقربه أمير المؤمنين رحمه الله
الى سنة ٣٠٢

وفيهما دخل محمد بن عبد الملك الطويل حصن منتشون
ومدينة لاردة في المحرم .

وفيهما دخل محمد بن عبد الرحمن التجيبي مدينة (شيبه) .
وفيهما خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى برطانية ،
فافتتح حصوناً جمة وسبى سبيّاً كثيراً .

وفيهما توفي الفقيه يحيى بن عبد العزيز بن الجرار ، والفقيه
محمد بن غالب بن الصفار ، ومحمد بن يحيى بن أبي غسان
صاحب السوق ، وولي أحكام السوق يحيى بن سعيد بن حسان .
وفيهما توفي موسى بن محمد بن موسى بن فطيس الحازن .

وفي سنة ٢٩٦ كان غزو ابان ابن الامام عبدالله بالصائفة الى
حصون رية وغيرها ، وقاد الحيل معه احمد بن محمد بن أبي
عبدة ، فقصد ناحية ببشترونازل ابن حفصون وحاربه ونكاه ؛
وتحرك عيسى بن احمد القائد غازياً الى حصون سعيد بن مستنة ،
فنازله أيضاً حتى قفل القائد احمد بن محمد من ببشترو ، ثم نازل
حصن لك من حصون ابن مستنة فاقام عليه حتى افتتحه .

وفيهما خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى بليارش في شهر
رمضان ، فقتل هنالك مقتلة عظيمة ، ووفد عليه رسول اهل
حصن روضة يرغبون الصلح ويسمحون بالرهائن والجزية ، فلم
يُجبهم الى ذلك فخرجوا هاربين من الحصن وأخلوه وتقدم
اليه فهدمه .

وفيهما تغلب على حصن .منت بطروش وهو المعروف بجبل
الحجارة .

وفيهما توفي محمد بن سليمان بن تليد المعافري قاضي مدينة وشقة .
وفيهما توفي عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة ، وكان حج قبل
وفاته بثلاثة اعوام هو ويحيى بن سعيد بن حسان صاحب السوق .
وفيهما توفيت السيدة ابنة مطرف ابن الامير عبد الرحمن
ابن الحكم رحمهما الله .

وفيهما توفي احمد بن حفص بن (رفاع) الفقيه المقرئ .

وفي سنة ٢٩٧ كان غزو العاصي ابن الامام عبدالله رحمه الله الغزاة المعروفة بغزوة رية وفريرة ، وقاد الحيل أحمد بن محمد ابن أبي عبدة ، وفصل يوم الخميس لتسع بقين من شعبان ، فتقدّم الى بلدة فجار بها ثم احتلّ على نهر طلبيرة فدارت بينه وبين أصحاب ابن حفصون حرب عقرت فيها خيل السلطان وقتل عدد من اصحاب ابن حفصون ، ثم تقدّم الى حصون البيرة فنزل على حصن شيلش فكانت هنالك حرب شديدة ، ونالت بعض حماة العسكر جراحاً ، وتجوّل في كورة البيرة وحلّ بمحلة بجانة ، ثم قفل على كورة جيان فنازل حصن المنتلون يوم الاربعاء لليلتين بقيتا من ذي القعدة ، فاقام عليه محاصراً اياماً ثم ضحى فيه يوم الاحد ، وقفل يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة ، ودخل قرطبة يوم الاربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من ذي الحجة . وفيها افتتحت بياسة واستنزل منها محمد بن يحيى بن سعيد بن بُزَيْل .

وفيها كان سيل عظيم غرقت منه اركان بيت الله الحرام ، وفاضت بئر زمزم ، ولم يرَ مثل هذا السيل في قديم الازمان . وفيها اجتمع عمر بن حفصون وسعيد بن مستنة وسعيد بن هذيل وضمّهم عسكر واحد ، فضرّبوا بناحية جيان ، وأغاروا فأصابوا وغنموا وانصرفوا الى حصن جريشة ، فاتبعهم القائد

احمد بن محمد بن أبي عبدة ، فلحقهم وهزمهم وقتل جماعة منهم ، فيهم : تسريل العجمي من قواد ابن حفصون .

وفيها افتتح القائد احمد بن محمد بن أبي عبدة حصن الزبيب وابتنى حصن ترضيض تضيقاً على ابن هذيل ، وحصّن قلعة « الأشعب » ووضع فيها نَدْباً من الرجال ؛ وسبى القائد هذه السنة بجبل « ارهش » من كورة قبرة ، وكانت له في هذه السبوة حركات بالغت في نكاية أهل النفاق .

وفيها خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى بار بليارش فافتتح حصن اوربالة وأصاب من المشركين ثلثمائة سبية ، وقتل كثيراً منهم ، وهدم الحصن وحرقه وتقدّم الى حصن « غلتمر » و « الغران » فهدمهما ؛ وكان مبلغ الفية في هذه الغزاة ثلاثة عشر ألفاً .

وفيها قتل ابرهيم بن حجاج ابن عمّه احمد بن سيد بن عمر ابن عمير وهو ابن خمس واربعين سنة .

وفيها ، وذلك يوم الخميس لسبع بقين من ذي الحجة ، اعتقل موسى بن محمد بن جدير صاحب المدينة ابراهيم ومحمداً وسعيداً بني الأمير محمد ، رحمه الله ، وابن أخيه محمد بن عبد الملك ابن الأمير محمد رحمه الله ، وحبسهم في دار مطرف ابن الأمير عبد الله ؛ وكان سبب ذلك ان الامام عبد الله رحمه

الله عهد اليه ألاّ يترك احداً يجوز القنطرة، اذا كان له خروج
للصيد، وكان يصيد الامام في تلك الجهة بعدوة النهر، فخرج
الامام في هذا اليوم متصيداً وخرج هؤلاء من المدينة متروحين،
فردّهم واعتقلهم، فلما انصرف الامير رحمه الله من صيده انهمى
اليه امرهم وما فعله فيهم، فاستحسن ذلك منه وشكر له وعهد
اليه باطلاقهم.

وفي سنة ٢٩٨ كان غزاة العاصي ابن الامام عبد الله رحمه الله
بالصائفة، وقاد الخيل احمد بن محمد بن أبي عبدة، فتقدّم الى
حصن ببشتر وغيره من حصون الساحل بكورة رية، ثم تقدّم
بالعسكر الى كورة البيرة فحطم زرعها وهشم ثمارها.

وفيهما اقام عيسى بن احمد بن أبي عبدة في قطيع من الخيل
بمدينة بيانة، فاغار عمر بن حفصون وسعيد بن مستنة في بسيط
قبرة وقرى قرطبة واخذوا الغنائم، فخرج عيسى بن احمد
طالباً لهما فالتقى بهما على نهر ألية فدارت بينهم حرب شديدة
وانهزم عمر بن حفصون وابن مستنة فقتل من اصحابهما خلق
كثير وافترقوا ايدي سبا، وبعث عيسى بن احمد من رؤوسهم
عدداً كثيراً.

وفيهما غزا الوزير عباس بن عبد العزيز الى مدينة قلعة رباح،
وكان اهلها قد خائفوا وخلعوا الطاعة، فافتتحها، وكان فضل

ابن سلمة خن سعيده بن مستنة قد خالف بحصن اشر فتقرّب
أهل حصن اشر بقتله الى الامام عبد الله رحمه الله ، فقدم منهم
قوم برأسه الى باب السدة فشكر لهم ذلك .

وفيهما خرج عباس بن احمد بن أبي عبدة قائداً على خيل
كشيفة الى المنتلون لحرب سعيده بن هذيل .

وفيهما تداعى البربر الطنجيون ، الذين كانوا غزوا مع القائد
احمد بن محمد بن أبي عبدة ، الى النزوع الى مدينة بلدة الى
ابن حفصون ، وتداعى الطنجيون ، الذين كانوا مع عباس بن
احمد على المنتلون ، الى النزوع الى ابن هذيل ، فخرجوا عن
العسكر ولحقوا بأهل الكفر والخلعان ، ثم دارت الدائرة على
هؤلاء وهؤلاء في الموضعين جميعاً لأمر احدثوها واستدرجهم
الله عزّ وجلّ بها ، فقتلوا في ببشتر والمنتلون وعاد من بقي منهم
الى الطاعة ، وكان صاحب الصائفة العاصي ابن الأمير عبد الله ،
وكان فصوله لهذه الغزاة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من
شعبان ، وهو يوم النصف من ابريل ، وكانت في هذه الغزاة
امراض ووباء .

وفيهما خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى ارغون يريد
بنبلونة وان يجتمع هنالك مع عبد الله بن محمد بن لب ،
فانتهى الى حصن البربر فأحرق ما حواليه ، وهدم كنائس

تلك المواضع، وذلك في شهر رمضان ، وعرج عن ملاقة ابن
لب وعن القصد الى بنبلونة ، وانصرف فاحتل حصناً من
حصونه يعرف بشارة قشتيلة ، فأندر بان ابن شانجه يريد الهجوم
عليه، فخرج في بعض أصحابه متسللاً .

فلما أيقن أهل العسكر بهروب ابن الطويل تخاذلوا ، فكان
سبباً لانزمام أهل الحصن . فلما بلغ عبد الله بن لب الخبر وان
ابن الطويل كع عن ملاقة شانجه نزل بمن معه من المسلمين
على حصن لوازة من حصون شانجه ، فقتل جماعة منهم وكر
راجعاً ، فالتقى ببعض الحيل التي كان فيها شانجه فقتل فيهم
وسبى .

وفيهما استشهد ابن أبي الحبيب التطيلي واسمه نعم الخلف ،
وكان نبلاً اديباً وفقهياً محدثاً .

وفيهما مات ابراهيم ابن الامام محمد رحمه الله .

وفيهما توفي معاوية بن محمد بن هشام القرشي وعثمان ابن
الامير محمد رحمه الله ومطرف بن احمد بن مطرف ابن الامير
عبد الرحمن رحمه الله وابان بن عبد الملك ابن الامير عبد
الرحمن رحمه الله .

وفيهما توفي محمد بن أمية بن عيسى بن شهيد الوزير صاحب
المدينة .

وفيها توفي سعيد بن عبد الرحيم الشذوني الكاتب وأبو يحيى
يزيد بن محمد التجيبي الحازن وموسى بن العاصي بن ثعلبة وأبو
مروان عبيد الله بن يحيى بن أبي عيسى واصبغ بن عيسى بن
فطيس وأبراهيم بن حجاج صاحب اشيلية، وهو ابن ثلاث وستين
سنة، وعمر بن قورموس الكاتب وريان الفقي صاحب الطراز وافلح
الوصيف .

وفي سنة ٢٩٩ كان غزاة القائد احمد بن محمد بن أبي عبدة
الى حصن فنتجالة من حصون ابن هذيل بالقرب من جبل
المتلون، وذلك في إصدار المحرم، فحاصره اشد الحصار حتى افتتح
الحصن .

وفيها غزا بالصائفة ابان ابن الامام عبد الله رحمه الله، وقاد
الحيل عباس بن عبد العزيز الوزير، وفصل يوم الاثنين لتسع بقين
من شعبان، وقصد حصن ببشتر وحارب ابن حفصون ووقع به،
ثم خرج باثره احمد بن محمد بن أبي عبدة فتولى القيادة مكانه ،
واستقدم عباس بن عبد العزيز الى قرطبة فقصده القائد حصون
ابن حفصون وحارب من كان فيها .

وفي هذه السنة كسفت الشمس جميعاً قبل وقت الغروب ،
وذلك يوم الاربعاء ليلة بقيت من شوال ، وظهرت النجوم
وبدر اكثر أهل المساجد فأذنوا لصلاة المغرب وصلوا ، ثم انجلي
ذلك وعادت الشمس مضيئة ثم توارت للمغيب .

وفيهما خرج محمد بن عبد الملك الطويل الى وادي برشلونة
فأغار بوادي طراحة فخرج عليه العليج سنته فأخذ عليه المضائق ،
فلما كثر عسكر المسلمين ألفوا اعداء الله على تلك المضائق ،
ففتح الله للمسلمين عليهم وقتلوا فيهم مقتلة عظيمة .
وفيهما توفي عبد الله بن أبي زيد صاحب الحيل .
وفيهما توفي اصبع بن ملك الزاهد الفقيه .
وفيهما هلك العليج اذفش ، وكانت مدة أيامه أربعاً واربعين
سنة ، وولي ابنه غرسية مكانه .

شأن ابني الأمير عبد الله محمد ومطرف

كان الأمير عبد الله قد رشح ابنه محمداً لولاية عهده وآثره
بما عنده ، فعظم الأمر على أخيه مطرف ، وبعد ما بينهما كل
البعد ، وقابل الواحد الثاني بالهجران والصد ، فوجد محمد
يوماً فارساً من فرسان مطرف فاغتاله وقتله ، ثم فرق من ابيه
عبد الله وحذر سطوته ولم يأمن صولته ، فسار الى السجين
ففتقه وحلّ من شدّه أبوه وأوثقه ، وخرج بمن فيه من
أهل الدعارة والفساد ولحق ببربشتو قاعدة أهل الضلال والعناد ،
وصار عند ابن حفصون في حرز من الامن مصون .
ثم ان الامير عبد الله أباه خاطبه بالامان ، وقال : بنس

الاثم الفسوق بعد الايمان ، فقبل من ابيه وانصرف الى اهله
وذويه ، ولم يزل بعد ذلك مطرف يغري بمحمد اغراء ويطوي
له عداوة وبغضاء ، ويزعم انه يخاطب ابن حنظلة ويدخله
ويداهنه على القيام على ابيه ويواصله ، فسجن الامير عبد الله
ابنه محمداً في دار البقية وامتحن خلال ذلك عين الحقيقة ،
فلما واصل في البحث صباحه ومساءه لم يقرع سمعه من جهته
ما ساءه ، فاسرع اطلاقه وحلّ وثاقه ، فدخل مطرف اليه
واجهر في الحين عليه ، وتركه متخبطاً في دمه ملقى على يده
وفمه . فلما علم ذلك الامير عبد الله اعظم ذلك منه وهم
بقتله عنه ، فلم يعد من كسر عليه لذلك فتراكه ، وقيل قتله
فيه ، والله اعلم . وكان ذلك في سنة ٢٧٧ .

شأن القاسم اخي الامير عبد الله

كان الامير عبد الله قد اتهم اخاه بالقيام عليه في الملك
وايراده موارد الملك ، فلما كثر بذلك الرفع اليه وتتابع
الكلام فيه عليه ، رأى بمقتضى الرئاسة وحكم التدبير والسياسة
ان يحبس في دار البقية من القصر حتى يكشف من هذا
الامر ، ثم نقله منها الى حبس الدثيرة فمُنِع النوم هناك ،
فارسلت له أمّه مُرْقِداً لذاك ، وامرته ان يقسمه على ثلاثة
ايام ، فشرب الجميع في يوم واحد فاصبح رهن الحِمَام .

وفي سنة ٣٠٠ كان وفاة الامام عبد الله بن محمد رحمه الله ليلة الخميس مستهل ربيع الاول، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة، وكانت خلافته خمسا وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً، ودفن في قصر قرطبة مع اجداده الخلفاء رضي الله عنه وعنهم، وصلى عليه امير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد (رضه) .

صفة الامام عبد الله بن محمد

كان ابيض اصهب مشرباً بحمرة ازرق اقنى، يخضب بالسواد، ربعة الى الطول، عظيم الكراديس .

تسمية اولاد الامام عبد الله

فمن وُلد له قبل الخلافة محمد ابو امير المؤمنين عبد الرحمن ابن محمد رحمهما الله . امه در ، واحمد امه تمام ، ومطرف وسليمان امهما غزلان، وابان لأم ولد تسمى شان، وعبد الرحمن وعبد الملك والسيدة وعائشة والسيدة أخرى امهن غزلان، وهشيمة امها قريش، واسماء امها فتيان ، وحكيمة امها ملك ، والبهاء امها در ، وفاطمة وكانت أسنً ولده . ومن ولد له بعد الخلافة العاصي لمسطرف، وعبد الرحمن لحديع ، ومحمد الاصغر واحمد الاصغر امهما ملحة، ورقية وزينب للملحة، وفاطمة للماجن، وزينب لشارق ، وفاطمة الصغرى لدر .

ذكر حجابيه ووزرائه وكتابه واصحاب شرطه

ألقى الامام عبد الله على الحجابة وقت وفاة الامام المنذر
رحمهما الله عبد الرحمن بن أمية بن شهيد ، فامضاه عليها ، ثم
عزله وولى مكانه سعيد بن محمد بن السليم . ثم عزله ولم يول
بعده الحجابة احداً .

والوزراء براء بن مالك القرشي ، عباس بن عبد العزيز
القرشي ، سعيد بن محمد بن السليم ، عبد الملك بن عبيد الله
ابن أمية .

وقاد الحيل بالصوائف عبيد الله بن محمد بن أبي عبدة ؛
وولي الكتابة احمد بن محمد بن أبي عبدة ؛ وقاد بالصوائف
سلمة بن علي بن أبي عبدة ، عبد الرحمن بن حمدون بن أبي
عبدة ، حفص بن محمد بن بسيل .

ولي المدينة مع الوزارة محمد بن وليد بن غانم ؛ وولي المدينة
مع الوزارة اصبع بن عيسى بن فطيس ، عبد الله محمد الزجالي ؛
وكان كاتباً ووزيراً سليمان بن محمد بن وانسوس ، احمد بن
هاشم ؛ وقاد الحيل جعفر بن عبد الغافر ؛ وقاد الحيل العاصي بن
عبد الله بن ثعلبة ، تمام بن عمرو بن علقمة ؛ وكان وزيراً لثلاثة
من الخلفاء : عبد الله بن حارث بن بزيع ، ابراهيم بن حنبل ،
محمد بن أمية بن شهيد ؛ وولي المدينة نصر بن سلمة ؛ وولي

القضاء موسى بن زياد ، وولي الكتابة والشرطة والقضاء ، ومن اصحاب الشرط : موسى بن زياد ، ثم ولي مكانه لما ولي القضاء يحيى ابن زياد عمه ، ثم مات يحيى بن زياد وبقيت الشرطة دون وال سنتين ، ثم وليها قاسم بن وليد الكلبي ، فبقي عليها حتى توفي الامام رحمه الله .

ومن كتابه عبد الله بن محمد الوزير ، عبيد الله بن محمد ابن أبي عبدة ، موسى بن زياد ، ومن قضاته : النضر بن سلمة القيسي ، ثم موسى بن زياد ، ثم محمد بن سلمة اخو النضر ، ثم اعيد النضر بن سلمة ثانية ، ثم عزل وولي محمد بن سلمة ، ثم مات وولي بعده احمد بن محمد بن زياد اللخمي .

ذكر فضائله رحمه الله

كان الامام عبد الله رحمه الله مقتصدًا يظهر ذلك في ملبسه وشكله وجميع احواله ، وكان حافظًا للقرآن كثير التلاوة له ، وكانت له صدقات كثيرة ونوافل جزيلة ، وكان متقدمًا في ورعه وفضله ، مجبًا للخير وأهله ، كثير الصلاة دائم الحشوع والذكر لله عز وجل ، شديد التواضع منكرًا للسرف ومبعدًا لاهله وشديد الوطأة على ذوي الظلم والجور ، وكان متقنًا في ضروب العلوم بصيرًا بلغات العرب فصيح اللسان حسن البيان ، وكان لا يخلو

في اكثر ايامه من مقاعدة وزرائه ووجوه رجاله ، فاذا انقضى
خوضهم في الرأي والتدبير لاسباب مملكته وما كان يحاوله من
حسم علق الفتنة خاض معهم في الاخبار والعلوم ، ولم يكن ممن
اشتغل بلذّة أو قارف شيئاً من الانبذة في ايام خلافته ولا
قبلها .

وهو ابنتى السباط بين القصر والجامع بمدينة قرطبة رغبة
في شهود الجمعة ومحافظة على الصلوات وحباً للصالحات ،
وكان يقعد في السباط قبل صلاة الجمعة وبعدها ، فيرى الناس
ويشرف على أخبارهم وحركاتهم ، ويسرّ بجماعاتهم ، ويسمع قول
المتظلم ، ولا يخفى عليه شيء من أمور الناس .
وكان يقعد أيضاً على بعض أبواب قصره في ايام معلومة فترفع
اليه فيه الظلامات وتصل اليه الكتب على باب حديد قد صنع
مشرّباً لذلك ، فلا يتعذر على ضعيف ايصال بطاقة بيده ولا
انهاء مظلمة على لسانه .

وكان أهل المكائات وذوو المنازل والاقدار يتحفظون من
كل أمر يوجب الشكوى بهم ، وينقبضون عن التعامل على من
دونهم ، ويهابون عقابه ويحذرون انكاره ويتحرّون موافقة
مذاهبه .

وكانت اللذات مهجورة في أيامه واللهو غير مقترف من

جميع خاصة وعامة ، واعمال الخير و اظهار البر والتقوى فاش
في كل طبقة من رجاله ورعيته .

وكان رحمه الله كثير الاستغفار لله عز وجل ومتحفظاً
من اليمين باسمه ، فاذا حلف له حالف بالله صدقه ، واذا شفع
به اليه شافع شفّعه ، أو خائف امّنه ، أو مذبّ صفع عنه . وما أثره
كثيرة وفضائله محفوظة مذكورة .

وكان قد فتح باباً في القصر سماه باب العدل ، وكان يقعد
فيه للناس يوماً معلوماً في الجمعة ليباشر أحوال الناس بنفسه ،
ولا يجعل بينه وبين المظلوم ستراً .

وكان بصيراً باللغات ، حافظاً لاشعار العرب وأيامها وسير
الحلفاء ، راوية للشعر ، وكانت اللذات في أيامه مهجورة ، فانه
لم يشرب قط نبيذاً ولا مسكراً ؛ واعتذر اليه يوماً بعض
مواليه فقال له : ان مخايل الأمور لتدلّ على خلاف قولك
وتنبىء عن باطل تنصّلك ، ولو أقررت بذنبك واستغفرت
لجرمك لكان أجمل بك واسدل لستر العفو عليك .

قال : قد اشتمل الذنب عليّ وحق الخطأ بي ، وانما انا
بشر وما يقوم لي عذر . فقال : مهلاً عليك ، رويداً بك ،
تقدّمت لك خدمة وتأخّرت لك توبة ، وما للذنب بينهما مدخل ،
وقد وسعك الغفران .

وأملى كتاباً الى بعض عُمَّاله :

اما بعد فلو كان نظرك فيما خصصناك به ، واهتباك به على
حسب متوترك بالكتب واشتغالك بذلك على مهمِّ أمرك ، لكنت
من أحسن رجالنا غناء وامتَّهم نظراً وافضلهم حزمًا ، فأقلل من
الكتاب فيما لا وجه له ولا نفع فيه ، واصرف همَّتك وفكرتك
وعنايتك الى ما يبدو فيه اكتفاؤك ويظهر فيه غناؤك ان شاء الله .
وكتب احد الوزراء اليه كتاباً في أمر فوقَّع فيه :

أنت يا نضر آبدٌ ، لست تُرجى لفائدة
انما انت عدَّةٌ لكنيف ومائدة

وكان رحمه الله تقياً نقياً بنى السباط من القصر الى الجامع
محافظة منه على الصلوات والتزام الصلاة مع الجماعة الى جانب
المنبر دأباً حتى لقي ربه .

وكان رحمه الله شاعراً مطبوعاً له اشعار حسان ، فمن قوله
يتغزَّل في صباه :

ويحي على شادنٍ كحيلٍ ، في مثله يُخلع العذار
كأنما وجنتاه ورد ، خالطه النُّور والبحار
قضيْب بانٍ اذا تشَّى ، يدير طرفاً به احوار
فصفوُ ودِّي عليه وقف ، ما اطرد الليل والنهار
ومن قوله أيضاً في مثل ذلك رحمه الله :

يا مهجة المشتاق ما أوجعك ؛
ويا أسير الحب ما أخضعك
ويا رسول العين ما لحظها ،
بالردّ والتبليغ ما أسرّعك
تذهب بالسر فتأتي به
في مجلس ، يخفى على من معك

ومن قوله في الزهد :

يا من يراوعه الأجل ، حتى مَ يلهيك الأمل ؟
حتى مَ لا تخشى الردى ، وكأنه بك قد نزل ؟
أغفلت عن طلب النجاة ؟ ولا نجاة لمن غفل
هيهات يشغلك المنى ولا يدوم لك الشغل
فكأنَّ يومك لم يكن ، وكأنَّ نعيمك قد نزل

وله أيضاً في الزهد :

أرى الدنيا تصير الى فناء ، وما فيها شيء من بقاء
فبادرْ بالانابة غير وانٍ على شيء يصير الى فناء
كأنك قد حمِلتَ على سرير ، وغَيَّبَ حسن وجهك في الثراء
فتنافس في التقى واجنحْ اليه ، لعلك ترضين رب السماء
ولم يزل رحمه الله عليه يرفع منار الدين ويسلك سبيل

المهتدين ، لم تمنعه الفتن عن النظر لنفسه والعمل ليوم فاقتنه وحلول رومه ، وكانوا يعدّونه من أصلح خلفاء بني أميّة بالأندلس وأمثلهم طريقة وأتمهم معرفة وامتنهم ديانة ، لكنه كان منغص الحال بدوام الفتنة وتضييق نطاق الحطة ونقصان مقدار التزكية ، حتى كان يتخلله الرياء تحت قناع تقية والبخل يطوقه طبيعة ليست له تحط من قدره ، وغطى دينه لما كان من هوان الدماء عليه ، بسبب الفتن الطارئة حتى من ولديه ، أخذاً لأكبرهم بالظنة .

وقد صرح الفقيه أبو محمد بن حزم بدمّ هذا الامير وقال : انه كان قتالاً تهون عليه الدماء مع كثرة اقباله على الخيرات وترك المنكرات ، فانه احتال على اخيه المنذر على ايثاره له وواطأ عليه حجامه بان سمّ له المبيض الذي فصده به ، وهو نازل بمعسكره على ابن حفصون ، ثم قتل ولديه معاً بالسيف واحداً بعد واحد : قتل محمداً والد الناصر لدين الله ، وقتل اخاه المطرف ، ثم قتل اخوين له معاً ايضاً : قتل هشاماً منهما بالسيف والقاسم بالسّم ، الى غير ذلك .

خلافة عبد الرحمن الناصر لدين الله

نسبه : عبد الرحمن بن محمد الذي قتله اخوه مطرف ابن الامير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم الربضي بن هشام الرضا بن عبد الرحمن الداخل .

كنيته : أبو المطرف .

لقبه : الناصر لدين الله .

أمه : ام ولد تسمى مُزَنَّة .

عمره : ثلاث وسبعون سنة وسبعة اشهر .

ولي في اليوم الذي توفي فيه جدّه الامير عبد الله ، وبويع فيه ، وذلك يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة ٣٠٠ ، وتوفي يوم الاربعاء لليلتين خلتا من شهر رمضان المعظم سنة ٣٥٠ ، فكانت خلافته خمسين سنة وستة اشهر وثلاثة ايام .

صفته : ابيض ربعة اشهل حسن الجسم جميل بهي مخضب بالسواد .

قضاته : احمد بن محمد بن زياد ، ثم عزله وولى اسلم بن عبد العزيز بن هشام ثم احمد بن محمد بن زياد ثانية ثم احمد ابن بقيّ ثم منذر بن سعيد البلوطي .

نقش خاتمه : عبد الرحمن بقضاء الله راضٍ .

وكان أبوه وليّ عهد أبيه عبد الله وأكبر بنيه ، فقتله أخوه
مطرف وقتله أبوه به ، وقيل في ذلك كلام كثير .
وكان مولد الناصر قبل قتل أبيه محمد بواحد وعشرين يوماً ،
وذلك يوم الخميس لثمان بقين من رمضان سنة ٢٧٧ .

وكان جدّه الأمير عبد الله يحظيه دون بنيه ويومئذ اليه
ويرشحه لأمره ، ربما أقعده في بعض الأيام والأعياد مقعد نفسه
لتسليم الجند عليه ، فتعلّقت آمال أهل الدولة به ولم يشكّوا في
مصير الأمر اليه . فلما مات جدّه اجلسوه مكانه في الخلافة
دون ولد لصلبه لما أراد الله من ضخامة الملك ونصر الاسلام
وابادة الشرك ، اتفق له في ذلك ما لم يتفق للملك قبله ولا بعده .

وكان يسكن القصر مع جدّه دونهم فتهيأ إجلاسهم دونهم مكانه
بغير منازعة . وقيل ان جدّه رمى بخاتمه اليه ابانة منه لاستخلافه ،
فكان أول من بايعه أعمامه أولاد الامام عبد الله ، وهم ابان
والعاصي وعبد الرحمن ومحمد واحمد ، وتلاههم اخوة جدّه ،
وهم العاصي وسليمان واحمد ، وكان احمد متكلمهم فلما بايعه
اثني عليه بكل جميل .

والناصر هذا هو أول من تسمّى منهم بأمير المؤمنين
وتلقّب بأحد الألقاب السلطانية وهو الناصر ، ثم تسمّى منهم
من كان بعده من خلفائهم بامرة المؤمنين ؛ وآثر اللقب السلطاني

وذلك حين هاجت الخلافة العباسية وضعفت وظهرت الدولة
التركية والديلمية ، فصارت امرة المؤمنين لائقة بمنصبه وكلمة
باقية في عقبه ، فاستهلّ الخطيب بجامع قرطبة أحمد بن بقيّ بن
مخلد بذكر هذا الاسم المخلد يوم الجمعة من سنة ٣١٦

وفي يوم ولايته يقول أحمد بن عبد ربه من قصيدة :

بدا الهلال جديدا ، والملك غض جديد
يا نعمة الله زيدي ، فما عليك مزيد

وولي والاندلس جمرة تُحْدِمُ ونار تضطرم شقاقاً ونفاقاً ،
فأحمد نيوانها وسكن زلازلها ، وغزا غزوات كثيرة ، وكان
يشبهه بعبد الرحمن الداخل ؛ ومن وقت دخوله الاندلس سنة
١٣٨ الى ولاية عبد الرحمن الناصر مات من بني أمية سبعة
خلفاء وعبد الرحمن ثامنهم ، ومات في المدة المذكورة من بني
العباس اثنان وعشرون ملكاً .

وفي سنة ٣٠٠ استُخلف الامام الناصر لدين الله امير
المؤمنين عبد الرحمن بن محمد رحمه الله يوم الخميس مستهل
ربيع الاول سنة ٣٠٠ ، وهو ابن ثلاث وعشرين سنة وخمسة
اشهر وثلاثة وعشرين يوماً ، وكنيته ابو المطارف ، وأمه ام
ولد تسمى مزنة ، وجلس في محراب المجلس الكامل بقصر قرطبة ،
وتولى اخذها له على الخاصة والعامة بدر بن أحمد مولاه وموسى

ابن محمد بن جدير صاحب المدينة؛ واحضر اعمامه واعمام ابيه وطبقات قريش وصنوف الموالي وعامة الناس ، فبايعوا مبايعة رضى واغتنباط بوجوه متهلة وصدور مشرحة والسنة داعية شاكرة لله عز وجل على ما قلده من امرهم واصاره اليه من رعايتهم والذب عن حرماهم ، قد استبشر جميعهم بيمين نقيته واعتلاء همته ورجوا ما قد حققه الله لهم من بركة دولته وصلاح الاحوال على يديه وتجرده لاستئصال علق الفتنة والتمهيد للطاعة .

وكان الخلاف قد عم اقطار الاندلس وطبق القاصي والداني منها ، واستولى اهل النفاق على كورها ومعاقبها بفتوة طاولتهم وهمل تراخت ايامه بهم ، فحسم الله عز وجل منه على يديه ما سيأتي الخبر عنه وتتصل الحكاية له .

وعهد رعمه الله بالكتاب ببيعته الى الكور والاطراف، وولى في يوم مبايعته بداراً مولاه الحجابة مع الوزارة وخطة الخيل الى ما كان اليه من خطة البرد؛ وولى موسى بن محمد الوزارة الى ما كان اليه من خطة المدينة؛ وكان على الكتابة عبد الله بن محمد الزجاجي فأقره عليها وأقر احمد بن محمد بن ابي عبدة على القيادة، وأقر قاسم بن وليد الكلبي على الشرطة العليا، وكان مع ذلك خازناً، فصرف الخزانة عنه وولاهها عبد الملك بن جهور،

وولى الخزانة ايضاً محمد بن عبيدة بن مبشر ومحمد بن عبد الله
ابن ابي عبدة ، وعزل عنها عيسى بن شهيد وولى مكانه سعيد بن
سعيد بن جدير؛ وولى عمر بن محمد بن غانم وعبد الرحمن بن
عبد الله الزجاجي ومحمد بن سليمان بن وانسوس خطة العرض ؛
وولى محمد بن عبد الله الحروي خزانة السلاح مع العقل ،
وحسين بن احمد الكاتب خزانة السلاح ايضاً ويحيى بن اسحق
ومسلمة بن عبد القاهر المعروف بابن الشرح .

ثم ولى (رضه) عيسى بن احمد بن ابي عبدة الشرطة العليا
وصرف عنها قاسم بن وليد الكلبي ؛ وولى فطيس بن اصبع
خطة البيازرة وصرفها عن الحاجب بدر بن احمد الى اعمال
وخطط ولاها من استحق عنده من مؤملته ووجوه مواله .

واخرج رحمه الله عباس بن عبد العزيز القرشي في قطيع
من الجند الى برابر كركي وجبل البرانس ، واخرج القائد احمد
ابن ابي عبدة في من ضم اليه من الجند الى كورة قبرة لمعالجة
من كان في هاتين الجهتين من اهل الشر والفتنة ، فالتقى عباس
ابن عبد العزيز بالفتح بن موسى بن ذي النون بقلعة رباح ،
فهزمه وقتل كثيراً ممن كان انضوى اليه .

وورد كتاب عميد الله بن فهر عامل قلعة رباح يذكر ظفـره
بمحمد بن اردنبلس بناحية عمله ، وكان من العصاة المفسدين ،

قتله وبعث برأسه ، وكان اول رأس رفع لما رق في دولة امير المؤمنين رحمه الله ، وذلك يوم الأحد لعشر خلون من ربيع الآخر ، وبدت تباشير الصنع ودلائل الاقبال على اوائل نظره رحمه الله ؛ ولثمان بقين من ربيع الآخر ولّى امير المؤمنين (رضه) احمد بن محمد بن جدير الوزارة والقيادة ، وكان قبل ذلك يلي الشرطة الصغرى ، وولّى هذه الشرطة محمد بن محمد بن ابي زيد ، وأجرى الرزق على عبد الرحمن وعبد الله ابني بدر الحاجب ، وذلك لكل واحد منهما ثلاثون ديناراً وازنة ؛ وولّى اسماعيل بن بدر كتابة خاصة أرتبه لها ؛ وولى رحمه الله جهور بن عبد الملك الوزارة ، وولاها ايضاً عبد الله ابن مضر ؛ وولى عبد الرحمن بن بدر الحيل ، وعبد الله بن محمد بن عبد الحائق بن سودة قضاء كورة البيرة ، وهو اول قاضٍ خرج الى كورة في ايامه رحمه الله .

ولأربع بقين من ربيع الآخر عزل احمد بن محمد بن أبي عبدة عن الوزارة والقيادة وابنه عيسى بن احمد عن الشرطة العليا ، وصرف اليها قاسم بن وليد الكلبي ، وعزل محمد بن وليد بن غانم عن الوزارة وعمر بن محمد بن وليد عن العرض .

وفي يوم الخميس لاحدى عشرة ليلة بقين من جمادى الأولى افتتحت مدينة استجة ودخلها الحاجب بدر بن احمد والوزير

احمد بن محمد بن جدير ، وكان أول موضع افتتح في ايام
الناصر رحمه الله ، وضبطت المدينة وهدم سورها وبقي احمد
ابن محمد الوزير قائداً بها ومسكناً لأحوال اهلها ، وولي
عمالها حمدون بن بسيل .

وفي يوم السبت لسبع بقين من جمادى الاولى منها ولي
الوزارة محمد بن عبد الله بن أمية ، ولست خلون من جمادى
الآخرة طلب رجل من المفسدين يعرف بمحمد بن يونس الحياثي ،
كان محبوساً في ايام الامام عبد الله رحمه الله ، فأطلقه امير
المؤمنين الناصر (رضه) بعد ان عاهد الله ألا يواقع منكرراً ،
فنكث وخرج يبغي الفساد في ايامه رحمه الله .

ولتسع بقين من جمادى الآخرة عزل احمد بن محمد بن
زياد عن قضاء الجماعة بقرطبة وعن الصلاة لامور انكرت عليه ،
وتولى القضاء اسلم بن عبد العزيز والصلاة محمد بن عمر بن لبابة
الفقيه .

وفيهما كانت غزاة أمير المؤمنين رحمه الله الى معاقل جيان
وهي اولى غزواته : برز الناصر (رضه) من قصر قرطبة يوم
الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من شعبان سنة ٣٠٠ ، وفصل
غازياً الى كورة جيان يوم السبت لسبع خلون من رمضان بعد
بروزه بثلاثة وعشرين يوماً ، واستخلف في القصر موسى بن محمد

ابن جدير الوزير صاحب المدينة وعبد الرحمن بن بدر ؛ ونهض
(رضى) في جيوش كثيفة وعدد كاملة ، وكان قد نزع اليه
قبل فصوله محمد بن فروة صاحب ابدة في جملة فرسانه ، فتقبلهم
أحسن قبول وانزلهم أتمّ انزال وصاروا في جملة رجاله ومن
يضمه عسكره .

وسار رحمه الله لوجهه ، فلما احتل بحصن مارشن من عمل
جيان ورده الخبر بمضايقة عمر بن حفصون لأهل حاضرة رية ،
وانه اطمع نفسه عند تحاذلهم بانتهاز الفرصة فيهم ، فوجه لتلافي
ذلك سعيد بن عبد الوارث في قطع من الجند وأمره ان يُغذ
السير ويطوي المراحل حتى يحتلّ مدينة مألقة ، ويقطع بابن
حفصون عما كان رامه منها واطمع نفسه فيها ، فتوصل القائد
الى الموضع وضبطه وحمل تلك الجهة عن ابن حفصون وحزبه .
ونَهَض أمير المؤمنين رحمه الله الى حصن المتلون واحتلّه
يوم الأحد للنصف من شهر رمضان وحارب سعيد بن هذيل فيه
حتى افتتحه يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت منه ، وانزل
سعيد بن هذيل من الحصن واوسع الأمان ، وولى عمله محمد
ابن عبد الوهّاب ؛ ثم تقدّم رحمه الله الى حصون شمنتان فاستأمنه
عبيد الله بن اميّة بن الشمالية ، واسحاق بن ابراهيم صاحب
منبيشة ، وعكاشة بن محصن صاحب وادي بني عبد الله ، وسلمة بن

عرام صاحب بحيلة ، ومنذر بن حزم صاحب بختورية ، وافلح
ابن عروس صاحب بكور، وفحلون بن عبد الله صاحب سسانة ،
ونزلوا عن معاقلهم اليه ، وكلهم مدعن بطاعته ومحكم في نفسه ،
فاوسعهم أمير المؤمنين رحمه الله فضله والبسهم عفوه وأخلى
تلك المواضع منهم وقدم أولادهم ونساءهم الى قرطبة ، واستعمل
في الحصون ثقات رجاله ، واستنزل عبد العزيز بن عبد الأعلى
من حصن الشارة ودحون بن هشام .

ثم انتقل رحمه الله منها الى كورة البيرة ، فلمّا احتلّها
تداعى اهل حصون تاجلة وبسطة ومربيط والبراجلة والاسناد
الى النزول والطوع ، واخلوا حصونهم ، فأحكم الناصر رحمه الله
امر ذلك الجانب كله وضبط المعقل برجاله واتقن الجميع بنظره ؛
ثم انتقل رحمه الله الى حصون وادي اش ، فأخلى أكثرها رهبة
له ؛ ونزل على حصن فنيابة يوم الخميس لأربع خلون من شوال ،
وكان فيه من شيعة ابن حفصون من اغوى اهله واطلهم
فتمنّعوا من النزول ورجوا ان يعتصموا بوعر الحصن ، فأحاطت
العساكر بهم واضرمت ارباضهم ناراً ، فضرعوا في قبول الانابة
على ان يسلموا من كان عندهم من شيعة ابن حفصون ، فاجيبوا
الى ذلك ، وتقبض على اصحاب ابن حفصون وشدوا وثاقاً .

ثم انتقل أمير المؤمنين يتقرب تلك المعقل بجهة بشيرة واجبلها ،

حتى توغل بالعساكر في جبل الثلج ، وهو ممتنع السلوك ، فجازاه
الناس ويسر الله ذلك عليهم وسهله لهم . وافتتحت حصون
تلك الجهة ولم يبق بها معقل ممتنع .

واتصل بامير المؤمنين رحمه الله أن ابن حفصون أقبل في
جماعة اصحابه الى حاضرة البيرة طامعاً في انتهاز الفرصة فيها ،
فاخرج عباس بن عبد العزيز قائداً نحوه ، فلما قرب من مدينة
غرناطة أقبل ابن حفصون لما كان رجاء وطمع به ، فخرج
اهل البيرة واثقين بالمدد الذي وردهم والقائد المصرخ لهم ، فهزموا
ابن حفصون وقتلوا جماعة من رجاله واسروا عمر بن ايوب
حفيده ، وجرح احد اولاده جراحاً اثخنه .

وتقصى امير المؤمنين رحمه الله ما كان بقي من معاقل تلك
الجهة حتى احتل بحصن شيلش ، وكان من أعظم حصون ابن
حفصون منعة واصعبها مراماً واورها مكاناً ، واليه كان انضوى
كل مشرك تفلت من الحصون المتقدمة الذكر ، فاحتلت
العساكر عليه يوم الاربعاء لاربع عشرة ليلة بقيت من شوال ،
فقطعت ثمارهم واستهلكت زروعهم ومعايشهم وحوصروا خمسة
عشر يوماً حتى نادوا بالطاعة وضرعوا في قبول الانابة ، واسلموا
اصحاب ابن حفصون الذين كانوا عندهم ، فتلقى ذلك امير
المؤمنين رحمه الله بالقبول ، وأخرج اليه جميع من كان في

الحصن من المشركين ، فأمر بضرب رقابهم حتى أبيضوا من
آخرهم .

ثم أمّ رحمه الله مدينة شلوبنية وفعل فيها مثل فعله فيما
تقدم ذكره ، وضبط برجاله كل حصن افتتحه ، وانحسم الداء في
كورة البيرة وتألّفت كلمتهم واستقامت طاعتهم .

وصدر رحمه الله قافلاً على طريق حصن استين وحصن
ابنة فراطة ، وكانا قد اضرّا باهل غرناطة وحاضرة البيرة ،
وهما في غاية الحصانة والمنعة ، فنزلت الجيوش عليهما وأحدثت
بهما وحوربوا أشدّ محاربة وانكاها عشرين يوماً . ثم اتخذت
عليهم الحصون وشحنت بالرجال ، وقفل امير المؤمنين رحمه الله
بعد ايعابه النظر في كل ما شخص له من استصلاح أمر كورة
جيان والبيرة وما والاها ، ودخل القصر بقرطبة يوم الأضحى وقد
استتمّ في غزاته اثنين وتسعين يوماً . وفي هذه السنة توفي
هشام بن محمد القرشي المعروف بابن الشبانسية .

وفي سنة ٣٠١ توفي باشبيلية عبد الرحمن بن ابراهيم بن
حجاج صاحبها في المحرم ، فاجتمع اهلها على تقديم احمد بن مسلمة
مكانه ، وكان من الشجعان ، فأخرج امير المؤمنين الناصر رحمه
الله احمد بن محمد بن جدير الوزير قائداً نحوها ، فكان
اول من حاربها ووقع بأهلها .

وكان محمد بن ابراهيم بن حجاج عند ذلك بمدينة قرمونة
فقصده باب السدة وعرض نفسه على أمير المؤمنين لمحاربة اهل
اسبيلية، فاخرجه لذلك مع قاسم بن وليد الكلبي، وحاصرها
شهوراً، ثم خرج اليها الحاجب بدر بن احمد، فدخلها يوم الاثنين
لاحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ٣٠١، وهدم
اسوارها واستصلح امور اهلها واخرج مع نفسه سعيد بن المنذر
عاملاً عليها .

وفيها ولي محمد بن سليمان بن وانسوس الوزارة، ووليها
ايضاً عيسى بن احمد بن ابي عبدة، وولي محمد بن عبد
الله الحروي ومحمد بن احمد بن جدير وقند الكبير ودُرِّي
مولى الناصر خطة العرض، وعزل عمر بن احمد بن فرج عن
السوق وصرف النظر فيها الى محمد بن عبد الله الحروي، وذلك
في ربيع الآخر، وولي احمد بن مسلمة الشرطة العليا، واستقدم
محمد بن ابراهيم بن حجاج من مدينة قرمونة وولي الوزارة
وقعد مع الوزراء يوماً واحداً، واستقدم سعيد بن المنذر من
اسبيلية ووليها فطيس بن اصبع في شعبان، واعيد الى الشرطة
العليا قاسم بن وليد الكلبي، وولي خزانة المال موسى بن سليمان
الحولاني المعروف بأبي الكوثر وعبد الملك بن سليمان اخوه خزانة
السلاح .

وفي هذه السنة افتتح اهل الثغر حصن قلهرة وكان بايدي
المشركين ، وذلك يوم الاربعاء لثاني عشرة ليلة خلت من
ذي القعدة .

وفيها كانت محاصرة لب بن محمد مدينة سرقسطة وبنيان
الردم عليها . وفيها قتل محمد بن عبد الملك الطويل .

غزاة امير المؤمنين الى كورة رية والجزيرة وقرمونة وهي الثانية من غزواته

برز رحمه الله من قصر قرطبة يوم الخميس لثمان خلون من
شهر رمضان ، وفصل غازياً لثمان خلون من شوال ، وتحلف في
القصر موسى بن محمد بن جدير صاحب المدينة ، وكانت الكتب
تنفذ الى هشام الولد (رضه) ، وهو صغير ، فكان اول مقصده
حصن طرش ، بعد ان قدم حاجبه بدر بن احمد في قطع من
الجند الى حصن بلدة ، فألفى اهله على غرة ، وقتل منهم وسبى
واسر جملة كثيرة؛ واحتلّ الناصر (رضه) بجيوشه على حصن
طرش يوم الاربعاء لأربع عشرة ليلة خلت من شوال ، فحصر
من كان فيه ، واقام عليه خمسة ايام يغادهم الحرب ويماسيهم
ويقطع ثارهم ويحطم معاشهم ويقتل من تظاهر منهم ، ثم ابقى
عليها من يحاصرها وتنقل الى حصون رية ومعاقل ابن حفصون
يتبّعها معقلاً معقلاً ، وينزل ناسه ومعرة جيوشه بكل ما ينزل

به منها ؛ وواقع بابن حفصون ومن الخشد اليه من النصرانية ،
في حصن طرش ، وقبعة عظيمة ذهب فيها كثير منهم وبعث
برؤوسهم الى قرطبة ، والفيت للمشرك عمر بن حفصون
مراكب في البحر كانت تميره من العدو فاحرق جميعها ،
وسارع كل من كان بتلك الناحية من اهل شانر وفج وسيم
وقلبيرة والقصر وما انتظم بها من احواز الجزيرة الى الدخول
في الطاعة والاعتصام بها من الهلكة ، فقبلهم الناصر (رضه)
وامنتهم وسكن احوالهم .

وتنقل منها الى حاضرة الجزيرة ، ثم الى كورة شذونة ، ثم
الى كورة مورور ، حتى اوفى على مدينة قرمونة فاحتلها يوم
الثلاثاء مستهل ذي الحجة ، وكان حبيب بن سودة قد اظهر
الخلاف فيها عند قدوم محمد بن ابراهيم بن حجاج قرطبة ،
فنازلته جيوش امير المؤمنين رحمه الله ، وحوصر بها عشرين
يوماً حتى عضته النكاية واخذت بمخنقه المحاصرة ، ثم استأمن
فأمن ، وسأل ان يهيل لانتقال اهله وثقله الى قرطبة ، فاجابه
الناصر رحمه الله الى ذلك ولم يرهقه من امره عسراً .

وقفل الى قرطبة فدخلها يوم الاثنين لليلتين بقيتا من ذي
الحجة ، وقد استم في غزاته اثنين وثمانين يوماً ، وفي هذه
الغزاة بعث في قاسم بن الوليد الكلبي صاحب الشرطة ، وكان

قد خلف بقرطبة، فسُجِنَ وسُجِنَ معه محمد بن ابراهيم بن حجاج
ومحمد بن وهيب وعبيد الله بن محمد الرقباني وسكن بن
جديدة، وعُزِّلَ ابن مسلمة عن الشرطة العليا ووليها عباس بن
احمد بن ابي عبدة .

وفيها استقود الناصر عيسى بن احمد بن أبي عبدة وأعادته
الى كورة اشيلية .

وفي هذه السنة توفي عبد الله بن محمد الزجاجي الوزير
الكتاب في ربيع الاول، فولي اسم الكتابة عبد الله بن بدر،
وكان سكن بن ابراهيم وعمر بن تاجيت كاتباً بدر الحاجب
يقيمَان خدمة الكتابة .

وفيها توفي العاصي ابن الامام محمد رحمه الله في ربيع الاول،
وهو ابن ثلاث وستين سنة؛ وتوفي عباس بن عبد العزيز القرشي
في جمادى الاولى؛ وتوفي الوزير أبو الحارث سلمة بن علي
ومحمد بن الوليد بن غانم الوزير وايوب بن سليمان بن صالح
الفقيه وسعيد بن خُمَيْر الفقيه .

وفيها قتل بهرشلونة عبد الملك بن عبد الله بن شبريط؛ وأغار
المشركون بوادي الحامة في الثغر، وكانت ملحمة ارنيط يوم
الاحد لعشر بقين من شعبان وهلك فيها غرسية بن اذفنش
صاحب جليقية، وصار الأمر الى أخيه اردزون بن اذفنش .

وفي سنة ٣٠٢ كان ولادة امير المؤمنين الحكم المستنصر بالله اطال الله بقاءه ابن امير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد (رضه) ، وذلك يوم الجمعة مستهل رجب وقت اذان الظهر . وفيها اغزى امير المؤمنين الناصر رحمه الله في الصائفة عمه أبان ابن الامام عبد الله ففصل في شوال الى كورة رية وتردّد بالجيوش فيها ونازل حصونها وحطم زروعها وقطع ثمارها .

وفيها محل الناس وتوالى القحط وعمّ ، فبرز الى مصلى الربض محمد بن عمر بن لبابة صاحب الصلاة ، واستسقى بالناس خمس مرات في ايام مختلفة ، فلم تكن سقياً ، وغلت الاسعار وقلّت الميرة في الاسواق ؛ ثم برز احمد بن احمد بن زياد للاستسقاء بالناس يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال ، وهو اول شهر مايو ، فنزل رذاذ تماسك به بعض الزرع وذهب الاكثر ، وكان القحط عامّاً شاملاً بالاندلس واطرافها وثغورها وغلت الاسعار في جميع جهاتها .

وفي هذه السنة قدّم الناصر رحمه الله محمد بن عبد الله الحروي من ولاية السوق الى ولاية المدينة ، وعزل عنها موسى ابن محمد بن جدير ، وولى السوق احمد بن حبيب بن بهلول ، وذلك يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شوال .

وفي هذا اليوم عُزل عبد الله بن بدر عن الكتابة ووليها

عبد الملك بن جهور؛ وعزل محمد بن محمد بن أبي زيد عن
الشرطة الصغرى ووليها يحيى بن اسحق .

وفيهما عزل عبد الرحمن بن بدر عن خطة الحيل ووليها
عبد الله بن مضر .

وفيهما ولي المواريث قند ودرسي موليا امير المؤمنين الناصر .
وفي يوم الاحد مستهل ذي الحجة قتل عباس بن احمد بن محمد
ابن أبي عبدة صاحب الشرطة العليا ، وكان امير المؤمنين الناصر
رحمه الله قد أرتبه على محاصرة منته روى فواقته ضربة في
حرب باشرها وغرر بنفسه فيها ، فولّى الناصر اخاه عبد الله بن
احمد بن محمد الشرطة العليا ، وولى محمد بن محمد بن أبي
عبدة خزانة المال .

وفيهما توفي مروان بن المنذر ابن الامام عبد الرحمن بن
الحكم ، رحمه الله ، يوم الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى
الآخرة ، وكان قد توفي قبله عمر ابن الامام عبد الرحمن لست
بقين من جمادى الاولى .

وفيهما توفي سعيد بن السليم ، وكان حاجباً في أيام الامام عبد الله
رحمه الله ، وكانت وفاته لاربع خلون من ربيع الآخر .
وتوفي النضر بن سلمة وكان قاضياً في أيام الامام عبد الله ،
وذلك يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الآخرة .

وفيهما توفي عبيد الله بن محمد بن أبي عثمان لثلاث خلون من شهر رمضان .

وتوفي حمدون بن بسيل في شعبان وعبد الله بن محمد بن عبد الخالق الغساني قاضي اشبيلية لست بقين من جمادى الاولى .
وتوفي الفقيه خالد بن وهب يوم الاحد لاربع خلون من ربيع الآخر .

وفيهما توفي محمد بن يحيى النحوي المعروف بقلقاط في جمادى الآخرة ، وكان من العلماء الحفظاء والشعراء الفصحاء ، وكان هجاءً للناس سبابة للاشراف كثير البذاء والسفه في شعره .

وفي سنة ٣٠٣ كانت المجاعة بالأندلس التي شبت بمجاعة سنة ستين ، وبلغت الحاجة بالناس مبلغاً لا عهد لهم بمثله ، وبيع قفيز قمح بكل سوق قرطبة بثلاثة دنانير دخل اربعين ؛ ووقع الوباء في الناس وكثر الموتان في أهل الفاقة والحاجة حتى كاد يُعجز عن دفنهم ، وكثرت صدقات أمير المؤمنين الناصر رحمه الله على المساكين في هذا العام وصدقات أهل الحسبة من رجاله ، فكان الحاجب بدر بن احمد اكثرهم صدقة وأعظمهم بماله مؤساة ، ولم يمكن في هذا العام لضيق الاحوال فيه ان يكون غزاة او اخراج جيش ، غير ان الناصر (رضه) اخذ بالجد والحزم

في ضبط اطرافه والتحفُّظ بالمسلمين من عادية اهل الخلاف
والخلعان ، اذ كانوا مع استيلاء الجوع يغاورون مَنْ قُرب
منهم ويغدرون على مَنْ مرَّ بهم من رفاق المسلمين وطالبي
المعاش ومستجلي المير .

وفي هذه السنة ولي اسحق بن محمد القرشي الوزارة وكان
ذا رأي وعناء .

وفيها ولي محمد بن محمد بن أبي زيد الشرطة العليا وكان
يلي الشرطة الصغرى من قبل .

وفي هذه السنة توفي أبان ابن الامام عبد الله رحمه الله يوم
الثلاثاء لليلتين خلتا من جمادى الآخرة ، وهو ابن خمس وخمسين
سنة ، ودفن بمقابر قريش في الربض . ومات فيها لاميرو المؤمنين
الناصر (رضى) ولد يسمى هشاماً ويكنى بأبي الوليد ، وكان
بِكُرمٍ ولده .

وتوفي فيها احمد بن هشام ابن الامام عبد الرحمن بن الحكم
رحمه الله يوم الجمعة لعشر بقين من شوال ، والقرشي العثماني
الطارىء من المشرق في ايام الامام عبد الله بن محمد رحمه الله ،
وذلك يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رمضان .
وتوفي القرشي العبدى لثلاث عشرة ليلة خلت من شهر شعبان .
وتوفي يحيى بن اسحق بن يحيى بن أبي عيسى الفقيه وكانت له

رحلة روى فيها الحديث ، ولم يكن بالثقة غير انه كان نبيلاً مفوهاً . وتوفي فيها الفقيه النميري واسمه احمد بن عبد الله ابن فرج . وتوفي احمد بن بيطر الفقيه يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجة . وتوفي فيها مفور بن عريب . وفيها اسر مطرف بن محمد بن لب بن قسي ، اسره العدو بالثغر .

وفيها توفي بالثغر عبد الله بن محمد بن لب بن قسي وكان من أهل البأس والشجاعة والنكاية للعدو ، وقتل ابنه محمد ابن عبد الله عمه مطرفاً ، ووقعت بين بني لب فتون وحروب واختلف أمرهم .

ومات في هذا العام بقرطبة جملة من وجوها وبياض أهلها يطول الإخبار عنهم والاجتلاب لهم الى من مات في الكور والمواضع البعيدة ممن لم يأخذه إحصاء ولا عد ، وكانت للعدو مع بني قسي جولات في الثغر هذا العام .

وفي سنة ٣٠٤ كان اغزاء امير المؤمنين الناصر لدين الله (رضه) احمد بن محمد بن أبي عبدة القائد الى ارض الحرب ، وفصل يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من المحرم وهو اليوم الثامن عشر من يولييه ، وضم اليه من الموالي والاجناد عدد كثير ؛ ودخل أرض المشركين فنكس وغنم وسبى وخرج من ارض العدو بالمسلمين سامين غانمين .

وفيهما ولي عبد الحميد بن بسيل الخزانة .
وفيهما غزا اسحق بن محمد القرشي الى كورة تدمير فافتتح
حصن اوريوثة واستصلح احوال أهل الكورة .

وفيهما ولي فطيس بن اصبع الخزانة ولايته الاولى .
وفيهما غزا الحاجب بدر بن احمد الى مدينة لبلة فحاصرها
وافتحها يوم الاثنين لعشر بقين من شهر رمضان .

وفيهما عُزل عبد الملك بن جهور عن الكتابة ووليها
عيد الحميد بن بسيل ، ولم يطل امد ولايته ثم اعيد اليها
عبد الملك بن جهور .

وفيهما ولي اسمعيل بن بدر العرض .
وفيهما نقل علي بن حسين عن خزانة السلاح الى خطة العرض
لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر .

وفيهما ولي العرض محمد بن عبد الله بن مضر .
وفيهما توفي منذر ابن الامام المنذر رحمه الله سلخ شعبان ،
وكان مولده بعد موت ابيه الى ستة اشهر؛ وعبد الملك بن حوزة
القرشي يوم الثلاثاء لتسع خلون من ربيع الآخر؛ واخوه الاحدب،
وكان يتنجم ، في عقب ربيع الآخر؛ والعارض صاحب المواريث
قند مولى امير المؤمنين الناصر يوم الثلاثاء لثلاث خلون من رجب،
فولي مكانه المواريث اسمعيل بن بدر . وتوفي المؤدب محمد

ابن ارقم يوم الجمعة لست خلون من رجب ؛ وفيه توفي الولد
محمد ابن امير المؤمنين الناصر رحمه الله والولد سليمان الاكبر .
وفي عشر خلون من شوال من هذا العام ولد الولد أبو
مروان عبيد الله شقيق أمير المؤمنين الحكم المستنصر بالله أيده
الله . وفيها توفي الفقيه الزاهد أبو عبد الله محمد بن أحمد الزراد
لاربع خلون من جمادى الاولى ، مولده سنة ٢٤٢ ، وكان قد روى
علم ابن وضاح . وتوفي الفقيه المحدث طاهر بن عبد العزيز
الرعي . وتوفي أبو القاسم محمد بن عبد السلم بن قلموق ليلة
الخميس ثلاث عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر ، وكان نبيلاً
مرسلاً حسن الخط ، وولي الخزانة ، وكان له لسان وبيان .

وفي سنة ٣٠٥ غزا بالصائفة الى دار الحرب احمد بن محمد
ابن أبي عبدة الوزير القائد ، وفصل يوم الاثنين لعشر خلون من
صفر ، وخرج معه طبقات الناس من المجاهدين وأهل الديوان ،
وحشد اليه رجال الثغر ، فدخل ارض العدو في جمع كبير ونازل
حصن قاشتر مورش لاربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول ؛
وجد المسلمون في محاربة المشركين حتى كانوا قد اشرفوا على
الظفر بمن كان في الحصن ، فانحشدت النصرانية من جميع جهاتها
مدّين لكفرتهم ومجلبين على المسلمين بخيلهم ورجلهم ، فتداعى
بعض أهل المداهنسة في الدين من أهل الثغر الى اظهار الهزيمة ،

وجرثوها على المسلمين ، فانهزم كثير منهم ، وثبت القائد أحمد ابن محمد بنفسه ، وأظهر الصبر ودافع مدافعة الموطن ، وقيل انه كان قد اعتقد مذهباً في طلب الشهادة ، فاستشهد لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول ؛ واستشهد من المسلمين معه من أثر الشهادة ورغب عن خزي الفرار ، ولم يولّ المشركين دبراً ولا أراهم نكوصاً ولا فراراً ؛ وانعقد سائر أهل الجيش وصاروا يداً واحدة ، فسلموا وخرجوا الى أرض المسلمين بدوابهم واثقالهم وابنتهم .

وفيهما غزا اسحق بن محمد الوزير الى مدينة قرمونة ، فحاصر فيها حبيب بن عمر وضايقه واخذ بمخنقه ، ثم خرج اليها الحاجب بدر بن احمد فتأدى على حصارها حتى فتحها قسراً ودخلها يوم الخميس لحمس خلون من ربيع الآخر .

ذكر موت العيين عمر بن حفصون

وفي هذه السنة هلك عمر بن حفصون عميد الكافرين ورأس المنافقين وموقد شعل الفتنة وملجأ أهل الخلاف والمعصية ، فعُدَّ هلكه من أسباب الاقبال وتباشير الصنع وانقطاع علق المكروه .

وفيهما افتتحت ابدة البيرة ، وهي المعروفة بابدة فروة ،

وكان فيها سليمان بن عمر بن حفصون ، فاستنزل عنها وقدم به
قرطبة يحيى بن اسحق في شوال ، فأنزل وتوسع له .

وفيهما ولي الوزارة عبد الملك بن جهور يوم السبت لاحدى
عشرة ليلة خلت من شوال .

وفيهما توفي سعيد بن عثمان بن سليمان الفقيه العنابي في عقب
المحرم بفوئيش .

وفيهما توفيت البهاء بنت الامام عبد الرحمن بن الحكم رحمه
الله في رجب فلم يتخلف احد عن جنازتها .

وتوفيت للناصر (رضى) ابنة تسمى بعائشة .

وفيهما توفي سعيد بن عبد الوارث الايسر وكان من اهل
الشجاعة والعناء في الخدمة . وتوفي الفقيه محمد بن ابراهيم
المحدث الحجازي . وتوفي عمر بن احمد بن فرج وكان كاتب
الرأي وولي السوق .

وفي هذه السنة حشد اردون بن اذفنش وشانجه بن غرسية
صاحب النصرانية بجليقية وبنبلونة وخرجا في جموعهم واحتفال
من كفرتهم الى مدينة ناجرة بالثغر الاقصى، فنزلا عليها في عقب
ذي الحجة واقاما عليها ثلاثة ايام ، وعاثت النصرانية في ذلك الثغر
وافسدت الزروع، ثم تنقلت الى تطيلة وبلغ العدو الى نهر كالس
وجواثر مسقيرة ووادي طرسونة، وخلف شانجه نهر ابره، وقاتل

حصن بلتيرة وقهره على أهل الرض ، واحرق المسجد الجامع
فكان ذلك مما احفظ الناصر (رضه) وحركه لمجاهدتهم
والانتصار منهم على ما سيأتي ذكره .

وفي سنة ٣٠٦ كان غزاة الحاجب بدر بن احمد الى دار
الحرب ، وهي غزاة مطونية ، وكان امير المؤمنين الناصر (رضه) لما
اتصل به تطاول المشركين الى من كان بازائهم من أهل الثغور
بامتناع الصوائف عن غزوهم والأيفال في بلادهم بالحرب المتقدمة
الذكر احفظه ذلك وأذكى عزمه واكد بصيرته في مجاهدة
اعداء الله واعداء دينه في هذا العام ، فأمر بالاحتفال في الحشد
وجمع الرجال والتكثير من الاجناد والفرسان الابطال ، وعهد
الى حاجبه بالغزو بنفسه في الصائفة ، ونفذت كتبه الى أهل
الاطراف والثغور بالخروج اليه والدخول في معسكره والجد
في نكاية أهل الكفر والايقاع بهم في واسطة بلادهم ومجتمع
نصرانيتهم .

ففصل الحاجب بالجيوش يوم الثلاثاء لحمس بقين من المحرم ،
وتنامت اليه العساكر في أقرب ثغور المسلمين ودخل بهم
دار الحرب ، وقد انحشد المشركون وتجمعوا من اقاصي بلادهم
واعتصموا بأمنع اجبلهم ، فنازلهم الحاجب بدر بن احمد
بأولياء الله وأنصار دينه ، فكانت له على اعداء الله وقائع

اُشتفت فيها صدور المسلمين وانتصروا من اعداء الله المشركين ،
وقتل في هذه الغزاة من حماهم وابطالهم وصلاة الحروب منهم
جَمَلٌ عظيمة لا يأخذها عدٌ ولا يحيط بها وصف ؛ وكان الفتح
يوم الخميس لثلاث خلون من ربيع الاول ويوم السبت لحمس
خلون من ربيع الاول في معارك جليلة لم يكن اعظم منها صنعاً
ولا أكثر من أعداء الله قتيلاً واسيراً ؛ وورد الكتاب
بذلك على أمير المؤمنين الناصر (رضه) يوم الجمعة لاحدى
عشرة ليلة خلت من ربيع الاول ، فأكثر من شكر الله عز
وجل على ما منَّ به وفتح فيه ، وقُرئ كتاب الفتح في
الجوامع وكتب به الى الاطراف .

وفي يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول في
العام المؤرخ ولد أبو الاصبع عبد العزيز بن عبد الرحمن شقيق
امير المؤمنين المستنصر بالله ايَّده الله .

غزاة الناصر لدين الله الى بلدة

وفي شهر ذي الحجة من هذه السنة غزا الناصر (رضه) بنفسه
مدينة بلدة من كورة رية ، فبرز لها يوم الخميس لاحدى عشرة
ليلة بقيت من ذي القعدة وفصل يوم الثلاثاء للنصف من ذي
الحجة بعد بروزه بستة وعشرين يوماً ، وتخلَّف في القصر بقرطبة

وليُّ عهده وقبله الآمال من بعده امير المؤمنين المستنصر بالله
ابقاه الله، ومن الوزراء موسى بن محمد بن جدير، فلما قرب الناصر
(رضه) من مدينة بلدة قدِّم من ثقات رجاله واخفاء اجناده من
يتمحن امكان زرعها وموضع المضطرب عليها، فالفى الزرع متأخراً
وأَتَتْهُ الانباء بامكان زروع فحصى رعين، فرأى التعريج اليه، بعد
ان أمر بابتناء صخرة عوزان لتكون موفية على بسيط بلدة، ثم
ارتحل رحمه الله الى حصن دوس امانتش فنازله وحاربه حتى
افتتحه، ثم نهض (رضه) الى حصن بلدة فاحتلها يوم الثلاثاء لليلة
بقيت من ذي الحجة، واحاطت العساكر بها، فتداعى من كان
من المسلمين فيها الى النزوع بانفسهم وذرائعهم، وذكروا انهم
كانوا مغلوبين على امرهم، فامتنهم الناصر وقاتل الكفرة المنغلقين
في المدينة حتى اظفره الله بهم وقتلوا من آخرهم، ومُلِكت
المدينة وندب فيها الرجال .

ثم انتقل الى حصون رية يتقراها معقلاً معقلاً، ويفتح ما
مرَّ به منها . ونزل على جبل ببشتو فحاصر أهله وقطع ثرائهم
واستبلغ في نكاياتهم، فسأله جعفر بن عمر بن حفصون قبض
رهائنه استيثاقاً من طاعته على ان يؤدي من الجباية ما فرض
عليه، فأجابته الناصر الى ذلك، وقبضت رهائن جعفر وشيعته
وصارت في قبضته وداخل معسكره . ثم قفل الناصر لدين الله

عن جبل ببشتر ودخل القصر لثلاث بقين من المحرم سنة ٣٠٧
وقد استتم في غزاته أربعين يوماً .

وفي هذه السنة عهد الناصر بعمل الفوارة ازاء باب القصر
المعروف بباب العدل واقامة محراب مصلى المصارة بقرطبة .
وفيهما توفي عبد الله بن كليب بن عبد السلم لحسن خلون
من ربيع الآخر .

وفيهما توفي للناصر ابن يسمى بمحمد ويكنى بأبي القاسم .
وفيهما توفيت رقية ابنة الامام محمد .
وتوفي فيها موسى بن ازهر الفقيه الاستجي لثلاث خلون
من ربيع الاول ، وكان من أهل الفصاحة والبيان والخط الحسن .
وتوفي فيها حزب الله بن رباعي بن عبد الله الحشتي الزاهد
وكانت له رواية .

وفي سنة ٣٠٧ كان احتلال الناصر أمير المؤمنين (رضه)
بمدينة ببشتر على ما تقدم ذكره في العام قبله ودخوله قرطبة
قافلاً من غزاته في التاريخ المتقدم ذكره .

وفي هذه السنة افتتح حصن طرش ، وكان فيه عبد الرحمن
ابن عمر بن حفصون فأسلم الحصن الى رجال أمير المؤمنين
الناصر لدين الله (رضه) ، ودخل قرطبة فأنزل ووسع عليه ، وكان
غير داخل في الحرب والفتنة مدخل ابيه واخوته وانما كان

صاحب كتب ، وكان حسن الخط ضعيف العقل . قال عريب :
وقد صار بعد ذلك ورّاقاً .

وفيها ولّى امير المؤمنين الناصر رحمه الله محمد بن عبد الله
ابن محمد الزجاجي خزانة المال لتسع خلون من شهر رمضان .

وفيها توفي محمد بن احمد بن زياد يوم السبت لاربع عشرة
خلت من رجب ، وكان جاراً لمحمد بن وضاح الفقيه فاوصى أن
يصلي عليه فقام له بذلك ذكر .

وفيها مات محمد بن سليمان بن وانسوس الوزير يوم الجمعة
لعشر خلون من شهر رمضان .

وفيها مات حمدون بن بسيل .

وفيها امر الناصر بقتل موسى بن زياد ليلة السبت لاثنتي
عشرة ليلة خلت من صفر ، وكان قد ولي الوزارة في ايام الامام
عبد الله وكثرت مطالبته للناس ورفع عليه وتحككهم بهم ،
وكان يجاهر بكرهه امير المؤمنين الناصر ويرفع عليه الى جدّه
رحمهما الله ويغري الامام عبد الله برجاله ، فحبسه امير المؤمنين
الناصر رحمه الله في يوم بيعته ولم يزل محبوساً الى ان امر بقتله ،
وقتل معه حبيب بن عمر بن سواده وولداه ومحمد بن وليد
المعروف بالغليلي ، وكانت لهم ذنوب وجرائم أحرَدَتْه عليهم .
وفي سنة ٣٠٨ كان غزاة امير المؤمنين الناصر (رضه) الى

دار الحرب، وهي غزاة موبش، فبوز رحمه الله لهذه الغزاة يوم
الخميس لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة سنة ٣٠٧، ثم فصل
غازياً من قصر قرطبة يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من
المحرم سنة ٣٠٨، وهو اليوم الثالث من شهر حزيران، وذلك
بعد برونه بثلاثين يوماً، وتخلّف في القصر ولي عهده الحكم
أمير المؤمنين المستنصر بالله أيّده الله، ومن الوزراء موسى بن
محمد بن جدير، فلما كان في اليوم الرابع من فصوله ونزل
بمخاضة الفتح، ورد عليه بها كتاب فتح من قبّل عامل مدينة
الفرج يذكر ان المشركين من أهل جليقية أتوهم في جمع
كثير فأغاروا على ما ألفوه في بسيطهم من الدواب والسوام،
ثم عرجوا على حصن بقرهم يعرف بالقلعة، فأحدقوا به طامعين
في التغلب عليه، فأنحشد اليهم جميع أهل المدينة بفارسهم
وراجلهم، وواضعوهم القتال بأثبت بصائرهم، فمنحهم الله عز
وجل اكتاف الكفرة وأطال أيديهم عليهم، فقتلوا وأسروا
كثيراً منهم واتّبعوهم من أول النهار الى آخره، والسيف يعمل
فيهم، وبعثوا بجملة من رؤوسهم فاستبشر الناصر رحمه الله
بما ورده وتفاءل باسم المحلة التي كان فيها عند ورود الفتح عليه.
ونفض أماً لوجهته، والحشود والعساكر تتلاحق به من
سائر أقطار الأندلس وجميع جهاتها، ونزل رحمه الله على مدينة

طليطلة، وخرج اليه لب بن الطريشة صاحبها مبادراً اليه وغازياً معه ، وكان يظهر طاعة وتحتها معصية .

ثم تنقل رحمه الله في مناقله حتى نزل بمدينة الفرّج فنظر لأهلها وعزل بني سالم عنهم اذ شكوا بهم ، واستوزر (رضه) في هذه المحلة سعيد بن المنذر وقدمه قائداً وضابطاً لمدينة الفرّج وأغزاه مع نفسه ، واستعمل على الموضع ابن غزلان القرشي صهره واستقضى عليهم محمد بن مسور الفقيه ، فصلحت احوالهم وعمّ الرضا جميعهم وخرج للجهاد اكثرهم .

ونقض امير المؤمنين الناصر رحمه الله في جيوش تغصّب بها السبل ويضيق بها الفضاء الاوسع حتى احتلّ بثغر مدينة سالم ، واطهر رحمه الله التوجّه الى الثغر الاقصى ، وقدمت المقدمة نحوه ، ثم عرج بالجيوش الى طريق ألبه والقلاع ، وطوى من نهاره ثلاث مراحل حتى احتلّ بوادي دوير ، واضطربت العساكر فيه وباتت عليه ، ثم اخرج في صباح تلك الليلة سعيد بن المنذر الوزير في جرائد الحيل وسرعان الفرسان الى حصن وخشمة ، فأخذ السير حتى قرب من الحصن وسرح الحيل المغيرة يمينه ويسره ، والمشركون في سكون وغفلة ، اذ كان العليج الذي يلي امورهم قد كاتب امير المؤمنين رحمه الله مكاييداً له في ازاحته عن بلده بمواعيد وعدها من نفسه ، فاطهر امير المؤمنين رحمه

الله قبول ذلك منهم واضر الكيد بهم ، فغشيتهم الخيل
المغيرة على حين غفلة واصابوا نعمهم وسوامهم ودوابهم مسرحة
مهمله ، فاكسحوا جميع ذلك وانصرفوا الى العسكر سالمين
غاثين .

فلما كان في صباح يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من صفر
اندفعت الخيل في اكمل تعبئة واهذب ترتيب واوكد ضبط
وابلغ حزم الى حصن وخشمة ، فقر عنه الكفرة واخلوه
ولادوا بالغياض الأشبة والصخور المنقطعة ، ودخل المسلمون
الحصن وغنموا جميع ما فيه واضرموه ناراً ، وبات أمير
المؤمنين رحمه الله في محلته على وخشمة ليلة السبت ، ثم رحل
عنها في اليوم الثاني الى حصن قاشتر مورش وهي شنت استين
بيضة الكفرة وقاعدتهم والموضع الذي كانوا تعودوا فيه
الاستطالة على من وردهم ، فلما رأوا ان انصار دين الله قد
اطلثوهم واولياءه قد صمدوا نحوهم اخلوا الحصن وخرجوا
هاربين عنه ، فدخله المسلمون وغنموا جميع ما فيه ، وخرّبوا
حصن القبيلة المجاور له ، ولم يترك لأعداء الله في تلك الجهة
نعمة يأوون اليها ، واضطرب العسكر بشرقي حصن قاشتر
مورش .

وبات المسلمون ليلة الاحد بأسر ليلة كانوا بها والحمد لله ،

ثم انتقل امير المؤمنين (رضه) في صبيحة اليوم الثاني من مكان المضطرب شرقي الحصن الى غريبه ، ولم يكن بين الموضعين الا قدر ميل ، فكسر العسكر في ذلك المكان يوم الأحد متقصياً لآثار الكفرة ومستيحاً لنعمهم ، ثم ارتحل الى مدينة لهم أولية تعرف بقلونية ، وكانت من امهات مدنهم ، فلم تمر الجيوش اليها الا على قرى منتظمة وعمارة بسيطة ، فغنمت جميع ما كان بها وقتلت من ادركت فيها حتى أوفت العساكر على المدينة ، فألقت خالية قد شرد عنها اهلها الى الاجبل المجاورة لهم ، فغنم المسلمون جميع ما اصابوا فيها وعملت الأيدي في تخريب ديارها وكنائسها ، وكسر الناصر رحمه الله عليها ثلاثة ايام مطاولاً لنكاية المشركين وانتساف نعمهم .

ثم ارتحل رحمه الله من مدينة قلونية يوم السبت خمس بقين من صفر الى ثغر تطيلة لغياث صريخ المسلمين به ، اذ كان العليج شانجه قد ضايقهم وتردد بكفرته عليهم ، فاخذ الناصر رحمه الله بالرفق في نهوضه لئلا يعنف على المسلمين بحث السير مع اتصال سفرهم ، فاستقبل بالجيوش قطع المفاز الاعظم مسيراً لوادي دوير ، وقطع في ذلك خمس محلات حتى احتل حوز تطيلة ، ثم قدّم الحيل مع محمد بن لب عاملها الى حصن قلقرة الذي كان اتّخذ شانجه على أهلها ، فلما قصدته الحيل اخلاه من كان فيه وضبطه المسلمون .

ثم نهض رحمه الله الى حصن قلهرة وكان شانجه قد اتّخذته معقلاً وثواه مسكناً ، فلما فجأته العساكر اخلاه العليج وزال عنه ، فغنمه المسلمون بأسره ، وكسر الناصر رحمه الله عليه يومين حتى خرب جميعه وانتسف كل ما كان حواليه .

ثم رحل بالجيش يوم الاحد لاربع خلون من ربيع الاول الى دي شره واجاز اليها وادي ابره ، فخرج شانجه من حصن ارنيط في جموعه وكفرته متعرضاً لمن كان في مقدمة العسكر، فتبادر اليه شجعان الرجال تبادراً رشق النبال ، فانهزم الكفرة وركبتهم الخيل تقتل وتجرح حتى تواروا في الجبال ولاذوا بالشعاب، وحين كثير من رؤوس المشركين، فتلقتوا بها امير المؤمنين رحمه الله ولا علم عنده للمعركة التي دارت بينهم وبين اعداء الله ، واضطرب العسكر بهذا الموضع ، وبات المسلمون ظاهرين على عدوهم ومنبسطين في قراهم ومزارعهم .

وورد الخبر على الناصر رحمه الله باجتماع العليجين اذنون وشانجه واستمداد بعضهما ببعض طامعين في اعتراض المقدمة او انتهاز فرصة في الساقاة ، فأمر الناصر رحمه الله بتعبئة العساكر وضبط أطرافها ، ثم نهض بها موغلاً في بلاد الكفرة ، فتطلّوا على كدى مشرفة وأجبل منيعة ، ثم تعرّضوا مَنْ كان في أطراف الجيش وجعلوا يتصايحون ويولولون ليضعفوا من

قلوب المسلمين ، فعهد الناصر رحمه الله بالنزول والاضطراب
واقامة الابنية ، ثم تبادر الناس الى محاربة الكفرة ، وقد اسهلوا
من تلك الاجبل ، فواضعوهم القتال واقتحم عليهم حشم أمير
المؤمنين ورجاله وأبطال الثغر وحماته يضعون اسلحتهم فيهم
ويمطرون رماحهم عليهم حتى انهزم المشركون لا يلوون على
مكان مضطربهم ولا يهتدون لوجه منقلبهم ، والمسلمون على
آثارهم يقتلون من أدر كوا منهم حتى حجز الظلام بينهم .

ولجأ عند الهزيمة أزيد من الف عالج الى حصن مويش ، ورجوا
التمنع فيه ، فأمر الناصر بتقديم المظلّ وابنية العسكر الى الحصن ،
فأحيط به من جميع جهاته وحوربوا داخله حتى تغلّب عليه
واستخرج جميع العلوج منه ، وقدّموا الى الناصر رحمه الله ،
فضربت رقاب جميعهم بين يديه ، وأصيب في الحصن والمحلة التي
كانت للكفرة بقربه من الأمتعة والأبنية والحلية المتقنة والآنية
ما لا يحصى كثرة ، وأصيب لهم نحو الف وثلثمائة فرس .

وكسر أمير المؤمنين رحمه الله بهذه المحلة أربعة أيام يغير
جميع ما حوالىها من نعم المشركين وثراتهم ومزارعهم ، ثم
انتقل رحمه الله يوم الاحد لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع
الأول الى حصن كان اتخذ شانجه على أهل بقيرة ، فألفاه خالياً
قد فرّ عنه أهله ، فعهد بهدمه ، ولم يبرح أمير المؤمنين رحمه الله

من محلته هذه حتى انتقل الى حصن بقيرة من أطعمة الكفرة
الف مُدَيّ تقوية لأهله .

ثم انتقل الى حصون المسلمين يشكها وينظر في مصالح
اهلها ، فكلما الفى بقربها معقلاً للمشر كين هدمه واحرق بسيطه
حتى لقد اتّصل الحريق في بلاد المشر كين عشرة اميال في
مثلها ، واجتمع عند الناس من الاطعمة والخيرات ما عجزوا
عن حمله ولم يجدوا لها ثمناً تباع به ، وكان القمح في العسكر
تبذل ستة افقرة بدرهم فلا يوجد من يشتريه ، فجمعت الاطعمة
وادخلت النار اليها حتى احرقت من آخرها .

وقفل الناصر رحمه الله يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ربيع
الاول حتى انتهى الى مدينة انيسة ، فكسر رحمه الله بها يوماً
ووصل رجال الثغر وكساهم وحملهم واذن لهم في الرجوع
الى مواضعهم ، وبعث الى قرطبة من رؤوس الكفرة التي
اصيبت في المعارك المذكورة اعداداً عظيمة حتى لقد عجزت
الدواب عن استيفاء حملها .

ودخل رحمه الله القصر بقرطبة يوم الخميس الثالث عشر
من ربيع الآخر وقد استكمل في غزاته هذه تسعين يوماً .
وفي هذه السنة بعد القفل عزل الناصر رحمه الله محمد بن
محمد بن أبي زيد عن الشرطة العليا وولاهها دريّاً مولاه .

١ المدي مكيال غير المد .

وفي هذه السنة قُتِلَ جعفر بن عمر بن حفصون بجبل ببشتو،
قتله أصحابه غيلة ، ودخله اخوه سليمان وضبطه .

وفيهما ولي العرض عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي .
وفيهما افتتحت المندات (بحرو) قرطبة من كورة رية وبنى
حصن قاستره ذكوان والزمه الرجال والقوة .

وفي هذه السنة توفي أبو عمرو سعد بن معاذ بن عثمان بن
حسان بن يخامر الشعباني الفقيه بقرطبة في جمادى الاولى ،
وكان معظماً في أهل العلم .

وفيهما توفي عبد الغافر بن هاشم بن عبد العزيز .
وفي سنة ٣٠٩ كان غزاة أمير المؤمنين الناصر رحمه الله
الى كورة رية ، وهي غزاة طرش ، وبرز لها رحمه الله يوم
الخميس لسبع خلون من ذي الحجة سنة ٣٠٨ ، وهو اليوم العاشر
من ايار ، وفصل من قصر قرطبة غازياً يوم السبت لثمان خلون
من المحرم سنة ٣٠٩ ، وهو اليوم العاشر من حزيران ، بعد بروزه
الى واحد وثلاثين يوماً ، وتخلّف في القصر وليّ عهده أمير المؤمنين
المستنصر بالله أطل الله بقاءه ، فسار (رضه) في احتفال من
جيوشه وطبقات من رجاله حتى احتلّ على حصن طرش ، وكانت
النصرانية قد انحسرت اليه وتمحصنت فيه ، فأحدثت العساكر به
من جميع جهاته ، وعهد بمجاربتهم والتضييق عليهم ونصب

المجانيق على مرتقى تصل منه حجارها الى الكفرة ، وكانوا في اول المنازلة لهم يبرزون للحرب ويظهرون المدافعة حتى مزقتهم الحرب وقللت عددهم وفلئت حدتهم فعادوا بالاستغلاق في داخل حصنهم .

ثم تمادى التضييق عليهم والحصار لهم حتى اخذهم الجهد واشفوا على الهلاك فخطبوا أمير المؤمنين ضارعين اليه في تأمينهم على ان يسلموا الحصن ويخرجوا عنه ، فأجابهم الى ذلك وقبل انابتهم ، ودخل رجاله الحصن وخرج عنه جميع من كان من النصرانية داخله ، وهدمت قصابه وألقيت احجارها في النهر ، وبني في موضع الكنيسة مسجد جامع . ونظر الناصر رحمه الله ايام محاصرته بحصن طرش في توجيه القواد والاجناد الى حصن ببشتر وحصن اقوط وجبل الحجارة لمحاربة سليمان وحفص ابني عمر بن حفصون والتضييق عليهم والانتقاص لعددهم ، ثم قفل الناصر رحمه الله من محلاته على حصن طرش يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الاول ، ودخل قصر قرطبة يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة بقيت منه ، وقد استتم في غزاته تسعة وستين يوماً .

وفي هذا العام استنزل بنو سعيد بن ناصح بن مستنة من حصون باعة المعروفة بعالية وربرش ، واستنزل موسى

ابن يزيد اخو حمصي من الصخرة التي كان بها، واستنزل بنو مهلب
من حصونهم المعروفة بقرذيرة واشبرغيرة وغيرهما وهدم جميعها .
وفي هذه السنة امر الناصر رحمه الله بقتل العاصي ابن الامام
عبد الله ومحمد بن عبد الجبار ابن الامام محمد رحمهما الله اذ
شهد كل واحد منهما على صاحبه بمطالبة الخلافة ونقض البيعة،
وكثرا في ذلك، وكان لهما غليان، فقتلا ليلة الاربعاء ثلاث خلون
من رجب .

وفي ليلة الجمعة لست خلون من رجب مات الحاجب بدر
ابن احمد وولي الحجابة موسى بن احمد بن جدير .

وفيها مات محمد بن عبد الله بن أمية الوزير، وعبد الواحد
ابن محمد بن عبد الواحد بن يزيد الاسكندراني في شوال .

وفيها توفي الفقيه محمد بن احمد المعروف بابن الزراد ليلة
الخميس لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة .

وفي سنة ٣١٠ كان غزو امير المؤمنين الناصر رحمه الله الى
كورة البيرة، وهي غزاة منت روي، وبرز لهذه الغزاة يوم
الخميس لثلاث خلون من ذي الحجة سنة ٣٠٩، وهو الرابع
من نيسان، وفصل غازياً من قصر قرطبة يوم السبت لعشر
خلون من المحرم، وهو اليوم الحادي عشر من ايار، بعد
بروزه بسبعة وثلاثين يوماً، وتخلّف في القصر ولي عهده

الحكم المستنصر بالله أبقاه الله ؛ ومن الوزراء أحمد بن محمد ابن جدير . وغزا معه في هذه السنة الحاجب موسى بن محمد ، فسار (رضه) حتى احتلّ بحصن منت روبي يوم الاثنين لاحدى عشرة ليلة بقيت من المحرم . وكان جبلاً متمتعاً بعيد المرام كثير السكان من عجمة قد لاذت به وامتنعت فيه ، وهو متوسط بين كورة البيرة وكورة جيان وعلى طريق مدينة بجانة ، فكان من سلك تلك السبيل من وارد أو صادر لا يسلم من عادة ذلك الحصن . وكانوا يسفكون الدماء ويسلبون الأموال ويخيفون السبل ، فأقام عليهم أمير المؤمنين رحمه الله خمسة وثلاثين يوماً محاصراً حتى أباد كثيراً منهم وقطع ثراتهم وغير نعمهم .

ثم أبقى على الحصن من رجاله وأجناده من استمرّ على محاصرتهم حتى كان لا يدخل اليهم داخل ولا يخرج عنهم خارج . وتقدّم عنه الى حصون كورة البيرة ، فعمّ جميعها بالنكابة ، ثم عرج منها الى كورة رية ونزل على جبل ببشتر يوم السبت لسبع خلون من ربيع الاول ، فحاربهم اشدّ محاربة ونكاهم ابلغ نكابة وقطع ما كان بقي في اسناد الجبل من الثار وارتب لمحاصرتهم أكابر القواد .

وقصد رحمه الله كورة تاكرنا فاستصلح أحوال أهلها

واستوثق من طاعتهم ونقل من رأى نقله الى قرطبة من
وجوههم، ثم وصل نظره فيها بالنظر في كورة مورور، وطالع
في طريقه كورة اشيلية وقرمونة، وقفل بعد احكامه جميع
الامور في تلك الجهات فاحتل قصره يوم السبت لست خلون
من ربيع الآخر، وقد استكمل في غزاته هذه خمسة وثمانين يوماً.
وفي هذه السنة ولي الوزارة ابو سعيد عبد الملك بن محمد
الشذوني يوم الاربعاء ثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع
الآخر؛ وولي فيها الوزارة ايضاً يحيى بن اسحق وكانت بيده
الشرطة الصغرى، فوليا مكانه محمد بن محمد بن أبي زيد وذلك
يوم السبت خمس بقين من شوال.

وفيهما عزل افلح بن عبد الرحمن عن الخيل، ووليا صاحب
المدينة محمد بن عبد الله الحروي اياماً يسيرة ثم اعيد اليها افلح.
وفيهما ولي احمد بن موسى بن جدير ونمارة بن سليمان
الخزاعة في شوال.

وفيهما ولي احمد بن عبد الله الحروي العرض.
وفيهما مات سالم بن عبد الله بن عمر بن عبد العزيز بن أبي
الغفقيه وعبد الله بن أبي الوليد ابن اخت محمد بن الصفار الفقيه،
وكانت له رواية عن سحنون ومحمد بن عبد الحكم.
وفيهما توفيت عليّة بنت الامام عبد الرحمن بن الحكم رحمه
الله.

وفي سنة ٣١١ كان غزو امير المؤمنين الناصر لدين الله
 (رضه) الى مدينة بيشتر وحصون رية، فبرز لغزاته هذه يوم
 الخميس لست خلون من ذي الحجة سنة ٣١٠ وهو اليوم السابع
 والعشرون من آذار، وفصل غازياً يوم الاثنين مستهل المحرم وهو
 اليوم الثاني والعشرون من نيسان بعد بوزة بخمسة وعشرين يوماً،
 فسار رحمه الله حتى احتل على حصن بيشتر، وبدر سليمان بن
 عمر بن حفصون بمكاتبته راجياً لصرف عزمه عنه، فأعرض
 الناصر عن مجابته وقبول ما تعرض له من مكايده، وأخذ
 بالجد والعزم في محاصرته وقطع باقي ثمراته وكرماته
 واصطلام معاشه، وأقام عليه سبعة أيام يصل العدو بالرواح
 في التغيير والتدمير والنكابة والاستبلاغ، وفعل كذلك فيما بقي
 من حصونه، كحصن قرذارش، وحصن بحارش، وحصن
 الجش، وشت بيطر، فخرج اليه حفص بن عمر بن حفصون
 وتبرأ من حصن قامرة، فأمنه أمير المؤمنين الناصر رحمه الله،
 وأقره في بعض حصونه لما رآه من السياسة ووجه المصلحة فيه
 وفي سليمان أخيه، ثم تقدم الى مرسى شاط والمنكب وحصن
 مشكريل ونهض بعساكره في وعز لم يفتحهم جيش قبله،
 فاستنزل جميع أهل تلك الحصون واستصلح تلك الجهات.

ثم قصد جبل بيشتر، وقد كان اهله أرادوا الفتك بسليمان

ابن خفصون وضبطوا القصة دونه واطلقوا من كان في حبسه وانتهبوا أكثر أمتعته ، ثم انه احتال مع بقية أصحابه حتى دخلوا المدينة وفتحوا له بابها ، فدخل منه متلثماً واطمع السواد في أموال القائم عليه ، فثاروا معه وبادروا الى قتل من ظفر به منهم ، فأفنى أكثرهم ، وسلط الله بعض الكفرة على بعض ليمحو آثارهم ، وبقي سليمان بجبل ببشتو مشغولاً بنفسه مرتاباً بمن حوله ، فاحتلَّ به أمير المؤمنين مرة ثانية في غزاته هذه ، وذلك يوم الأحد لأربع خلون من ربيع الأول ، فلم يكن لاحد من الكفرة ... عند اضطراب العسكر على ما كانوا تعودوه من قبل ، وارتب على الجبل امير المؤمنين من وثق به من رجاله والزمهم مواضع في جميع جهاته ، ثم قفل ودخل القصر بقرطبة يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول ، وقد استتم في غزاته تسعة وستين يوماً .

وفي هذه السنة كانت وقعة بقرية ومحاصرة اهل بنبلونة لعبد الله بن محمد بن لب حتى تغلب عليه وعلى من كان معه ، واسرهم العليج شانجه ثم قتلهم ، وكان مع ابن لب في حصن بقرية مطرف بن موسى بن ذي النون ومحمد بن محمد ابن عمه ووجوه رجالهم ، فذهبوا في هذه الوقعة باجمعهم ، وشنع الحادث فيها على الناصر رحمه الله ، فاخرج عبد الحميد بن بسيل قائداً الى

الثغر الاقصى بعد ان استوزره، وكان على خزانة المال، فنهض حتى احتل الثغر بجيوش كثيفة اخرجت معه وحشدت اليه من الثغر وغيره، فدخل مدينة تطيلة وملكها .

وفيهما افتتحت قصبة مورور .

وفيهما ولي محمد بن احمد بن جدير خطة العرض وعزل محمد بن محمد بن أبي زيد عن الشرطة الصغرى ووليها يحيى ابن يونس (القبرني) .

وفيهما توفي عبد الرحمن ابن الامام المنذر رحمه الله، وتوفي جهور بن عبد الملك وهو قائد شذونة .

وفيهما قتل عبد الله بن محمد بن مروان الجليقي صاحب بطليوس ، دخل عليه بعض أهل الموضع فقتلوه .

وفيهما هلك اردون بن اذفنش صاحب جليقية وولي مكانه فلوية .

وفي سنة ٣١٢ كان غزاة أمير المؤمنين الناصر لدين الله (رضه) الى دار الحرب الغزوة المعروفة ببنبلونة ، فبرز رحمه الله لهذه الصائفة مبكراً قبل ميقات الصوائف ، اذ احفظه ما دار على بني لب وبني ذي النون بحصن بقيرة، فبرز لغزاته هذه يوم الخميس لليلتين خلتا من ذي الحجة وهو اليوم الثاني عشر من شباط سنة ٣١١، وفصل من قرطبة يوم السبت لأربع عشرة

ليلة بقيت من المحرم سنة ٣١٢ وهو اليوم السابع والعشرون من نيسان وذلك بعد بروزه بثلاثة وأربعين يوماً ، فاحتلّ أول خروجه بمحلة بالش ، وكسر بها يومين متلوّماً على المجاهدين معه من أجناده ورعيته والمحشودين من أقطار كورة ، وتخلّف بالقصر بقرطبة ولي عهده الحكم المستنصر بالله أبقاه الله ، ومن الوزراء أحمد بن محمد بن جدير .

وأمّ الناصر (رضه) في أول خروجه كورة تدمير وكورة بلنسية واستصلح أحوال أهلها ، واستنزل عبد الرحمن بن وضاح ويعقوب بن أبي خالد التوبري وعامر بن أبي جوشن وغيرهم من مواضعهم التي كانوا متأمرين فيها ومتعاصين عن النزول منها ، وارتب القواد والجوش على محمد بن عبد الرحمن ابن الشيخ اذ تمّتع من النزول اليه والغزو معه ، وكان بمدينة العسكر من احواز بلنسية ؛ ثم نهض امير المؤمنين الناصر رحمه الله في عساكر كعدد الحصى حتى دخل ثغر تطيلة ، وخرج اليه التجيبيون وغيرهم وتلقّاه عمال الثغر في جنود عظيمة وعدة كاملة ، فدخل رحمه الله بلاد المشرّكين يوم السبت لاربع خلون من ربيع الآخر بانفذ عزم واوكد حزم واقوى نية في الانتقام لله عز وجل ولدينه من الارجاس الكفرة الانجاس ، فحلّ من اول بلدهم حصن قلقرة ، وكان العليج شانجه قد اخلاه ، فامر بهدمه واحراق جميع ما فيه .

ثم تنقل عنه الى موضع يعرف ببيطرة ألتة ، وكانت حوله
حصون ماعة ، فاخلأها الكفرة واخلفوا في بسيطها جميع
امتعتهم واطعتهم اذ عوجلوا عن انتقالها ، ولجأ علوج منهم
بأهلهم وولدهم الى ثلاثة غيران في شفير جرف على النهر ، فلم
يزل اهل العسكر يتعلقون اليهم فيها ويتسورون عليهم من
اعاليها حتى فتح الله تلك الغيران عليهم ، فقتلوا العلوج وسبوا
الذراري وغنموا الامتعة . وكان ذلك اول ما افاء الله عز وجل
على اهل العسكر وغنمهم اياه ، وهدمت حصون الكفرة التي كانت
في تلك الجهة ولم يبق منها صخرة قائمة .

ثم تنقل رحمه الله من هذه المحلّة بعد ان كسر بها يوماً
الى حصن فالجش ؛ فاضرمت ارباضه ناراً واستقصيت زروعه
ونعمه انتسافاً وتغييراً ، ثم ارتحل (رضه) الى حصن بقالية ،
وكان من حصونهم الشريفة ، فالفيت الاطعمة به كثيرة والنعم
فيه فائضة ، فانتهب المسلمون جميع ذلك ودأبوا في تخريب
الديار وتغيير الآثار . ثم ارتحل منه الى حصن قرقستال على
وادي ارغون ، ثم استعزم الناصر (رضه) على الايغال في
بلدهم والتوصل الى موضع قرارهم وجمتمع كفارهم ونكائتهم
في عقر دارهم ومكان امنهم ، فأخذ في الحزم ، وعهد بضبط
مجنبات العسكر ، وتقدّم من فجج المراكوير في اتم تعبئة واهذب

ترتيب ، وذلك يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر ، فدخلت الجيوش مواضع لم تدخل قبل ذلك ، وأحرقت الحصون وهدمت الديار ، حتى نزل بقرية بشكونسة التي اليها ينسب العليج ومنها أصله ، فهدمت مبانيها واحرق كل شيء كان فيها ، فجمع العليج شانه كفرته واستمد بنصرانيته من كل مكان طمع أن يغاث منه ، حتى توافى له جمع رجا ان يكافح المسلمين به ، فتطلعت له خيل على بعض الاجبل المنيفة على العسكر وذلك ليلة الاربعاء للنصف من شهر ربيع الآخر .

فأمر الناصر رحمه الله بالتعبئة للرجال وشكّ العسكر واتقان النظر ، وصاحب النهوض والتقدم لوجهته واثقا بالله عز وجل ومتوكلا عليه ، فسلكت الجيوش بين اجبل شاححة وشواهق منقطعة ، ورجا اعداء الله مع ذلك بانتهاز الفرصة والاعتراض للمسلمين في مجنبه أو ساقه ، فلما توسّط الجيش بعض تلك المواضع المتضايقة ، على واد يعرف بوادي هيعة ، هبطت للمشرّكين خيل من الاجبل ، فحالت بينهم وبين أهل العسكر مناوشة يسيرة ، فعهد أمير المؤمنين رحمه الله برفع المظلل والتعبئة للحرب ، ونهض المسلمون الى اعدائهم نهوض الاسود ، فعبروا النهر اليهم وصمموا بالحملة عليهم حتى اقتلعوهم عن موضعهم وهزموهم ووضعوا سيوفهم ورماحهم فيهم ، حتى

اضطروهم الى مرتقى وعر وجبل منقطع ، فتقحّم المسلمون عليهم وسهل الله وعده لهم فقتلوا جملة منهم وبُسطت الارض باجسادهم ، واستمرت الحيل المغيرة في بسيتهم فاصابت الغنائم والسوام وضروب النعم ، وانصرفوا سالمين لم يصب منهم غير يعقوب بن أبي خالد التوبري ونفر يسير من الحشم فازوا بالشهادة وختم الله لهم بالسعادة ، واجتمع من رؤوس المشركين عدد عظيم مُنع من البعثة بها الى قرطبة بمنع الطريق وبعد المسافة .

ثم ارتحل امير المؤمنين (رضه) الى محلة لبيرة ثم الى محلة لغين، والجيش لا تمرُّ بموضع الا اصطلمته وتعلقت زروعه وهدمت قراه وحصونه ، الى ان بلغ (رضه) مدينة بنبلونة فوجدها خالية مقفرة ، فدخلها رحمه الله وجال بنفسه عليها وأمر بهدم جميع بنيانها وتخريب كنيسة الكفرة بها التي كانت بيعتهم وموضع نسكهم، حتى لقد جعلت قاعاً صفصفاً .

ثم تنقّل (رضه) منها الى صخرة قيس وكانت بها كنيسة قد شيدها العليج واتقنها وطاول الايام بالتأثق فيها والتحصين لها ، فلما حلت بها الجيوش واخذت في هدمها تطلّع الكلب من جبل كان أسند اليه طامعاً في حمايتها ، فداخله اولياء الله بأسرع من لحظة الطرف حتى اقتلعوه مهزوماً مولياً، وصرع

من فرسانه ووجوه أصحابه من كان عنه محامياً ودونه مستهلكاً،
وأخربت الكنيسة وما أحاط بها ، وعادت القرية ناراً موقدة .
ثم تنقل منها الى محلة أسارية ، وكان في ممره اليها فج
يقال له هرقله ضيق المسلك وعر المجاز ، فرام الكفرة انتهاز
فرصة من المسلمين فيه ، فأمر الناصر رحمه الله بالتعبئة
والاحتراس ونهض على اتم التحفظ والضبط حتى جاوزت
العساكر ذلك المضيق وخرجت عنه .

وتظاهر اعداء الله لأهل الساقة متستمين لأعلى جبل ، فنهضت
الخيال اليهم وهزمتهم وقتلت طائفة منهم وانقشعوا مدبرين لا
يلوون ولا يعرجون ، وتقدم المسلمون بغرة القهر وسرور النصر
حتى نزلوا محلة اسارية .

ثم ارتحل الناصر رحمه الله منها الى محله بقرية منيير ، ثم تنقل
الى محلة بذي شره المجاورة لشتت اشتين ، وكان موضع
استوكاح^١ العليج شانجه ومكان طمانينته ، فحلت الجيوش بهذه
المحلة يوم الأربعاء لثمان بقين من ربيع الآخر . وتظاهر الكلب
في أعلى الجبل قد جمع جموعه وحشد رجاله واستجاش بمدود
أنته من ألة والقلاع طامعاً في معارضة المسلمين ، يقيم بها عذره
عند كفرته وأهل ملته ، فناسبهم المسلمون الحرب والتحم
بينهم القتال ، فهزم الله جموع المشركين وانقبضوا الى اعلى

١ استوكاح : استناد واعتماد .

جبلهم وتفرّقوا في شَعْرَاء^١ متّصلة بهم ، وبات اهل العسكر
 في محلّتهم ، وانبسطت العلاقة في القرى فانتسفت ما فيها .
 ثم انتقل الناصر الى محلّته بموضع يعرف بربية سرتة وهو
 يريد قلهرة ، وتظاهر العليج بمجموعه مرة ثانية في الموضع الذي
 كان مشرفاً فيه ومعتصماً به ، فتبادر اليه الفرسان ، فانهمز اقبح
 انهمز وقاتل له رجال وعقرت له خيل .
 وتنقّل الناصر رحمه الله الى حصن قلهرة فألفاه خالياً وامر
 بهدمه . ثم تنقّل الى حصن بلتيرية ، وهو من حصون المسلمين
 المجاورة للمشرّكين ، فعهد بادخار الاطعمة عندهم وتفريق
 الاموال فيهم ، واحتلّ بمدينة تطيلة وكسر بها ، وذلك يوم
 الاثنين لثلاث بقين من ربيع الآخر ، ورحل عنها قافلاً ،
 وجعل مروره ببني ذي النون . وكان يحيى بن موسى قد
 استراب وتوقّف عن الجهاد ، فدارت عليه معرفة الجيش حتى
 اذعن منقاداً وخرج خائفاً وجلاً ، وتلقّى امير المؤمنين معترفاً
 بذنبه فاوسعاه عفوه . وفعل مثل ذلك يحيى بن أبي الفتح ابن
 أخيه . ودخل امير المؤمنين رحمه الله قرطبة يوم الخميس لثان
 بقين من جمادى الاولى ، وقد استتمّ في غزاته هذه اربعة اشهر .
 وفي سنة ٣١٣ كان غزاة أمير المؤمنين الناصر رحمه الله الى
 كورة البيرة ومنازلته حصن اثنتين واستصلاحه الاحوال بكورة

١ الشعراء : الارض الكثيرة الشجر .

جيان وما والاها ، فبرز رحمه الله لهذه الغزاة يوم الخميس
 لاحدى عشرة ليلة خلت من المحرم سنة ٣١٣ ، وهو اليوم السابع
 من نيسان ، وفصل غازياً يوم الخميس لثمان بقين من صفر ، وهو
 اليوم السابع من ايار ، وذلك بعد بروزه باثنين واربعين يوماً ،
 وتخلّف في القصر بقرطبة ولي عهده الحكم المستنصر بالله ، ومن
 الوزراء احمد بن محمد بن جدير ، وعلى المدينة محمد بن عبد الله
 الخروبي ، واستقدم سعيد بن المنذر الوزير من كورة تدمير ليغزو
 معه ، واخرج محمد بن اسحق مديلاً له ، فاحتلّ في طريقه
 بخصن المنتلون من كورة جيان ، وأنزل عنه عبد الله بن سعيد
 ابن هذيل ، وعزله عن سائر الحصون التي كانت بيده ، واستعمل على
 الجميع عبد العزيز بن مسلمة وعبد الله بن عمرو بن مسلمة ،
 وعهد بهدم أكثر حصون جيان وقصاها ، اذ كانت مستو كجاً
 لاهل الشر والخلاف وضرراً على أهل الطاعة والاستقامة .

وكذلك ما فعل بحصون البيرة حتى احتل بخصن اثنتين يوم
 الاثنين لاحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الاول ، وكان اهله
 على مكيدة باطنة وإظهار طاعة تحتها مداھنة ، فعرض عليهم الناصر
 النزول عن حصنهم الى البسيط حوله ، فاضطربوا في امرهم
 ولاذوا عن رشدهم ، فاحتلت العساكر بهم ، وأخذ بالجد والعزم
 في محاصرتهم ، واحيط بهم من جميع جهاتهم وبنيت عليهم

سنة حصون يقابل بعضها بعضاً حتى عادوا في مثل حلقة الخاتم
ضيقتاً وحصاراً .

وبقي الناصر على محاصرتهم خمسة وعشرين يوماً ، وهو
يدأب مع ذلك في استصلاح امور رعيته وتأمين سبلهم وقطع
المخاوف عنهم ، ويشخص بنفسه إلى كل جهة من جهاتهم ؛ وفي
هذه الغزاة استجلب الناصر وليّ عهده وعماد انسه الحكم
المستنصر بالله من قصر قرطبة إلى معسكره ، وهو في ذلك
الوقت ابن عشرة أعوام وثمانية أشهر ونصف ، اذ استوحش
له وتآقت نفسه الكريمة اليه ، فقدم عليه ابقاه الله بهذه المحلة
مع ثقات رجاله وفتيانه ، واستخلف له في القصر اخوه عبد العزيز
لتنفيذ الكتب باسمه الى وقت منصرفه ؛ فأنس رحمه الله به وسرّ
بقربه ، وقفل الناصر من هذه الغزاة يوم الجمعة لست خلون
من ربيع الآخر ، بعد ان ارتب الوزيرين سعيد بن المنذر
وعبد الحميد بن بسيل على حصن اثنتين محاصرين لاهله في
كثف من الحشم ؛ ودخل القصر بقرطبة يوم الخميس لاثنتي
عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر ، وقد استم في غزاته خمسين
يوماً .

وفي هذه السنة ولي خلف الفتى الكبير الطراز ، وفي شوال
منها ولي يحيى بن يونس (القبرني) السوق اذ اعتلّ أحمد بن

بهلول علّة ابطلته عن الحركة ، ثم ولي يحيى بن يونس
المواريث في ذي القعدة، وولي عبد الله بن محمد الحروي خزانة
السلاح .

وفيها صلب على الرصيف بباب قصر قرطبة الرامي المعروف
بأبي نصر، وكان قد ذهب به الصوت في الرماية والاصابة ايام
عمر بن حفصون ، فصلب ثم رمي بالنبل حتى اصبحت جوارحه
ومقاتله ، وبقي في الجزع اياماً ثم احرق . وفيها توفي ابن
الناصر يسمى بمحمد .

وفيها مات ثابت بن حزم العوفي من اهل سرقسطة في
شهر رمضان، وكان كثير الرواية بصيراً باللغة ، وله رحلة سمع
فيها من بعض الفقهاء بالمشرق .

وفيها هلك فلوية صاحب جليقية ، وولي اذفنش ثم تهرب
وولّى اخاه رذمير مكانه في سنة ٣١٩

وفي سنة ٣١٤ كان اغزاء الناصر رحمه الله قواده بالصوائف،
ولم يكن له غزو بنفسه في هذا العام لمحل كان فيه وقحط
شديد ، فاخرج عبد الحميد بن بسيل الوزير الى الثغر الذي
كان به بنو ذي النون فواقع بهم، اذ كانوا قد مرقوا عن الطاعة
واكثروا الفساد في الارض والاستطالة على من جاورهم من
المسلمين، فقتل منهم من استحق القتل ، واقتتحت مدينة سرتة،

وكان اهلها على خلاف وخلعان للطاعة، فدرّت جبايتها من ذلك الوقت ، وصارت بسبيل سائر الكور المستقيمة الاحوال .

ثم صدر عبد الحميد بن بسيل من ذلك الثغر وقد استقامت على يديه احوال اهله ، فاخرجه الناصر الى مدينة ببشتو محاصراً سليمان بن حفصون في جملة القواد المحاصرين له ، واخرج رحمه الله افلح صاحب الحيل مولاه الى سليمان بن حفصون ايضاً ، فنزاله وحاصره وفتح حصن منت روبي ، وكان من أمنع معاقله .

ذكر قتل سليمان بن حفصون

وفي هذه السنة قتل سليمان بن عمر بن حفصون ، وكان قد ركب وخرج عن مدينة ببشتو معارضاً لبعض المغاورين له من العسكر ، فتبادرت اليه الحيل من الجهة التي كان فيها عبد الحميد الوزير ، فصرع سليمان عن فرسه واحتاز رأسه سعيد ابن يعلى العريف المعروف بالشفة ، وكانت قد واقعته قبل ذلك مطاعنة على يدي محمد بن يونس العريف وبعض بني مطاهر العجم ، وقطعت يداه ورجلاه ، وذلك يوم الثلاثاء مستهل ذي الحجة من سنة ٣١٤ ، وبعث الوزير عبد الحميد برأسه وجثته ويديه مبعضة مفترقة ، فرفعت على باب السدة بقرطبة في خشبة عالية ، وكان الفتح فيه عظيماً ساراً لجميع المسلمين .

وفيهما ورد الخبر بهلاك العليج شانجه صاحب بنبلوثة .
وكان القحط في هذا العام شديداً والمحل عاماً ، واستسقى
بالناس احمد بن بقيّ صاحب الصلاة مراراً ، ونفذت الكتب الى
الكور في الاستسقاء ، فوافى نزول الغيث رفع جثة سليمان بن
حفصون على صليبه على باب السدة ، فقالت في ذلك الشعراء اشعاراً
كثيرة منها :

سحابٌ يمورُ الغيثُ منها ، وديمةٌ

دماءُ العدى تهمي بها ، وتمورُ

غياثان فينا واكفان من الحيا ،

ولكنّ ذا رجس وذاك طهور

وذاك نجيع ليس يقبله الثرى ،

وذا ناجع يسري به ويفور

تدنّست الدنيا به ، فتطهرت

بطون لها من رجسه وظهور

وفيهما ولي محمد بن عبد الله الزجاجي الوزارة يوم السبت
للتصف من جمادى الاولى .

وفيهما عزل اسلم بن عبد العزيز عن قضاء الجماعة بقرطبة
لعلّة اقعدته ، وولي احمد بن بقي القضاء مع الصلاة . وفيها ولي

احمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف خزانة المال ؛ وولي
عبيد الله بن عبد الله الزجاجي العرض ؛ وولي خزانة السلاح
حسين بن محمد بن عاصم واحمد بن يحيى بن حسان وعبد
الوهاب بن محمد بن عبد الرؤوف .

وفيها توفي اصبع ابن الأمير المنذر . وفيها توفي محمد بن
عمر بن لبابة الفقيه ليلة الاثنين لحمس بقين من شعبان ، وكان
مولده مستهل رجب سنة ٢٢٦ ، وكان عالماً بالفتيا ، حسن الدين
مستقيم الحال من حدائته الى وقت وفاته .

وفيها توفي محمد بن عبد الله الحروي صاحب المدينة مستهل
صفر ، وولي المدينة مكانه عيسى بن احمد بن ابي عبدة بعد وفاته
الى ثمانية ايام .

وفي سنة ٣١٥ كان غزو أمير المؤمنين الناصر (رضه) الى
مدينة ببشتو لمحاربة حفص بن عمر بن حفصون ، فبرز لهذه
الغزاة يوم الخميس ثلاث عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٣١٥ ،
وهو اليوم التاسع عشر من نيسان ، وفصل غازياً يوم الاثنين
لنصف من شهر ربيع الآخر ، وهو اليوم الحادي عشر من ايار ،
وذلك بعد برونه باثنين وثلاثين يوماً ، واغزى مع نفسه ولياً
عهده الحكم المستنصر بالله ، وهو ابن ثنتي عشرة سنة وتسعة
اشهر ونصف ، وتحلف في القصر عبد العزيز شقيق ولي العهد ،

ومن الوزراء احمد بن محمد بن جدير ، وعلى المدينة احمد بن عيسى خلفاً لابيهِ عيسى بن احمد الوزير ، فنزل الناصر بجيوشه وخيله وعدده على مدينة ببشترو يوم الثلاثاء لسبع بقين من ربيع الآخر ، وزاد عزماً في البنيان عليها والجد في محاصرتها ، وارتب بها من القواد من يلزمها .

وتنقل عنها الى مدينة الحنش ، فاستنزل من كان فيها واخلاها من ساكنيها وامر بهدم اسوارها وتعفية آثارها ، وباشر ذلك ولي عهده مع الحاجب موسى بن محمد موله .

ثم امّ الناصر حصن شنت بيطر وما قرب منه من الحصون ، فنازلهم وقطع ثارهم وكرومهم واصطلم معاشهم ؛ ثم تنقل بجيوشه الى مدينة مالقة ، فنظر بمثل ذلك في الحصون المجاورة لها ، وولّى مدينة مالقة عبد الملك بن العاصي ، والزم معه جملة من الحشم لمغاورة أهل تلك الحصون ، وامره بحمل السيف على كل داخل اليهم او خارج عنهم .

ثم صدر الى مدينة ببشترو فاضطرب عليها ثانية من ناحية لماية ، ورأى ان البنيان بها من انكى الأمور للكفرة وأشدّها عليهم ، فأمر ببنيان صخرة للأول تعرف بالمدينة ، وقدم لذلك احمد بن محمد بن الياس ، وصرف اليه كورة تاكرنا وما اتصل بها من لماية ، والزم عبد الحميد بن بسيل الوزير مكاناً يشرف منه على

مجمع الطرق ، ويجتوس فيه بالمتيسرين من اهل العسكر في العلاقات وطلب المرافق، والمختلفين اليه من كل موضع. واقام بحلته هذه سبعة ايام لم يدع فيها للكفرة مرتفقاً ولا معاشاً .

ثم انتقل الى محلة طليجيرة ، فعهد بالبنيان فيها واقام بها حتى كمل بها شأن مدينة الزمها سعيد بن المنذر الوزير. ورأى الناصر صرف وليّ عهده الى قصر قرطبة ايثاراً لصيافته ومعاودته الى تأذبه ، فوجهه مع ثقات رجاله وفيهم دُرّي بن عبد الرحمن صاحب الشرطة العليا ومحمد بن احمد بن جدير العارض ، فبلّغوه القصر ، وانصرفوا عن باب السدة الى العسكر ، ولم يتقدم احد منهم الى داره ولا دخل منزله ولا رأى أحداً من اهله .

ثم قفل رحمه الله يوم السبت لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة ، ودخل قصر قرطبة يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الآخرة ، وقد استكمل في غزاته هذه خمسة وستين يوماً .

وفي هذه السنة اغزى الناصر دري بن عبد الرحمن صاحب الشرطة مولاه الى ابن الزيات ، فلما قرب منه خرج هارباً ، وظفر دري في وجهه هذه بهائل قائد كان لابن حفصون وباصحاب له ، فاسرهم واوثقهم بالحديد وقدم بهم قرطبة ، فصلبوا في المرج الذي بين يدي القصر ، وذلك يوم الاحد لسبع خلون من شهر رمضان .

وفيه ولي فطيس بن اصبح الوزارة وعيسى ابنه الخزانة
وعبد الله بن محمد بن عبد الله الخروبي العرض وعبيد الله بن
عبد الله الزجاجي المواريث .

ذكر افتتاح مدينة بيشتر

ولما اشتدَّت المحاصرة على حفص بن عمر بن حفصون
بمدينة بيشتر، واحيط به بالبنيان عليه من كل جانب، ورأى من
الجدِّ والعزم في أمره ما علم ألاَّ بقاء له معه في الجبل الذي
تعلَّق فيه ، كتب الى امير المؤمنين الناصر يسأله تأمينه والصفح
عنه على ان يخرج عن الجبل مستسلماً لأمره راضياً بحكمه ،
فأخرج اليه الناصر الوزير احمد بن محمد بن جدير وتولى هو
وسعيد بن المنذر انزاله من مدينة بيشتر ودخلها رجال أمير
المؤمنين الناصر وحشمه يوم الخميس لسبع بقين من ذي القعدة
من السنة ، واستنزل حفص وآله وجميع النصارى الذين كانوا معه
وقدم بهم احمد بن محمد الوزير الى قرطبة مع أهلهم وولدهم ،
ودخلها حفص في مستهل ذي الحجة ، وأوسع أمير المؤمنين
صفحه وعفوه وصار في جملة حشمه وجنده . وبقي الوزير سعيد
ابن المنذر بمدينة بيشتر ضابطاً لها وبانياً لما عهد اليه من بنيانه
فيها واحكامه منها .

وفيها مات احمد ابن الأمير محمد رحمه الله بمدينة استجة .
وتوفي الوزير محمد بن عبد الله الزجالي في شعبان، وهو ابن ثلاث
وخمسين سنة ؛ وتوفي العارض محمد بن احمد بن جدير في آخر
هذا العام ، وكان حدثاً قد توجه ذكره وتمكن محلّه ، فعظم
اسف الحاجب عمه والوزير أبيه عليه ، وولّى الناصر خطته اخاه
موسى بن احمد بن جدير ، وهو صغير لم يبلغ الحلم ، تعزية لأبيه
وعمه عن المفقود واحياء لذكره .

وفيها مات ابو سليمان داود بن هذيل بن منان من أهل
طليطلة بقرطبة ، وكان روايته للنسائي وغيره ، وحمل عنه الحديث
جماعة من أهل قرطبة .

وفي سنة ٣١٦ كان غزاة امير المؤمنين الناصر الى مدينة
ببشتو بعد افتتاحها لتدبير أمرها واحكام ضبطها ، ففصل من قرطبة ،
دون بروز ، يوم الثلاثاء للنصف من المحرم ، وهو السابع من آذار ،
واغزى مع نفسه ولي عهده الحكم المستنصر بالله ، وتخلّف في
القصر ابنه عبد العزيز لتنفيذ الكتب اليه ، ومن الوزراء احمد بن
محمد بن جدير ، وعلى المدينة احمد بن عيسى مخلفاً لابيه عيسى
ابن احمد ، وكان الحاجب موسى بن محمد عليلاً فلم يغز في هذا
العام .

وكانت الطريق على مدينة استجة ثم الى اشونة ، واحتلّ

بحصن ببشتر يوم الاحد لعشر بقين من المحرم ، فدخل المدينة
وجال في اقطارها وعاین من شرفها وحصانتها وعلو مرتقاها
وانقطاع جبلها من جميع جهاته ما ايقن معه ألاّ نظير لها في
الارض حصانة ومنعة واتساع قرارة ، فاكثر من حمد الله عز
وجل على ما افتتح له منها ويسر له فيها ، والتزم الصوم ايام
مقامه بها ، ثم دبر بنيان قصبتها على احسن ما دبره واحكمه في
غيرها ، وفرق رجاله على هدم كل حصن كان حوالىها وعلى
الديارات الخارجة عنها ، وامر بنبش جيفتي عمر بن حفصون وابنه
فكشفت قبورهما ، والفيّا مدفونين على ظهورهما كما يتدافن
النصارى ، وشهد ذلك عامة الفقهاء الغازين مع الناصر رحمه الله ،
وايقن جميع من شهد ذلك بهلاك المشركين على دين النصرانية ،
واستخرجوا من لحودهما ، وأُتي بأعظُهما الرجسة الى باب السدة
بقرطبة ، ورفعت في جذوع عالية الى جنب الملحد سليمان بن
عمر ، وصاروا عظة للناظرين وقرّت بهم عيون المسلمين .

وقلد الناصر أمر مدينة ببشتر والضبط لها واكمال البنيان
فيها سعيد بن المنذر ، واستنزل أهل حصون شنت بيطر ويمارش
وحطرون وغيرها من المعازل ، وهبطوا من أجبلهم وتفرّقوا في
بسيطهم ، واستقصيت الحصون خراباً ونسفاً ، ولم يبق للنصرانية
بتلك الجهة حصن مذكور ولا معقل معمور ، وعادت كورة رية

على كثرة ما فيها من الحصون المانعة والمعازل القائمة ليس فيها
جبل مضبوط ، ولا بها عدو محذور .

واحتمل على مثل ذلك في حصون تاكرنا وحصون مغيلة الا
ما وجب التمسك به منها ، ونظر في ازعاج من وجب ازعاجه
الى قرطبة ممن كانت نفسه تائقة الى الفتنة ليكون الناس أمة
واحدة ورعية ساكنة وادعة . وقدّم عبد الحميد بن بسيل الوزير
الى كورة شذونة لهدم حصونها وتبسيط أهلها وجمعهم الى
مدينة قلसानة التي هي قاعدة الكورة ، وأمر باستئصال بني داود
عن الحصون التي كانوا فيها وولاهها من عماله وثقات رجاله من
يحسن السيرة في رعية تلك الجهة ؛ وكانت سفرته ايمى سفرة
واجمعها لكل خير وصلاح والحمد لله ، ثم قفل يوم الأحد خمس
خلون من صفر فدخل منية الناعورة يوم السبت لاحدى عشرة
ليلة خلت من صفر ، وقد استتم في سفرته هذه ستة
وعشرين يوماً .

وفيهما افتتح احمد بن اسحق القائد القرشي مدينة لقت من
تدمير ومدينة قليوثة ، واستنزل عنها وعن القصاب التي كانت
حواليها بني الشيخ ، وقدم بهم الى قرطبة يوم السبت لاربع
عشرة ليلة بقيت من شعبان .

واستنزل في هذا العام بنو أبي جوشن من معازل بلنسية

وكانوا في نحو ستين رجلاً ، وقد اهلوا انفسهم في الفتنة
وتعرضوا لما نزل بهم من النعمة ، فامر الناصر بتمييز اهل الجزائر
منهم والتشريد بهم ، فقدّم من استحقّ القتل منهم الى المرج بين
يدي قصر قرطبة وضربت رقابهم فيه يوم دخولهم .

وفي هذه السنة عزل فطيس بن اصبع عن الوزارة وولي
احمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف المدينة ، وعزل عنها عيسى
ابن احمد بن أبي عبدة ، وقبل ذلك ما كان عزل جميع خزان
المال ، وكانوا خمسة وهم : سعيد بن سعيد بن جدير واحمد بن
موسى بن جدير واحمد بن عبد الوهاب المنقول الى المدينة وخالد
ابن أمية بن شهيد وعيسى بن فطيس ، وولّى الناصر مكلّتهم اربعة
خزان وهم : محمد بن جهور واحمد بن عيسى بن أبي عبدة
وعبد الرحمن بن عبد الله الزجاجي واحمد بن محمد بن أبي
قابوس .

وفيها امر الناصر باقامة دار السكة داخل مدينة قرطبة
لضرب الدنانير والدرهم ، وولّى الحطة احمد بن موسى بن جدير
يوم الثلاثاء ثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رمضان ، واقام
الضرب فيها من هذا التاريخ من خالص الذهب والفضة ، وصحح
في ذلك احمد بن موسى وتحفّظ ، وكانت مثاقيله ودراهمه عياراً
مخصّصاً .

وفيهما خرج احمد بن الياس القائد غازياً الى كور الغرب ،
فافتتح مدينة ماردة ومدينة شنتوين بلا حرب ، ونزلوا اليه
بالامان ، ووفاهم غاية الاحسان .

وفي هذه السنة رأى الناصر ان تكون الدعوة له في
مخاطباته والمخاطبات عنه في جميع ما يجري ذكره فيه بامير
المؤمنين ، لما استحقه من هذا الاسم الذي هو له بالحقيقة ولغيره
بالانتحال والاستعارة ، فهو أبو امراء المؤمنين والهداة الفاضلين
والابرار المتقين من كل منتخب في المشرق والمغرب وقائم بالحق
وسالك لسبيل الهدى والرشد ، فعهد الى احمد بن بقي القاضي
صاحب الصلاة بقرطبة بأن تكون الخطبة يوم الجمعة مستهل
ذي الحجة بذلك ، ونفذت الكتب الى العمال فيه بما اجتلبنا
نسخته لما فيها من ايعاب القول واستيفاء الحجة وظهور الحقيقة .
ونسخة الرسالة النافذة في ذلك :

بسم الله الرحمن الرحيم

امّا بعد فانّا أحقّ من استوفى حقّه ، وأجدَر من استكمل
حظه ، ولبس من كرامة الله ما ألبسه ، للذي فضّلنا به ، وأظهر
اثرتنا فيه ، ورفع سلطاننا اليه ، ويسر على أيدينا دركه ، وسهل
بدولتنا مرامه ، وللذي أشاء في الآفاق من ذكرنا وعلو أمرنا ،

وأعلن من رجاء العالمين بنا ، وأعاد من انخراطهم إلينا واستبشارهم
بدولتنا ، والحمد لله ولي الانعام بما انعم به ، وأهل الفضل بما
تفضل علينا فيه ، وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمر
المؤمنين وخروج الكتب عنا وورودها علينا بذلك ، إذ كل مدعو
بهذا الاسم غيرنا منتحل له ودخيل فيه ومتسم بما لا يستحقه ،
وعلمنا أن التادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه
واسم ثابت اسقطناه ، فأمر الخطيب بموضعك أن يقول به وأجر
مخاطبتك لنا عليه ان شاء الله ، والله المستعان . وكتب يوم الخميس
للبلتين خلثا من ذي الحجة سنة ٣١٦ .

وفيهما عزل افلح ودري موليا الناصر عن الحيل والشرطة ،
وولي الحيل عبيد الله الزجاجي والشرطة احمد بن أبي قابوس ، ثم
اعيد افلح الى الحيل ودري الى الشرطة بعد شهر .

وفيهما تولى ابراهيم بن محمد بن اللبريقي خطة العقل .
وفيهما عزل غالب بن محمد بن عبد الرؤوف عن خطة
الضياح ووليها محمد بن عبيد الله بن مضر في انسلاخ جمادى
الآخرة ، ثم عزل عنها ابن مضر ووليها خلف بن ايوب بن فرج
الكاتب ، وكان يكتب للحاجب موسى بن محمد ، وذلك لاحدى
عشرة ليلة خلت من ذي الحجة .

وفيهما توفي محمد ابن الامام المنذر ، وتوفي احمد بن يحيى بن

قاسم بن هلال الفقيه ، وكان متقبضاً خيراً صالحاً بصيراً بالوثائق
وعلمها ؛ وتوفي سعيد بن ابراهيم الفقيه وكان يلي الصلاة بكورة
رية ؛ وتوفي محمد بن هشام القرشي المعروف بابن الشبانسية
بكورة شذونة ، وهو عاملها .

وفي سنة ٣١٧ كان ظهور المحل واحتباس الغيث وغلاء
الاسعار ، فعهد الناصر بالاستسقاء بجامع قرطبة يوم الجمعة ليلة
بقيت من المحرم ، وذلك في شهر آذار ، واتصل الاستسقاء في
الجامع ومصلى الربض ومصلى المصارة .

وفيها كانت غزاة الناصر الى مدينة بطليوس لمحاربة اهلها
وابن مروان المنتزي عليه فيها ، فبرز رحمة الله عليه لغزاته هذه
يوم الخميس لعشر خلون من ربيع الاول ، وهو اليوم الثالث
والعشرون من نيسان ، وفصل من قصر قرطبة يوم السبت لاحدى
عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر ، وهو اليوم الرابع والعشرون من
ايار ، وذلك بعد بروزه بواحد وثلاثين يوماً ، واغزى معه ولي عهده
الحكم المستنصر بالله وابنه منذراً ، وتحلّف في القصر ابنه
عبد العزيز لتنفيذ الكتب اليه ، ومن الوزراء احمد بن محمد بن
جدير ، وعلى المدينة احمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف .
وكان احتلاله بالجيش على مدينة بطليوس يوم الخميس لسبع
بقين من ربيع الآخر ، وواضعهم الحشم القتال في افنتهم وعلى

أبواب دورهم ، وتقدّموا عليهم داخل ارباضهم ، وقتلوا منهم في ثاني احتلالهم عليهم جملة بعثت رؤوسهم الى قرطبة ، وقطعت ثمارهم واحرق ما اخلوه من ديارهم خارج سورهم ، وبقوا محصورين في المدينة .

وأقام عليهم الناصر عشرين يوماً ، ثم أبقى عليهم احمد بن اسحق في قطع من الجند ، وانتقل الى جهة ماردة ، فأصلح الأحوال بها ، وولاهها محمد بن اسحق وندب معه عدة من الحشم . ثم عاد رحمه الله الى مدينة بطليوس ، فاضطربت عساكره عليها من غير الجهة التي كانت اضطربت فيها أولاً ، وتولى من نكائتهم وأليم محاصرتهم ما أذاقهم به وبال عصيانهم وعاقبة غيبتهم وضلالهم ، ثم ارتب عليهم احمد بن اسحق قائداً في جيش كثيف ورجال منتقين وعدد كاملة ، وأمره بالتشدد في حصرهم والاستبلاغ في مضايقتهم .

وانتقل ناهضاً الى مدينة باجة ، فنزلها يوم الأحد مستهلاً جمادى الآخرة ، واضطربت عساكره عليها ، وتقدّم بالإعذار الى عبد الرحمن بن سعيد بن ملك الذي كان بها ، ودعاه الى الطاعة فلاذ والتوى ، فنصبت المجانيق عليه وحورب اشده محاربة ، وقتل من رجاله عدد كثير ، وانخطت بعض أبراج المدينة بمن كان عليها ، فضربت رقابهم بين يدي المظل ، فاستأمن

عبد الرحمن بن ملك واهله وجميع اهل باجة امير المؤمنين
الناصر وخضعوا لامره ونزلوا على حكمه ، فوسعهم امانه
وأخرجوا عن المدينة ونقلوا الى قرطبة ، ودخلها الناصر وولاهها
عبد الله بن عمر بن مسلمة ، وندب معه فيها قوة وأكثف له
الجمع والعدة ، وامره بابتناء قصبة فيها ينفرد بها العامل ويسكنها .
وكان مقام الناصر على باجة خمسة عشر يوماً ، ثم انتقل منها
قاصداً الى مدينة اكشونية بقرب الساحل الغربي المحيط ، فاحتلَّ
بها يوم الاثنين لسبع بقين من جمادى الآخرة ، وكان قد افتتح
في طريقه حصن الوقاع ، واصاب فيه حلف بن بكر صاحب
اكشونية اموالاً وعدة وسلاحاً ، فغنم ذلك الحشم واهل
العسكر وصار لهم نفلاً . ثم تلقى رسلُ خلف بن بكر امير
المؤمنين مظهراً للانابة وملتزمًا للطاعة ومتوسلاً ببعث الدار
والقاصية ، واخرج الى الناصر النزائل واقام له الوظائف والتزم
إدراار الجباية الكاملة ، واظهر أهل ذلك الجانب فيه رغبة شديدة
ووصفوه بسيرة حميدة ، فاقره الناصر عليهم وفرض عليه من
الجباية ما التزم ايراده له في كل عام ، وعهد اليه بحسن السيرة
والرفق بالرعية والألّا يقبل نازعاً ولا يكتنف هارباً ، فالتزم
جميع ما أمر به ووقف عند ما حدّ له .

وقفل الناصر عن مدينة اكشونية يوم السبت لليلتين بقيتا

من جمادى الآخرة ، ودخل القصر بقرطبة يوم الاحد لاربع
عشرة ليلة خلت من رجب ، وقد استتم في غزاته ثلاثة وتسعين
يوماً .

مطالعة أمير المؤمنين الناصر لبشتر في الشتاء

وفي هذه السنة كانت للناصر خرجة من قصر الناعورة
مطالعا لبشتر ومعاندا لما قام من البنيان بها وما تم من ترتيبه
فيها ، وكان خروجه من منية الناعورة يوم الخميس لثلاث عشرة
ليلة خلت من شوال ، ونزوله بجبل لبشتر يوم الخميس لعشر
بقين منه ، فدخل المدينة وجال فيها وأحكم ما له قصد من أمرها ،
ثم صدر عنها في اليوم الثاني ، ودخل القصر بالناعورة يوم الثلاثاء
لأربع بقين من شوال ، وكانت مدة توجهه وانصرافه ثلاثة
عشر يوماً .

وترددت الفتوحات في هذا العام بوقائع كانت على أهل
بظليوس ، وبعث احمد بن اسحاق من أهلها بسبعين أسيراً قتلوا
صبراً بين يدي قصر قرطبة ، وافتتحت فيه مدينة شاطبة من
بلنسية ، واستنزل عنها عامر بن أيي جوشن على يدي دري بن
عبد الرحمن صاحب الشرطة ، واشترط عامر بسكنى شنت بوية
حتى يأخذ في انتقال ثقله وعياله الى قرطبة .

وفي هذه السنة ولّى الناصر عبد الملك بن عمر بن شهيد
وعيسى بن احمد بن أبي عبدة الوزارة ، وسعيد بن سعيد بن
جدير الشرطة الوسطى ، ولم تكن قبل هذه الحطة .

وفيهما ولي خالد بن امية بن شهيد الخزانة ولاية ثانية ؛ وولي
عبد الرؤوف بن احمد بن عبد الوهاب خطة العرض .

وفي سنة ٣١٨ كان افتتاح مدينة بطليوس ، وذلك ان أهلها
وابن مروان صاحبها لما أخذهم الحصار وطاولتهم الحرب وفي
رجالهم واستميت نعمهم وقطعت ثراتهم ورأوا عزمًا
لا فترة فيه وجدًا لا بقاء لهم عليه ، استأمنوا الناصر وعادوا
بصفحه ، فوسعهم ما اوسع امثالهم قبلهم ، واستنزل ابن مروان
الجليقي واهله وذوي الشوكة من صحبه واسكنهم قرطبة
والحفهم في الملاحف السنية ، وملك المدينة وولاه اعماله وصارت
بسبيل كوره .

وفيهما اخرج الناصر لدين الله اهل الثقة من خدمته والامانة
والتصحيح من فقهاء مصره الى اهل طليطلة معذرًا اليهم وداعيًا
لهم الى الطاعة والدخول فيما صارت اليه الجماعة ، اذ كانوا لا
يؤدون جباية ولا يلتزمون طاعة ولا يتناهون عن منكر ولا
معصية ، فلأذوا بمعاذير المخادعة وجاوبوا الناصر بما لم يصغر اليه
من غشهم وتمريضهم ، فاستعزم على غزوهم وشمر لمناهضتهم وانزال

بأسه بهم ، وبرز للغزو في الصائفة اليهم ، في صدر ربيع الآخر سنة ٣١٨ ، وفي شهر نيسان من العام المؤرخ ، وقدم الوزير سعيد بن المنذر الى مدينة طليطلة في جيش كثير وعدد جم ، وأمره بالاحتلال عليها والمحاصرة لها حتى يلحق الناصر بجيوشه وصنوف حشمه بها ، فخرج اليها الوزير يوم السبت لثمان بقين من ربيع الآخر واغذ السير نحوها حتى نزل بساحتها ، واخذ في ما حد له من محاصرتها بأبلغ عزم واتم حزم .

ثم فصل امير المؤمنين الى مدينة طليطلة يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الاولى ، وهو التاسع والعشرون من ايار ، واغزى مع نفسه ولي عهده الحكم المستنصر بالله ومنذراً ابنه ، وتحلف في القصر ابنه عبد العزيز لتنفيذ الكتب اليه ، ومن الوزراء احمد بن محمد بن جدير ، وعلى المدينة أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف ، فلما احتل رحمه الله في طريقه بمحلة الغدر ، وقرب من حصن مورة الذي كان اتخذه أهل طليطلة شجاً على المسلمين ومستوكحاً للمفسدين ، وقدموا عليه منهم مطرف بن عبد الرحمن بن حبيب ، قدم اليه من أنذره وخوفه وأمره بالخروج عن الحصن واسلامه ، فبدر الى ذلك بداراً لم يجد منه بُدّاً ولا في الامتناع طمعاً ، ونزل عن الحصن ، وأمر الناصر بضبطه ، ثم نهض بجيوشه المؤيَّدة وعزيمته

الماضية حتى احتلّ محلّة جرنكش بقرب طليطلة ، وذلك يوم
الثلاثاء لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى ، فأشرف
من محلّته هذه على سهلة طليطلة ونهرها واجنتها وكرومها ،
ودبّر رأيه في أمكن المواضع من محاصرتها وأقرب الجهات
الآخذة بمخنق أهلها ، فرأى النزول بمحلة المقبرة على باب
المدينة أبلغ في النكاية وأشدّ في المضايقة ، فارتحل إليها في اليوم
الثاني وأخذ في نكاية العصاة بما لم يجز لهم على ظنّ .

وأقام بهذه المحلّة سبعة وثلاثين يوماً يوالي فيها بنكايتهم
وقطع ثراتهم وتخريب قراهم وانتساف نعمهم وتحطيم زروعهم ،
ثم امر بالبنيان في جبل جرنكش لمدينة سماها بالفتح ، وأرتب
لبنائها سعيد بن المنذر الوزير ، وأمر بنقل الاسواق إليها
والتمدن لها لتكثر مرافق أهل العسكر بها ، وأرتب محمد بن
سعيد بن المنذر على باب القنطرة في جمل من الحشم ، وعهد اليهما
بالاستبلاغ في محاربة القوم .

وقدم على الناصر بمحلّته على طليطلة صاحب حصن قنيلش
وصاحب حصن الفهين معتصمين بطاعته ، فأمر بنقلهما الى قرطبة
والتوسع عليهما ومكافأة نزوعهما وقصدهما ، ثم قفل الناصر
عن مدينة طليطلة يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخرة ،
ودخل القصر بقرطبة يوم الاثنين لاربع خلون من رجب ،
وقد استتمّ في غزاته واحداً وستين يوماً .

وفي هذه السنة ولي المواريث طرفة بن عبد الرحمن صاحب
المطبخ؛ وولي خزانة السلاح احمد بن أبان بن هاشم وحفص بن
سعيد بن جابر .

وفيها مات للناصر ابن يسمى بمحمد .

وفيها مات أمية بن محمد بن أمية بن عيسى بن شهيد .

وفيها توفي هاشم بن محمد التجيبي .

وفيها توفي محمد بن ابراهيم بن الجباب الفقيه صاحب الوثائق،
يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر رمضان؛ وتوفي صهيب بن
منيع قاضي اشيلية؛ وتوفي أبو غالب مروان بن عبيد الله بن بسيل .

وفي سنة ٣١٩ برز السراق والابنية الى المضطرب المعروف
بفحص السراق بجوفي النهر الاعظم، ثم برز الناصر الى هذه
المحلة لغزاة نواها الى مدينة طليطلة، ولم يتمّ عزمه عليها اذ
استغنى بالقواد المرتبين على المدينة المحاصرين لاهلها، واكتف
للقواد بها الخيل والعدة وأمدّهم بالسلاح واكدّ بصائرهم في الجدّ
والعزم والاستبلاغ في نكاية المفسدين المغترين من أهلها .

وفي سنة ٣١٩ كاتب موسى بن أبي العافية صاحب الغرب
أمير المؤمنين الناصر ورغب في مولاته والدخول في طاعته،
وان يستميل له اهواء اهل الغرب المجاورين له، فتقبّله احسن
قبول وامدّه بالخلع والاموال وقوى ايده على ما كان يحاوله

من حرب ابن أبي العيش وغيره ، فظهر أمر موسى من ذلك الوقت في الغرب ، وتجمّع له كثير من قبائل البربر ، وتعلّب على مدينة جراوة ، وأخرج عنها الحسن بن أبي العيش بن ادريس العلوي ، وجرت بينهما حروب عظيمة .

وفيهما افتتح الناصر مدينة سبتة ، فشكّها بالرجال واتقنها بالبنان ، وبني سورها بالكّدان^١ ، وألزم فيها من رضىه من قواده واجناده ، وصارت مفتاحاً للغرب والعدوة من الأندلس وباباً إليها ، كما هي الجزيرة وطريف مفتاح الأندلس من العدو ، وقامت الخطبة فيها باسم أمير المؤمنين الناصر لثلاث خلون لربيع الاول من العام المؤرخ .

وفيهما اتّصل بالقواد المحاصرين لطليطة ان العدو بذلك الجانب عملوا على الخروج لافتراض غرّة في بعض ثغور المسلمين ، فنفر اليهم الوزير احمد بن محمد بن جدير من قرطبة في جملة من الحشم ومن خفّ من المسلمين ، فلما بلغ اعداء الله خروجه توقّفوا عن حرّكتهم وقرّؤا في بلادهم ، وكفى الله المؤمنين معرّتهم ، فبلغ القائد احمد بن محمد بن جدير طليطة ، ونازلها مع القواد المرتبين فيها .

وفيهما خرج بالاسطول احمد بن محمد بن الياس ويونس بن سعيد قائدَيْن في البحر ، يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى

١ الكّدان : حجارة رخوة كاللدر .

الاولى، في عدة ومراكب جملة ورجال كثير وصنوف من
البحريين والمقاتلين، فجازا مرسى الجزيرة واحتلا العدو، وحاصرا
ابن أبي العيش، اذ كان على مخالفة لمن دخل في طاعة أمير
المؤمنين من أهلها ومحاربة لموسى بن أبي العافية وليه ومقيم
دعوته والداخل في طاعته، ثم حال الشتاء بينهما وبين التمادي
على الحصار والمطاول، فقفلا بالاسطول ومن فيه .

وفيها عزل أحمد بن عبد الوهاب بن عبد الرؤوف عن
المدينة وقدم الى الوزارة، وولي المدينة يحيى بن يونس
(القبرني)، وذلك في غرة جمادى الاولى، ثم عزل يحيى بن
يونس عنها، وكانت فيه حدة ومخارجة لاهل الحرم، ووليها
عبد الحميد بن بسيل الوزير في شوال .

وفيها ولي خطة العرض عبد الوهاب بن محمد بن عبد
الرؤوف؛ وولي الضياع محمد بن عبد الله بن مضر وعبد الله بن
معاوية بن بُزَيل مشتركين .

وفيها ولّى الناصر من تحت يدي ولي العهد المستنصر بالله
أحمد بن هاشم بن أحمد بن هاشم مولاة عمالة عبلة وفتياية من
البيرة .

وفيها مات أبو الجعد اسلم بن عبد العزيز بن هاشم بن خالد
ابن عبد الله بن خالد بن عبد الله بن حسين بن جعد بن اسلم بن

ابان بن عمرو مولى عثمان بن عفان (رضه) ، وكان قاضي الجماعة بقرطبة ، وله رحلة وسماع ، وكانت فيه صلابة وانفاذ للحق على وجوهه ، وعزل عن القضاء قبل وفاته اذ اخذه الكبر وضعف عن القعود للاحكام ؛ وكانت وفاته يوم الاربعاء لست خلون من شعبان ، وهو ابن سبع وثمانين سنة .

ومات في هذا العام فضل بن سلمة الفقيه البيجاني ، وكان له سماع وتأليف حسن ؛ وتوفي محمد بن فطيس الفقيه المحدث بالبيرة ؛ وتوفي احمد بن حامد الزجالي في جمادى الاولى .

وفيهما ماتت السيدة ابنة الامام عبد الله لثان بقين من ذي الحجة ، وكانت قد نافرت أمير المؤمنين الناصر أيام حداثته وقبل افضاء الخلافة اليه ، وهو حينئذ ولد في القصر بين يدي الامام عبد الله جدّه ، وطالبتّه وأدّته عند أبيها عبد الله الامام ، فلما ولي الناصر لم تشكّ في معاقبته لها ومجازاته لسوء معاملتها ، فكان الامر على خلاف ظنّها ، وقرب الناصر مكانها ورفع منزلتها واختصّها في جملة من اختصّ من أهله وبنات اعمامه حتى صارت اقربهن محلاً منه .

وفيهما توفي عبيد الله بن فهر ، وكان متصرفاً في العمالات والقيادة ، وذلك يوم السبت لثاني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة .

وفي سنة ٣٢٠ كان غزو الناصر الى مدينة طليطلة غزاته الثانية التي فتحت فيها عليه ، فبرز لهذه الغزاة في صدر جمادى الآخرة سنة ٣٢٠ ، في شهر حزيران من العام المؤرخ ، وفصل يوم السبت لأربع عشرة ليلة خلت من رجب ، وهو اليوم الحادي عشر من تموز ، مع ولي عهده الحكم المستنصر بالله أمير المؤمنين ، وتخلّف في القصر ابنه عبد العزيز لتنفيذ الكتب اليه ، ومن الوزراء احمد بن محمد بن جدير وعبد الحميد بن بسيل وكان صاحب المدينة .

وكان اهل طليطلة لما أخذهم الحصار واشتدّ عليهم التضييق ولازمهم القواد قد استجاشوا بالمشركين واستنجدوهم ورجوا نصرهم لهم ، فلم يغنوا عنهم فتيلًا ، ولا كشفوا عنهم عذابًا ، ولا جلبوا اليهم الا خزيًا وهوانًا ، وخرج القواد المحاصرون لهم الى الكفرة فهزموهم وفرّقوا جموعهم وانصرفوا مولّين على أعقابهم ، خاذلين لمن انتصر بهم ورجا الغياث من قبلهم ، فلما يئس أهل طليطلة ان ينصرهم أحد من بأس الله الذي عاجلهم ، وانتقامه الذي طاوهم ، عاذوا بصفح أمير المؤمنين وسألوه تأمينهم وضرعوا اليه في اغتفار ذنوبهم ، فخرج لاستئصال أهل طليطلة وتوطيد طاعته فيها وإحكام نظره بها ، في التاريخ الذي قدمنا ذكره ، فنزل عليها بمحلة جرنكش يوم الاربعاء

لخمس بقين من رجب ، وقد كان بدر اليه ثعلبة بن محمد بن عبد الوارث مقدما ، وتلقاه قبل نزوله بها معترفاً بجهله ومستقيلاً من زلته ، فعفا عنه الناصر وعاد عليه بفضل ، ثم امن اهل طليطلة وخرجوا الى العسكر ونالوا المرافق فيه ، وابتاعوا المعاش التي طالما اجهدهم عدمها ومنعهم الحصار منها ، فعرفوا غبطة ما صاروا اليه من الامن بعد الخوف ، والسعة اثر الضيق ، والانبساط بعد طول الانقباض .

ثم ركب الناصر الى مدينة طليطلة في اليوم الثاني من نزوله بمجلته عليها ، ودخلها وجال في اقطارها ، فرأى من حصانتها وشرف قاعدتها وانتظام الاجبل داخل مدينتها وامتناعها من كل الجهات بواديها ووعرها وكثرة البشر بها ما اكثر له من شكر الله عز وجل على ما منحه فيها وسهل له منها ، وعلم انه لولا ما اخذ به من الجدد والعزم في امرها لما ملكت مع حصانتها ومنعتها ، وما اعتاده اهلها من مداخلة المشركين وموالاتهم ، والاستمداد على الخلفاء بهم ، فكم اعيت الملوك وامتنعت من العساكر وانصرفت عنها الصوائف بغير نجاح ، ولكن فضل الله عز وجل الذي اعطاه أمير المؤمنين وصنعه له ، وتأييده اياه اجرى افتتاحها على يديه .

ثم دبر فيها بناءً محكمًا متقنًا ليكون مستقرًا للقواد

الملازمين فيها وزماماً على ساكنيها ، وارتب على البنيان بها دري
ابن عبد الرحمن قائده ، وملأها رجالاً وعدّةً وسلاحاً ، وركب
اليها الناصر وأمر بهدم ما وجب هدمه في المدينة ، وتردّد عليها
ثمانية ايام حتى اكمل فيها ما دبره وهذب ما اراده ، وفتحت
اسس البنيان الذي أمر به ، واطمأنت بأهل المدينة الدار ،
وفتحوا الحوانيت ، وانتشروا في الأسواق ، وانبسطوا في
أفنيّتهم وأبواب مساجدهم آمين والحمد لله .

ثم قفل الناصر عن محلته بطليطلة يوم السبت لست خلون
من شعبان ، ودخل القصر بقرطبة يوم السبت لعشر بقين
منه ، وقد استتمّ في غزاته ستة وثلاثين يوماً .

وفيهما صنع الناصر لضروب رجاله ومواليه وصنوف أجناده
وحشمه ممن شاهد فتح طليطلة معه ، ووافق ذلك تطهيره لبعض
بنيه الاصاغر .

وفيهما عزل عن خزانة المال محمد بن عبد الله بن جدير
وعبد الرحمن بن عبد الله الزجاجي ، ونقل أحمد بن عيسى بن أبي
عبدة عن الخزانة الى قيادة بجاية ، وأقرّ من الخزان خالده بن
أميّة بن شهيد ومحمد بن جهور بن عبد الملك ، وولى مكان
العزولين عنها سكن بن ابراهيم واحمد بن محمد بن مستنير .
وفيهما ولي الخال سعيد بن القاسم خطة العرض .

وفيهما ولي المدينة فطيس بن اصبع لاحدى عشرة ليلة خلت
من شوال .

وفيهما ولي العرض محمد بن قاسم بن طمّلس .
وفيهما ولي السكة يحيى بن يونس (القبرني)، وذلك يوم السبت
لأربع خلون من شوال، وعزل هذا النهار عنها احمد بن محمد
ابن موسى بن جدير .

وفيهما توفي احمد بن أبي نوفل القرشي، وهو احمد بن محارب
ابن قطن بن عبد الواحد بن قطن بن عصمة بن أنيس بن عبد الله
ابن جحّوان بن عمرو بن حبيب بن عمرو بن شيان بن محارب
ابن فهر، وكان متقبضاً متزهداً، وبلغ من السن خمساً
وسبعين سنة .

وفيهما مات الحاجب موسى بن محمد بن جدير للنصف من
شهر صفر ليلة الاحد بعد صلاة المغرب، وبلغ من السن خمساً
وستين سنة .

وفيهما توفي عبيد الله بن عبد الله الزجاجي، وكان على المواريث
والبنين، في رمضان، وهو ابن احدى واربعين سنة .

وفيهما مات احمد بن محمد الزجاجي، وكان قد تصرف في
الخدمة وله ادوات وحركة .

وتوفي فيها عمران بن أبي عمر المتطيب، وكان قد كفّ

بصره، وهو من المتطرفين المتطيين وصحب الملوك وخفّ على
أمير المؤمنين الناصر، وكان يصله ويحضره مجالس راحته وهو
اعمى .

وفي سنة ٣٢١ وصل الخبر الى قرطبة بولاية أبي المنصور
ابن المعتز مدينة سجلماسة، وهو غلام ابن ثلاث عشرة سنة،
فمكث في ولايته شهرين، وقام عليه ابن عمه محمد بن الفتح
واخرجه منها وقتلها، وتسمّى بأمر المؤمنين، وتلقّب بالشاكر
لله، وذلك بعد مدة نحو من عشرين سنة، وضرب الدنانير
الشاكرية .

وفي سنة ٣٢٢ وصل الخبر الى قرطبة بوفاة أمير افريقية
عبيد الله الشيعي الملقب بالمهدي، وتقديم ولده أبي القاسم الملقب
القائم بأمر الله .

وفي سنة ٣٢٣ وصل الى مدينة فاس ميسور الصقلي قائد
أبي القاسم الشيعي أمير افريقية، فحاربه اهل فاس سبعة أشهر،
ولم يقدر عليهم، ثم حاصر ابن أبي العافية واستعان عليه ببني
ادريس، فانجلى ابن أبي العافية الى الصحراء، وصار جميع ما كان
لابن أبي العافية لبني ادريس، وقد تقدّم خبر بني ادريس .

وفي سنة ٣٢٤ ظهر أبو يزيد محمد بن كيداد بافريقية على
أبي القاسم الشيعي، وذلك في جبل اوراس وفيه قلاع كثيرة
يسكنها هواراة وغيرهم، وهم على رأي الخوارج .

وفي سنة ٣٢٥ امر الناصر ببناء مدينة الزهراء، وكان يصرف فيها من الصخر المنجور ستة آلاف صخرة في اليوم سوى التبليط في الاساس على ما اذكره بعد .

وفي سنة ٣٢٧ قام بالغرب الأقصى أبو الانصار بن أبي عفير البرغواطي بعد موت أبيه، وكان يفي بالعهد والوعد، وهو الذي بعث زمورا البرغواطي رسولاً الى الحكم المستنصر بالله ابن أمير المؤمنين الناصر .

وفي سنة ٣٢٩ استتم القائد احمد بن محمد بن الياس مدينة سكتان وشحنها بالرجال واتخذ فيها الاطعمة والاسلحة، فأخرج الناصر اليها احمد بن يعلى قائداً في ضروب من الحشم ضمهم اليه، فنفذ اليها في صفر من هذه السنة . فلما كان في غرة جمادى الاولى منها وافى فتح من قتال احمد بن يعلى القائد بسكتان الحديثة بدخول كان له منها الى جهة من عمل الطاغية ردمير، فقتل وسبى وأسر، وأرسل مع كتابه الى قرطبة مائتي عالج اسراء، وكان هذا أول فتح لابن يعلى اذل به الطاغية ردمير .

وفي سنة ٣٣٠ في المحرم من هذه السنة طلع كوكب الزبانيستين في الافق الغربي بقرطبة ازاء العقرب منحرفاً عنها يكاد يتصل بالفلكة العليا في رأي العين، وكان أول ليلة لاح فيها للابصار ليلة السبت لثلاث بقين من المحرم منها، وهي ليلة

ست عشرة خلت من اكتوبر ، وتماذى طلوعه مستعلياً مكبراً
في السماء حتى توارى .

وفي سنة ٣٣١ في يوم الخميس لحس خلون من صفر منها
دخل الوزير القائد احمد بن الياس الى قرطبة قافلاً عن غزاته
الى الثغر ، التي خرج اليها في عقب شوال من سنة ٣٣٠ قبلها ،
الى ثلاثة أشهر ويومين من خروجه عنها ، ودخل في سفرته هذه
كورة تدمير ، فزال الالتياث الواقع من أهلها ازالة ، وقدم
برهائى بعضهم ، وكان اثره جميلاً .

وفيهما كان المد العظيم بنهر قرطبة التالم لقنطرتها .

وفي سنة ٣٣٢ اغزى الناصر لدين الله القائد احمد بن محمد
ابن الياس الى جليقية ، فدخل دار الحرب ، فغنم واحرق جملة من
حصونهم هنالك وقفل راجعاً .

وفيهما كانت زلزلة عظيمة بقرطبة ليلة الاثنين لتسع خلون
من ذي القعدة ، فلم يرق مثلها ولا سمع من قوتها ، ووقعت بعد
العشاء الآخرة ، فدامت ساعة ، ففزع أهل قرطبة لها فزعاً شديداً
ولجأوا الى المساجد فيها ، وضجوا بالدعاء الى الله تعالى في كشفها ،
حتى اغاثهم وصرفها عنهم . وفي صبح ليلة الزلزلة هبت ريح عاصفة
ردفتها اخرى فاقتلعت كثيراً من شجر الزيتون والتين وغيرهما
من الاشجار والنخيل ، واطارت كثيراً من قرمد السقف ، ونزل

اثر ذلك مطر وابل طبق الارض، وبرد غليظ فقتل كثيراً من
الوحش والطيور والمواشي واتلف ما اصاب من الزرع واساء
التأثير .

وفي سنة ٣٢٣ في المحرم هبت بقرطبة ريح عاصف من
ناحية القبلة ونزل برد غليظ .

وفيها ظهر باشيونة رجل يزعم أنه من ولد عبد المطلب وان
أمه مريم ابنة فاطمة ، وادّعى مع النسب أنه نبي وان جبريل
ينزل عليه ، وسنّ لاتباعه سنناً وشرع لهم شرائع منها حلق الرأس
وغير ذلك مما لا يعقل ، ثم وقع عليه البحث فخفي أثره .

وفيها اخرج الناصر قاسم بن محمد قائداً الى عدوة الغرب ،
فحارب بني محمد الادارسة الحسينيين ، الذين بدا من خلافهم عليه
في هذه السنة ونقضهم للطاعة ، بعدما قدم الكتب الى محمد بن
الحثير عظيم زناة وغيره من ولاته بالغرب يأمرهم بالاستعداد لذلك
والمعونة عليه ، واجاز قاسم البحر الى سبتة في النصف من ربيع
الأول ، فلما تبين ذلك لكبير بني محمد ، وهو أبو العيش بن عمر
ابن ادريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي
طالب (رضه) ، اسرع الى تحقيق الطاعة للناصر ، فعقد له الامان
على نفسه ، وانفذ عليه ابنه محمد بن أبي العيش الى قرطبة
مؤكداً له طاعته ، فاحتفل السلطان لدخوله احتفالاً عظيماً ،

وركب الوافد محمد، مع مستقبليه من قبيل الناصر القائد احمد ابن يعلى، في اهبة راقى العيون وملأت الصدور، ووصل الى قصر الزهراء، وقعد له الناصر افخم قعود فأوصله الى نفسه وابلى في تكريمه، ثم خرج عنه في مثل الهياة التي دخل عليها، ودخلت بدخول محمد بن ابي العيش في هذا النهار على الناصر رسل لبني عمه الادارسة امراء المغرب، وانعقد في هذا النهار كتاب امان محمد بن ادريس .

ودعا الناصر أيضاً محمد بن أبي العيش فبالغ في تكريمه، وأقام بقرطبة بقية هذه السنة في تكريمة، وانصرف الوفد المذكور بعد التزامهم الطاعة للناصر، وذلك في خبر طويل .

وفي عقب شوال قدم رسول الخير بن محمد بن خزر الزناتي امير الغرب، ومعه رسول حميد بن يصل الزناتي، يعرفان الناصر بما كان من دخولهما مدينة تاهرت، وانهما اقاما فيها الدعوة له . وفي منسلخ شوال قدم على الناصر رسولان من أبي يزيد مخلد بن كيداد، المعروف بصاحب الحمار، القائم بافريقية على أبي القاسم الشيعي، برسالة منه يخبر بتغلبه على القيروان ورقادة وعملهما، وایقاعه باصحاب الشيعي فيها، وما يعتقده من ولاية الناصر، ويأوي اليه من اعتقاد امامته؛ واتصلت كتب أبي يزيد ورسله على قرطبة من ذلك الوقت الى حين وفاته .

وفي سنة ٣٣٤ جلس الناصر لدين الله لوداع رسل أهل
القيروان الواردين عليه من قبيلهم وقبيل أبي يزيد مخلص بن
كيداد اليفري ، الناصح بارض افريقية في ذلك الوقت ، محتسباً في
جهاد ملوك الشيعة المنتزين على افريقية من آل عبيد الله الداعي ،
وكان له في القيام عليهم وقائع شنيعة ، فوصلوا الى الناصر في
هذا اليوم ، وهم ثلاثة نفر اوجههم تيم بن أبي العرب التميمي ،
فكلهم بما تقتضيه رسالتهم ، ودفع اليهم اجوبة من ارسلهم ،
واذن لهم في الانصراف الى بلدهم ، ووصلهم وكساهم فانطلقوا
لسيلهم .

وفيها وصل الى قرطبة رسل ملك الروم الاكبر قسطنطين
ابن ليون ، صاحب القسطنطينية العظمى ، بكتب من ملكهم الى
الناصر ، فقعد الناصر على سرير الملك بقصر قرطبة لدخولهم عليه
ولمن تكامل بالباب من وفود البلاد ، بعد ان أمر باستقبالهم بالعدد
والأجناد ، واستوى الناصر على سريره وقعد على يمينه ابنه الحكم
وقعد سائر أولاده عن يمينه ويساره ، وقعد الوزراء والحجاب على
منازلهم صفوفاً ، فدخل الرسل وقد قدموا الهدايا بين ايديهم ، وقد
دهشوا لهول ما عاينوه من جلالة الملك ووفور الجمع ، فصنعوا
بين يدي الخليفة ، فأشار اليهم أن لا ، ودفعوا اليه كتاب مرسلهم
قسطنطين ، وكان الكتاب مصوغاً بلون سمائي مكتوباً بالذهب .

وفيهما كان السيل العظيم بقرطبة، وبلغ الماء في البرج المعروف
ببرج الأسد، فهدم من آخر القنطرة وثلم الرصيف وغيره .

وفيهما قدم على الناصر محمد بن محمد بن كليب من القيروان
فحكى أن أبا القاسم بن عبيد الله الشيعي هلك بالمهدية ، وهو
محصور من أبي يزيد، وان شيعته قدمت ولده اسماعيل مكانه ،
وانه فارس شجاع أبي النفس اقدم على أبي يزيد وجموعه
ولاقاه بمدينة سوسة ، فانهمزم أبو يزيد أمامه الى القيروان .

وفي عقب صفر منها ولي خزانة السلاح عبد الاعلى بن هاشم
المتوفى في المحرم منها .

وفي سنة ٣٣٥ كان ابتداء بناء مدينة سالم بالثغر الاوسط .
وفي كتاب ابن مسعود في سنة ٣٣٥ ابتنى الناصر مدينة
سالم القديمة التعطيل بالثغر الأوسط الشرقي، المواجهة لبلد قشتيلة،
دمرها الله تعالى، وهي يومئذ خالية مقفرة، وأرسل لذلك غالباً
مولاه في جيش جرده معه من الحضرة، وانفذ العهد الى قواد
الثغر بالاجتماع اليه لبنائها، فسارعوا الى أمره وبنيت أحسن بناء،
ونقل اليها البناؤون من بلاد الثغر للاختطاط فيها والرباط بها،
فتم ذلك في صفر من هذه السنة واطمأنت الدار بمن نزلها من
المسلمين، واكتمل بناؤها وعمرانها على مرور الأيام ، فنفع الله
المسلمين بها وصيرها شجاً في حلق الكافرين .

قال: ووافى في أثر كتاب القائد ابن جدير وابن هاشم كتاب
من قبيل عامر بن مطرف بن ذي النون الى الناصر بما فتح الله
له في المشركين ، وقتله العدد الكثير منهم وبعثه برؤوسهم ،
فتمت الفتوح ، وعمت الفروح ، وعز الاسلام ، واستبشر
الانام ، وطابت الأيام ، فحمد ولي الانعام ، الذي منه يرجى
التمام ، عز وجهه !

وفيهما كان القحط الكائن بقرطبة .

وفيهما وصل الى قرطبة أيوب بن أبي يزيد مخلد بن كيداد
اليفرني الاباضي رسولاً من والده أبي يزيد ، فقعده له الناصر قعوداً
فأوصله الى نفسه وكرم لقاءه ، وأمر بانزاله في قصر الرصافة ،
وقد أعد له فيه من الفرش والغطاء والآنية والآلة ما يعد
لأمثاله ، فأقام هنالك تحت نزل واسع وكرامة موصولة .

وفي سنة ٣٣٦ في يوم الجمعة التاسع من المحرم منها ورد
كتاب قند ، مولى الناصر القائد يومئذ بطليطلة ، بفتح فتحه الله
على يده في اعداء الله أهل جليقية ، فقريء في المسجد الجامع
بقرطبة والزهراء ، وبعث برؤوس وخيل اصيبت لأعداء الله .

وفيهما عزل الناصر عبد الله بن محمد عن السكة ، وسخط عليه
لتقصير ما كان فيه ، وأمر بسجنه ، وقدم عبد الرحمن بن يحيى بن
ادريس الاصم ، ونقل السكة من مدينة قرطبة الى الصحراء .

وفيها خرج الكاتب جعفر بن عثمان المصحفي الى ميرة
وذواتها لاصلاح ما فسد من حالها .

وفيها وصل حميد بن يصل المكناسي الى قرطبة قاصداً الى
الناصر من بلده من الغرب، فاستقبل بال جيش والزينة وكرم الناصر
مورده واجمل موعده .

وفي سنة ٣٣٧ في النصف من محرم قعد الناصر بقصر الزهراء
قعوداً بهياً، فدخل اليه حميد بن يصل، ثم وصل بعده منصور وأبو
العيش ابنا ابن أبي العافية، ودخل معهما حمزة بن ابراهيم صاحب
جزائر مزغنا، فوصلهم وكساهم وأذن لهم في الانصراف الى
بلادهم .

وفيها صلب بقرطبة علي بن عشرة من أهل أسبونة بعد ان
قطعت يده ورجلاه، وكان من المفسدين في الارض يقطع السبل .
وفيها كانت وقعة ارتقيرة على العدو دمره الله .

وفي سنة ٣٣٨ كان قدوم رسل ملك الروم الاكبر صاحب
القسطنطينية على الناصر راغباً منه ايقاع المؤلفة واتصال
المكاتبة، فتأهب الناصر لورودهم عليه وامر بتلقيهم في الجيش
والعدة، وجلس لهم الناصر الجلوس المشهور، الذي ما تهيأ مثله
لملك قبله في جلالة الشأن وعزة السلطان؛ ووصف ذلك يطول،
ودفعوا كتاب ملكهم في رق مسبوغ سمائي مكتوب بالذهب،

وكان على الكتاب طابع ذهب ، وزنه اربعة مثاقيل ، على الوجه الواحد منه صورة المسيح (ع.م) ، وعلى الآخر صورة قسطنطين الملك وصورة ولده .

وفيهما أمر الناصر احمد بن يعلى وحميد بن يصل المكناسي بالخروج الى بني محمد الادارسة الحسينيين امراء المغرب ، ففصلا بمن ضم اليهما من الجيش الى الحضراء ؛ وكان خروجهما من قرطبة للنصف من رجب . وفي عقبه قدم على الناصر رسول من بعض الحسينيين يذكر طاعتهم له وانقيادهم لأمره في هدم مدينة تطاون ، التي أنكر عليهم بناؤها ، فقعد لهم في أول شعبان وأمر بمجاوبتهم ؛ ثم وصل محمد بن أبي العيش الحسيني الى الناصر من أبيه أبي العيش ، فأقبل عليه الناصر وأبلغ في تكريمته ؛ ثم ورد الخبر بوفاة أبي العيش فأوصل الناصر ابنه محمداً الى نفسه وعزاه عن والده ، وعقد له على عمله ووصله وخلع عليه وعلى الوافدين معه وصرفهم ، فخرج محمد مبادراً الى عمله بالغرب ، وكان عند وفاة أبيه أبي العيش قصد ابن عمه قنون الى بلده ، فاحتوى على ماله وأهله .

ولما بلغ البربر اقبال محمد بن أبي العيش الى بلده من قبل الناصر رجعوا الى عيسى بن قنون ، وقد خرج عن تيكيساس ، فقطعوا به وكسروه وسلبوه ما كان أخذه لابن

عمه ، وقتلوا أكثر أصحابه ، فلم يخلص الا في سبعة فوارس .
وفيها وصل الى قرطبة أحمد بن الاطرابلسي ، رسول البوري
ابن موسى بن أبي العافية ، بكتاب يذكر انه صحَّ عنده ان الخير
ابن محمد بن خزر الزناتي وصل الى تاهرت محاربها ، فاستنصر أهلها
بميسور قائد الشيعي ، فالتقوا فدارت دائرة على ابن خزر أول
نهارهم ، ثم كانت الكرة لزناة ، ودخل الخير أميرهم مدينة تاهرت
وملكها في غرة ذي القعدة ، وأخذ قائد الشيعي أسيراً في عدة
من أصحابه ، ووقع في يده عبد الله بن بكار اليفرني الذي توجه
الى الشيعي برأس أيوب بن أبي يزيد ، فأرسل به الى يعلى بن
محمد بن صالح اليفرني ليقتله بوالده ، بعدما كان اخذ كل ما
عنده ، فلم يرض يعلى بذلك ولا رآه كفواً لعبده فكيف
لوالده ، ودفعه المذكور الى رجل من البربر كان قد قتل ابنه
فقتله به ودخل يعلى بن محمد وهران فملكها .

وفيها جرت قصة الولد عبد الله بن الناصر ، التي أراد الله بها
ابتلاء أبيه فيه ، فعجل الوثوب به وبأصحابه آخر هذه السنة ، عجل
عليهم فيها بافطع العقاب ، قتلهم وتأنى بابنه عبد الله مُدَيِّدة الى
ان طوَّقه الحسام في آخر سنة ٣٣٨ ، وكان الحكم اخوه ذكر عنه
انه يريد القيام على ابيه ، فقبل قوله فيه ، وكان عبد الله من أهل
العلم والذكاء والنبيل .

وفي سنة ٣٣٩ أخرج الناصر قائده أحمد بن يعلى نحو جليقية رجاءً في انتهاز فرصة من العدو، فاعانه الله عليها، واقتحم على غفلة فافتتح ثلاثة حصون وسبى نحواً من ألف سبية وانصرف آخر رجب من السنة .

وفيهما ورد الخبر بهلك ردمير بن اردون صاحب جليقية ، فملكك الجلالقة ابنه اردون ، ونازعه اخوه غرسية ، فجرى بينهم اختلاف اظفر الله به المسلمين .

وفيهما وصل الى قرطبة ابنا البوري بن موسى بن أبي العافية أمير الغرب؛ وورد الامير الخير أمير زناتة وكبير امراء الغرب الى الناصر، يذكر ما اتاح الله له من دخول مدينة تاهرت وظفره بميسور وعبد الله بن بكار اليفرني قواد الشيعي، فقرأ كتابه بجامع قرطبة والزهراء؛ ثم ورد كتاب عبد الرحمن بن عبد الله الزجالي من جهة شذونة يذكر ان بني محمد الادارسة بالغرب زحفوا الى حميد بن يصل قائد الناصر، ونزلوا عليه والتقوا به، فكانت الدائرة على بني محمد وانصرفوا مفلولين .

وفي سنة ٣٤٠ كانت للمسلمين غزوات على الروم نصرهم الله فيها، منها: فتح على يد قائد بطليوس بجليقية هزمهم اقبح هزيمة، قتل جملة من حماهم ومقاتلتهم، وسبى من نسايم وذرايرهم نيفاً على ثلاث مائة رأس ، ووصل ذلك السبي الى قرطبة

لثلاث خلون من المحرم ؛ وفتح آخر على يدي احمد بن يعلى
قائد الناصر ؛ وفتح آخر على يدي رشيق قائد الناصر على طلييرة ؛
وفتح آخر على يدي يحيى بن هاشم التجيبي .

وفي غرة جمادى الآخرة، وهو الثامن من اكتوبر، هبت
بقرطبة ريح عاصف وتتابع البرق واشتدّ الهول ، ونزلت
صاعقة في دار أحمد بن هاشم بن عبد العزيز ، فقتلت امرأة
وابطلت أخرى .

وفي سنة ٣٤١ كان للمسلمين غزو في الروم نصرهم الله فيه
وفتوحات ومنوحات .

وفي آخر جمادى الاولى وردت الأخبار بأن زيوري بن مناد
الضنهاجي، عامل الشيعي على تاهرت، أسر سعيد بن خزر زعيم
زناتة وكبيرها .

وفي هذا الوقت ورد كتاب ابن يعلى قائد الاسطول بقبضه
لرهن محمد بن ادريس الحسيني كبير امراء الادارسة .

وفي آخر جمادى الآخرة وصل الى قرطبة فتوح بن الحثير
ابن محمد بن خزر، كبير أمراء زناتة بأرض الغرب، وافداً الى
الحضرة ومعه وجوه أهل تاهرت ووهران، وادخلت بين يديه
الرؤوس التي احتزّها القواد المشارقة ووجوههم من رجال
اسماعيل الشيعي، يقدمها رأس ميسور الحضي ورأس محمد بن

ميمون وغيرهما من رؤوس اعلام الشيعة ، وعشرة من بنودهم ادخلت منكسة معها عدّة من طبوهم ، فرفعت هذه الرؤوس والبنود والطبول على باب قصر قرطبة ، وأقيمت له ولان جاء معه الكرامات الواسعة .

وفي سنة ٣٤٣ قدمت رسل هونوا ملك الصقالبة على الناصر . وفيها خرج القائد احمد بن يعلى غازياً الى جليقية فمنحه الله في الكفار القتل للرجال والسبي للذرية والعيال واحراق القرى وانتساف النعم ، فقرأ كتابه يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ربيع الاول بقرطبة ، وقرأ معه كتاب القائد غالب يذكر عظيم ما فتح الله عليه ومنحه من نكاية المشركين ؛ ثم دخلت الرؤوس الى قرطبة ومعها النواقيس والصلبان ، فقررت عيون أهل الاسلام .

وفي سنة ٣٤٣ ولّى الناصر مدينة طليطلة القائد احمد بن يعلى وصرف عنها محمد بن عبد الله بن جذير .

وفيها فصل القائد حميد بن يصل المستأمن الى الناصر بالجيش الذي ضمّه اليه الى بلاد الغرب ، وخرج معه القرشي السليمانى المستأمن الى الناصر أيضاً ، الذي كان أميراً على مدينتي تونس وارشقول وما بينهما من ارض افريقية ، فاخرجه عنها قواد الشيعي ، واسمه علي بن يحيى ، ينتسب الى علي بن أبي طالب

(رضه) ، فكان خروجهما من بين يدي الناصر بعد ان خلع عليهما خلع الوداع ، بعد خلع تقدّمت له عليهما بيوم قبل وصولهما من دراريع الديباج والحز وعمائم الشرب المذهبة وغير ذلك ، ودفع حميد سبعة عشر ألفاً للنفقة على الجند ، ومن احوال الكسوة سبعة احوال .

وفيها وصل الى قرطبة وفد ازداجة من البربر الذين انخاشوا الى الطاعة ، فكساهم الناصر ووصلهم ، وورد كتاب فتح من حميد ابن يصل ، قائد الناصر بالعدوة ، بما فتح الله عليه من مدينة اسلان وانتشار الدعوة الاموية بنواحيها .

وفيها قدم الحجاج فذكروا انه وقع بفسطاط مصر حريق عظيم احترق فيه ستة عشر ألفاً بين دار ومسكن .

وفي سنة ٣٤٤ وردت قواد الثغور لسبع خلون من ربيع الآخر على الناصر ، وفيهم غالب ومطرف ومحمد بن يعلى وعبد الله بن احمد بن يعلى وهذيل بن هاشم التجيبي ومروان بن رزين وعامر بن طرف بن ذي النون ، يذكرون انهم دخلوا الى ارض العدو وقصدوا حصناً من بلد قشتيلة فتغلبوا على ارباضه وقتلوا جماعة من أهله وقفلوا عنه ، فوافقتهم جموع النصرانية ، فأيد الله المسلمين ، وانهزم المشركون أمامهم مقدار عشرة أميال ، يقتلونهم كيف شاؤوا ، فاحصي انه قتل منهم مقدار عشرة

آلاف؛ وكانت هذه الواقعة بينهم لليلة بقيت من ربيع الآخر منها، فقرأ كتابهم بهذا الفتح الجليل بقرطبة؛ ثم وردت إلى قرطبة الرؤوس المحترقة في هذه الهزيمة نحو خمسة آلاف رأس، فأمر الناصر برفعها على الحشب حوالي سور قرطبة.

ولسبع خلون من جمادى الأولى كانت بقرطبة زلزلة عظيمة ظاهرة الهزة، وعادت زلزلة أخرى مثلها يوم السبت لاحدى عشرة ليلة خلت منه، وذلك عند الظهر.

وفيها ثقف الناصر أمور الخدمة السلطانية ووزعها بين وزرائه، فقلد الوزير جهور بن أبي عبدة النظر في كتب جميع أهل الخدمة؛ وقلد الوزير أحمد بن فطيس النظر في كتب أهل الثغور والسواحل والأطراف وغير ذلك؛ وقلد الوزير الكاتب عبد الرحمن الزجاجي النظر في تنفيذ كل ما يخرج منه من العهود والتوقيعات، وينفذ به الأمر أو الرأي وغير ذلك؛ وقلد الوزير محمد بن جدير النظر في مطالب الناس وحوائبهم وتنجيز التوقيعات لهم، فالتزم القوم ما ألزموا، فاعتدل بهم ميزان الخدمة وسهلت مطالب الرعية.

وفيها ورد كتاب يعلى بن حميد، قائد العدو من قبيل الناصر، بما فتح الله عليه في قائد الشيعي معد بن اسمعيل، صاحب إفريقية، من هزيمته له وقتله من قتل من رجاله وغير ذلك؛ ووصل

الى قرطبة ابن عم حميد بن يصل ومعه ستة وثلاثون من وجوه
كتامة وغيرهم من القبائل المستأمنين اليه من عسكر الشيعي ،
فأمر الناصر بانزالهم وجلس لهم على سريره بقصر الزهراء يوم
الثلاثاء لاربع خلون منه ، فوصلوا اليه فرأوا مقاماً جليلاً ،
وكلموه فردّ عليهم جميلاً وأحسن موعدهم وأمر بالخلع عليهم ،
ووصلوا بصلات جزلات وأمروا بالرجوع الى القائد حميد بن
يصل .

وفيهما أمر الناصر باطلاق اللعن على ملوك الشيعة بجميع منابر
الاندلس ، وانفاذ كتبّه بذلك الى العمال بسائر الاقطار .
وفي سنة ٣٤٥ وطىء غالب قائد اسطول الناصر أرض
سواحل افريقية من عمل الشيعي .

وفيهما قدم محمد بن حسين رسولاً كان من الناصر الى الطاغية
أردون بن ردمير ملك جليقية، ومعه شبروط اليهودي، بكتابه
الى الناصر ، راغباً منه في الصلح ، فاسعفه الناصر في ذلك على
اختيار ولده الحكم ، واشترط على الطاغية شروطاً ، وانصرفت
رسله بذلك .

وفيهما قتل محمد بن أبي العيش الادريسي أمير الغرب .
وفيهما خرج قاسم بن عبد الرحمن الى حميد بن يصل ، قائد
الناصر بالغرب ، من قرطبة باحد عشر حملاً من المال واحمال

العدة تقويةً على الذبّ عن الدولة المروانية بالغرب، وذلك لحُسن
خلون من صفر منها؛ ولما كان يوم النصف منه ورد كتاب حميد
بدخوله مدينة تلمسان .

وفي سنة ٣٤٦ قدم الى الناصر امرء بني رزين ومن التفّ
اليهم، فوصل الى الناصر كبيوهم مروان بن هذيل بن رزين الثائر
بالسيلة المنسوبة اليهم، فأدنوا واكرموا .

وفيها برز القائد غالب الناصري الى فحص السراق غازياً
الى دار الحرب، ففتّح عليه في بلاد المشركين وفتّح الحصون
وقتل المقاتلة، واكتسح بسيط عدو الله غرسية بن شانجه ملكهم،
وخرب قراه، ورجع بالمسلمين ظاهرين؛ وكذلك برز القائد أحمد
ابن يعلى للغزو الى بلد العدو تالياً للقائد غالب، فورد كتابه يوم
الأحد لحُسن بقين من ربيع الآخر بنتح عظيم تهباً له في غزوه
الى جليقية، وانه اثخن في قتلهم وجزّ من رؤوسهم أربعمئة،
واستاق من الماشية والكراع ما فات الاحصاء .

وفي سنة ٣٤٧ في أول المحرم أمر الناصر صاحب الشرطة
القائد أحمد بن يعلى بالخروج غازياً في الاسطول الى بلد الشيعي
معدّ بن اسمعيل، صاحب افريقية، فبرز ابن يعلى الى محلّة الربض،
لغزاته هذه، يوم الخميس لثمان خلون منه، وكان بروزه فخماً
خرج اليه من النّظّارة من أهل قرطبة رجالهم ونساؤهم

وابناؤهم وولدانهم ، خلق لا يحصيهم الا خالقهم ، فانتشروا بأكناف
الربض على عادتهم ، فأخذ السفلة منهم والغوغاء يتقاذفون
بالحجارة ، حاكين صفي القتال ، فدخل في عرضهم قوم من
الطنجيين من جند السلطان ، حشروا الضراب بينهم حتى حمي
وطيسه ، وقد تكتف صفيهم من النظارة بالرجال والنساء
خلق عظيم ، فلم يك الا ساعة ودارت بينهم جولة ظهر فيها أحد
صفيهم ، فمالوا على مغلوبهم وانبسطوا عليهم ، فامتد الطنجيون
بغالب شرهم وجهلهم الى نهب مغلوبهم من الرجال ، وتحطوهم
الى من حولهم من النظارة ، وانبسطوا على النساء فسلبوهن
ثيابهن وفضحوا كثيراً منهن ، فجعل المجردات من النساء يتوارين
في الزرع المكتل حياء من الناس وترقباً لوقت تفرقهم ،
وشرح ذلك يطول .

وفي جمادى الآخرة منها ورد كتاب قائد الاسطول احمد
ابن يعلى ، من مدينة افسلان من عمل تلمسان ، يذكر ان جوهرأ
قائد معد بن اسمعيل ، صاحب افريقية ، قتل يعلى بن محمد بن
صالح اليفرني ، صاحب مدينة افكان ، غدراً ، وان ابن عمه انتصب
مكانه باقامة قومه له ، ورجع القائد المذكور الى قرطبة ،
ومعه ولد بن قزة ابن عم يعلى بن محمد المتقدم الذكر ، المقدم
بعده في قومه بني يفرن ، فبولغ في اكرامه .

وفي سنة ٣٤٨ في اول ربيع الآخر منها خرج علي بن يحيى
الحسني الى شرشل، مكانه من العدو، قائداً بمن انضم اليه من
الحشم لمكافحة اصحاب الشيعي صاحب افريقية .

وفي اول ذي القعدة منها أوصل الناصر الى نفسه حريز بن
منذر في جماعة من وجوه الموالي والعرفاء ورجال الجند، يأمرهم
جميعاً بالخروج الى مدينة سبتة من أرض العدو مع بدر الفتى
الكبير، صاحب السيف، لتنفيذ العدد فيها من اجل جولان جوهر
قائد معد الشيعي، صاحب القيروان، بارض العدو، فنفذوا الامر
ومكثوا لذلك الى ان امنت الحادثة، فانصرفوا مع القائد بدر آخر
ذي الحجة من السنة .

وفي سنة ٣٤٩ كان ابتداء علة الناصر، وذلك يوم الاربعاء
لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر، وذلك نصف النهار منه، طرقت
أمير المؤمنين الناصر علة الصعبة من الريح الباردة، فأرجف به
وخيف عليه، واكبَّت الاطباء على معالجته الى ان ظهر عليه
تجفيف، فتجشَّم القعود لحاصله في العشر الاول لجمادى الاولى،
فوصل اليه الفتيان الاكابر: صاحب الطراز وخواص اكابر العبيد
كمظفر وذويه، فاستبشر أهل المملكة بما بدا لهم من انحطاط
مرضه، وسألوا الله كمال عافيته، والقضاء قد سبق بموته من علة، فلم
تقارقه، تخفُّ حيناً وتثقل حيناً، الى ان قضت عليه في سنة ٣٥٠
بعدها .

بعض أخبار الناصر رحمه الله على الجملة

كان الناصر رحمه الله ملكاً اдал اللواء وحسم الادواء
وقهر الاعادي وعدل في الحاضر والبادي ، قد اسس الاسوس
وغرس الغروس ، واتخذ المصانع والقصور وترك أعلاماً
باقية الى النفخ في الصور ، فاعتبر بالزهراء كم بها من قصر
مشيد وآثار ملوك وعبيد ، قد عادت معاهدها بعدهم دارسة
وآثارها دونهم طامسة ، تسفي الرياح بجنباتها وتبكي الغيوم
على عرصاتها .

ولما ولي الناصر لدين الله اعتزّ ركن الدين واحتفى ذمار
المسلمين ، وقام الجهاد على ساق وخمدت نار الخلاف والشقاق ،
ودخل الناس في طاعته أفواجاً واستنفروا الى دعوته أفراداً
وأزواجاً ، فناهيك من فضل اعطاهم وعدل كنهم به وغطاهم ،
وتكرمة اناهم اياها ومبرة ابدى لهم محياها ، قد ملك سبته
وما يليها من الاقطار وطرد عنها ملوك الادارسة طرد الليل
النهار ، وبث عماله وقواده فيها ، وطاعت له البرابر في جميع
نواحيها ، واعتصموا بحبله ولاذوا بفضله وعدله ، وكان اصطفى
مولاه بدرّاً وجعله شمساً لملكه وبدرّاً ، وقلّده خطة الحجاب
وجعل له النفي والايجاب ، فشدّ ملكه بقوة ساعد ، ثم قدم
موسى بن جدير ، فكمل به الملك ... واتفق له من الجد ما

اتفق ، فقاد عسكرياً مَجْرَراً وجر الدنيا جرّاً ؛ ومن قول ابن
عبد ربه فيه :

قد اوضح الله للاسلام منهاجا ؛
والناس قد دخلوا في الدين افواجا
وقد تزيّنت الدنيا لساكنها ،
كأنما لبست وشياً وديباجا
يا بن الحلائف ان المزن لو علمت
نسداك ، ما كان منها الماء ثجاجا
والحرب لو علمت حرباً تصول به ،
ما هيّجت من حُمَيّاك الذي اهاجا
مات النفاق واعطى الكفر ذمته ،
وذلت الحيل إجماماً وإسراجا
واصبح النصر معقوداً بألوية ،
تطوي المراحل تهجيّاً وإدلاجاً
ان الخلافة لن ترضى ولا رضيت ،
حتى عقدت لها في رأسك التاجاً

ومن مناقبه انه لم يبق في القصر ، الذي هو من مصانع
اجداده ومعالم اوليته ، بَنِيَّةً الا وله فيها اثر محدث ، اما بتجديد أو

١ في الاصل : لم ترض ، والتصحيح عن العقد الفريد .

بتزويد ؛ ومن مناقبه كثرة جوده الذي لم يعرف لاحد مثله من
أجواد الجاهلية والاسلام ، حتى قيل فيه رحمة الله عليه :

يا بن الحلائف والعلی للمعتلي ؛
والمجد يعرف فضله للمفضل

نوّهت بالخلفاء بل اخملتهم ،
حتى كأنّ نبيّهم لم ينبل

أذكرت ، بل أنسيت ما ذكر الوری
من فعلهم ، فكأنه لم يفعل

واتيت آخرهم ، وشأوك فائت
للآخرين ومدرك للأول

تأبى فعالك أن تُعدّ لآخر
منهم ، وجودك أن يُعدّ لأول

وكم للناصر رحمه الله من غزوات مذكورة وفتوحات
مشهورة ، يبقى في الاعقاب فخرها ولا يبلى على مرّ الاحقاب
أثرها .

وقد نظم ابن عبد ربه في غزواته ارجوزة من سنة ٣٠١
الى سنة ٣٢٢ ؛ وقد اطال الشعراء في مدحه واطنبوا في شكره ،
ولولا أن الناس مكثفون بما في أيديهم منها لأعدنا هنا ذكرها

أو ذكر بعضها ، ولكن المذهب هنا الاختصار والابحار
والاختصار .

حكاية

وبما ذكر من أفضاله مع بعض عماله ، قال حيان بن
خلف : كان محمد بن سعيد المعروف بابن السليم قد احتجن
اموالاً كثيرة بتصرّفه ، في كبار الولايات ، في المدة الطويلة ،
فعلم ذلك منه الناصر فعرض له مراراً في أن يسهم فيه عن طيب
نفس منه ، وهو ملكه ولو شاء لأخذه منه ، ولكن أبى
ذلك كرم طبعه . فقال في مجلسه يوماً : ما بال رجال من
خاصتنا توسّعوا في دنيانا ، فطفقوا يحتجنون الاموال ويضيعون
لعبدنا ، وهم يرون غليظ مؤونتنا في الانفاق على شؤوننا ، التي
بقدرتنا عليها صلاح احوالهم ورفاهية عيشهم ؛ ويعلمون أن أمير
المؤمنين عمر بن الخطاب (رضه) قاسم عمّاله قسطاً من
الموازين في أرباحهم في عمالاتهم ، فصيرها في بيت المال ، وهم من
هم وهو من هو ، والاسوة في فعله . فسكت ابن السليم عنه
وخالطه في تعريضه كأنه يعني غيره ، فازداد الناصر حقاً عليه
وغيظاً . فقال له يوماً في بعض مجالسه الخاصة معه ، وقد أخذ
الشراب منه وشق تفاحة بسكين في يده : وددت ان اشقّ هكذا

رأس من أعرف له مالاً كثيراً غلّه دوننا ولم يسهم بيت المال منه . فطار عقل ابن السليم ولم يختلجه الشك في انه المعني به ، فقام بين يديه وقال : يا أمير المؤمنين طالما عرّضت بي فسكتُ ، بلى والله ان عندي مالاً كثيراً ، وهو دون ظنك فيه ، حطته بالتقير وأعددت له الدهر العثور ، ولست والله أعطيك منه درهماً فما فوقه ورأيك في جميل ، الا ان تستحلّ ، وأعوذ بالله ان تمدّ يدك اليه بغير جناية مني عليك ، فان الانفس محضرة الشحّ .

قال : فيضجل الناصر واطرق يتلو قول الله تعالى : ان يسألكموها فيحلفكم بجهنم ويخرج اضعافكم . ثم أقبل على ابن السليم يؤنسه ويسكن جأشه الى ان اعتدل مجلسه ، فجعل يمعن في الشرب طامباً للسكر الذي خامره من الذعر ، فقال له الناصر : خفّض عليك يا محمد فلا سبيل اليك .

فلما سكر ابن السليم تهوّع فقذف ، وابتدره الوصفاء بالطست والمناديل ، فأقبل الناصر وأخذ برأسه يمسه ويقول له : استفرغ ما في معدتك وتأنّ بنفسك . فانكر ابن السليم كلامه بين الحدم وصرف اليه رأسه واذا به الناصر ، فما تمالك ان خرّ الى رجليه يقبلهما ويقول : يابن الخلائف الى هنا انتهيت من برّي ؟ وجعل يدعو له ويعظم شكره . فقال له الناصر : ليتني أخرج كفافاً من شأني معك الليلة تأنيساً باخافة

والطافاً بجفوة؛ ثم أمر له بكسوة، وانقلب الى اهله ، فكان هذا
بما يعدّ من كرمه وفضله . فلما مضت أيام ارسل ابن السليم
الى الناصر بمائة ألف ... فقبلها الناصر وشكر فضله ، وعوّضه
بكيور الولاية وصحبته منه النعمة العريضة الى حين وفاته .

حكاية

ومازح الناصر رحمه الله يوماً وزيره أبا القاسم لباً فقال له :
يا لب ، اهيج الوزير عبد الملك بن جهور . فامتنع عليه . فقال
لابن جهور : فاهجه أنت اذ أبى هو من هجوك . فقال : يا أمير
المؤمنين ، أتوقى عرضي منه وأصون نفسي عنه . فقال الناصر :
فأنا أهجوه ، فقال :

لب أبو القاسم ذو حية
طويلة في طولها ميلٌ

ثم قال لابن جهور : لا بُدَّ لك من تذييل هذا البيت ودع
الاعتذار . فقال :

وعرضها ميلان ان كسرت ،
والعقل مأفون ومدخول
لو أنه احتاج الى غسلها ،
لم يكفه في غسلها النيل

فضحك الناصر وقال للـب : انه قد سبب لك القول فقل .
فقال لب :

قال أمين الله في خلقه :
لي حية ازرى بها الطول

وابن عمير قال قول الذي
مأكوله القرطيل والفول

لولا حياتي من إمام الهدى ،
نخست بالمنخس ، شو؟ قولوا!

فلما بلغ لب الى قوله شو سكت ، فقال له الناصر : قولوا .
فأتم له على نحو ما اضر فقال له : أنت هجوته يا مولاي .
فضحك الناصر وأمر له بصلة .

وكان الناصر قد خرج يوماً على فرس أبلق والوزراء قد
حقتوا به ، فقال ابن عبد ربه من قصيدة :

بدر بدا من تحته ابلق ، يحسد فيه المغرب المشرق
لو يعلم الابلق من فوقه ، لاختال من عجب به الابلق
إمام عدل باسط كفه ، يرزق منها الله من يرزق

وكان لما تزعزع ابنه الحكم بن عبد الرحمن ولاة العهد من
بعده ، وكان له أخ اسمه عبد الله ، فحسده على ذلك واجتمع عليه

قوم، واراد قتل أخيه واتفق مع أصحابه أن يبادروه، فافتضحوا
وقتلوا جميعاً كما تقدّم ؛ وأما الولد عبد الله فذكر انه أخرجه
أبوه الناصر ثاني يوم عيد الأضحى ، فذبح بين يديه .

والناصر هو الذي زاد في المسجد الجامع بقرطبة زيادته
المشهورة ، وفيها القبو الكبير الذي يصطف المؤذنون امامه يوم
الجمعة للاذان ، وهو من اعجب البنيان .

واذ قد وقع ذكر المسجد الجامع بقرطبة ، فالواجب ان
نذكر أول من أحدثه ومن تولى بناءه من ملوك بني أمية
على سبيل الاختصار فنقول :

ذكر الرازي عن الفقيه محمد بن عيسى انه قال : لما افتتح
المسلمون الاندلس استدثوا بما فعل أبو عبيدة وخالد (رضهما) ،
عن رأي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضه) ، من مشاطرة
الروم في كنائسهم : مثل كنيسة دمشق وغيرها مما أخذوه صلحاً ،
فشاطر المسلمون اعاجم قرطبة في كنيسهم العظمى ، التي كانت
بداخلها ، وابتنى المسلمون في ذلك الشطر مسجداً جامعاً ، وبقي
الشطر الثاني بأيدي الروم ، وهدمت عليهم سائر الكنائس .
فلما كثر المسلمون بالاندلس وعمرت قرطبة ونزلها أمراء
العرب بجيوشهم ، ضاق عنهم ذلك المسجد وجعلوا يعلّقون منه
سقائف ، فنال الناس من الضيق مشقة عظيمة ، فلما دخل

عبد الرحمن بن معاوية الأندلس وسكن قرطبة نظر في
امر الجامع وتوسيعه واتقان بنائه ، فأحضر اعاجم قرطبة وسألهم
بيع ما بقي بأيديهم من الكنيسة المذكورة ، وأوسع لهم البدل
فيه وفاءً بالعهد الذي صولحوا عليه ، وأباح لهم بناء كنائسهم
التي كانت هُدمت عليهم في وقت الفتح بخارج قرطبة ، وخرجوا
عن الشطر فأدخله في الجامع المعظم ؛ وكان شروع عبد الرحمن
الداخل في هدم الكنيسة وبناء الجامع سنة ١٦٩ ، وتم بناؤه
وأكملت بلاطاته واشتملت اسواره في سنة ١٧٠ ، فذلك مدة
من عام واحد ؛ وقيل ان النفقة التي أنفق عبد الرحمن بطول
هذه السنة في بناء الجامع ثمانون ألفاً بالوازنة ، وفي ذلك يقول
البلوي ، رحمه الله :

وابرز ، في ذات الاله ووجهه ،

ثمانين ألفاً من لجن وعسجد

فأنفقها في مسجد أسه التقى ،

ومنهجه دين النبي محمد

ثم زاد ابنه هشام صومعة كان ارتفاعها أربعين ذراعاً الى
موضع الاذان ، وبني بآخر المسجد سقائف لصلاة النساء ، وامر ببناء
الميضأة بشرقي الجامع ، واقام الجامع على هيئته تلك الى أيام عبد
الرحمن بن الحكم ؛ ثم زاد عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن

عبد الرحمن الداخل الزيادة المنتظمة بالارجل ، طولها خمسون ذراعاً، وعرضها مائة وخمسون، وعدد سواريتها ثمانون سارية؛ وكان الفراغ من هذه الزيادة في جمادى الاولى سنة ٢٣٤ ؛ ثم راد الأمير محمد بن عبد الرحمن ان أمر باتقان طرر الجامع وتنميق نقوشه، وباقامة المقصورة، وجعل لها ثلاثة أبواب؛ فلما كمل ما أمر به في الجامع دخله وصلى فيه ركعات خشع فيها، فقال في ذلك موسى بن سعيد :

لعمرى لقد أبدى الامام التواضعا ،
فاصبح للدينيا وللدين جامعا

بنى مسجداً لم يثن في الارض مثله ،
وصلى به شكراً لذي العرش راكعا

فطوبى لمن كان الامير محمد
له ، اذ دعا فيه ، الى الله ، شافعا

ثم زاد المنذر بن محمد البيت المعروف ببيت المال في الجامع فوضع فيه الأموال الموقفة لغياب المسلمين، وأمر بتجديد السقاية واصلاح السقائف ، ثم زاد أخوه الأمير عبد الله بن محمد ساباطاً معقوداً على حنايا، وصلى فيه ما بين القصر والجامع من جهة الغرب ؛ ثم أمر بستارة من آخر هذا الساباط الى ان وصلها بالمحراب ، وفتح الى المقصورة باباً كان يخرج منه الى الصلاة ؛

وهو اول من اتخذ ذلك من أمراء بني أمية بالأندلس
رحمهم الله .

رجع الخبر لذكر الناصر

قيل انه أنفق في صومعة المسجد وفي تعديل المسجد
وبنيان الوجه للبلاطات الاحدى عشرة بلاطة سبعة امداء وكيلين
ونصف كيل من الدراهم القاسمية؛ وجملة ما أنفق عبد الرحمن
الناصر في بناء مدينة الزهراء خمسة وعشرون مدياً من الدراهم
القاسمية وستة أقفزة وثلاثة أكيال ونصف .

ذكر بنيان مدينة الزهراء بقرطبة أعادها الله

ابتدىء بنيانها في أيام الناصر من اول سنة ٣٢٥، وكان
يصرف فيها كل يوم من الصخر المنجور ستة آلاف صخرة سوى
التبليط في الأسوس، وجلب اليها الرخام من قرطاجنة افريقية
وممن تونس، وكان الأمناء الذين جلبوه عبد الله بن يونس
وحسن القرطبي وعلي بن جعفر الاسكندراني، وكان الناصر
يصلهم على كل رخامة بثلاثة دنانير وعلى كل سارية بثمانية دنانير
سجلماسية، وكان فيها من السواري أربعة آلاف سارية
وثلاثمائة سارية وثلاث عشرة سارية؛ المجلوبة منها من افريقية

الف سارية وثلاث عشرة سارية ؛ وأهدى اليه ملك الروم
 مائة وأربعين سارية ، وسائر ذلك من رخام الأندلس .
 وأما الحوض الغريب المنقوش المذهب بالتماثيل فلا قيمة له ،
 جلبه ربيع الاسقف من القسطنطينية من مكان الى مكان حتى
 وصل في البحر ، ووضعه الناصر في بيت المنام ، في المجلس
 الشرقي ، المعروف بالمونس ؛ وكان عليه اثنا عشر تمثالاً من
 الذهب الاحمر مرصعاً بالدر النفيس الغالي بما صنعه بدار الصنعة
 بقصر قرطبة ؛ وكان المتولي لهذا البنيان المذكور ابنه الحكم ،
 لم يتسكن الناصر فيه على أمين غيره ، وكان يجذب في أيامه كل
 يوم برسم حيتان البحيرات ثمان مائة خبزة ، وهذا من اعظم
 الاشياء ، الى ما فوق ذلك ، وكان الناصر قد قسم الجباية على ثلاثة
 اثلاث : ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر ، وكانت جباية
 الاندلس يومئذ من الكور والقرى خمسة آلاف ألف واربعمائة
 ألف وثمانين ألف دينار ، ومن المستخلص والاسواق سبع مائة
 ألف دينار وخمسة وستين ألف دينار .

ومما قيل في آثار مدينة قرطبة وعظمتها حين تكامل
 امرها في مدة بني امية ، رحمهم الله تعالى

ان عدة الدور التي بداخلها للرعية دون الوزراء واكابر أهل
 الخدمة مائة ألف دار وثلاثة عشر ألف دار ، ومساجدها ثلاثة

آلاف، وعدة الدور التي بقصرها الزهراء اربعمائة دار، وذلك لسكنى السلطان وحاشيته وأهل بيته، وعدد الفتيان الصقالبة ثلاثة آلاف وسبع مائة وخمسون، وعدة النساء بقصر الزهراء الكبار والصغار وخدم الخدمة ستة آلاف وثلاثمائة امرأة، وكان لهؤلاء من اللحم ثلاثة عشر ألف رطل ينقسم من عشرة ارباط للشخص الى ما دون ذلك سوى الدجاج والحجل وصنوف الطير وضروب الخيتان؛ وعدد حماماتها ثلاثمائة حمام، وقيل انها المبرزة للنساء، وكان عدد أرباض قرطبة، أعادها الله للاسلام، في ذلك الوقت ثمانية وعشرين ربضاً، منها مدينتان : الزهراء والزاهرة؛ وأما اليتيمة التي كانت في المجلس البديع فانها كانت من تحف قيصر اليوناني صاحب القسطنطينية، بعث بها للناصر مع تحف كثيرة سنية، فسبحان من لا يبدي ملكه ولا ينقطع عزه .

وفي سنة ٣٥٠ توفي الناصر رحمه الله، وذلك في صدر رمضان منها، ووجد بخطه تاريخ قال فيه : أيام السرور التي صفت لي دون تكدير يوم كذا من شهر كذا من سنة كذا، فعدت تلك الأيام فوجد فيها أربعة عشر يوماً، فاعجب ايها الغافل لهذه الدنيا وعدم صفائها ومحلها بكمال الأحوال لأوليائها . ان الخليفة الناصر ملك خمسين سنة وسبعة اشهر وثلاثة أيام ولم يصف له من الدنيا الا أربعة عشر يوماً، فسبحان ذي العزة العالية والملكة الباقية، تبارك اسمه وتعالى جده !

وممن رثاه جعفر بن عثمان المصحفي فقال :

الا انَّ أياماً هفَّتْ بامامها ، لجائرة مشتطَّة في احتكامها
فلم يؤلم الدنيا عظام خطوبها واحداثها ، الا قلوب عظامها
تأمل ! فهل من طالع غير آفل بهنَّ ، وهل من قاعد لقيامها
وعاين ، فهل من عائش برضاعها ، من الناس ، الا ميّت بفطامها
كان نفوس الناس كانت بنفسه ، فلما توارى ايقنت بحمامها
فطار بها يأس الأسى ، وتقاصرت يد الصبر عن إعوالها واحداها

خلافة الحكم بن عبد الرحمن المستنصر بالله

نسبه : الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الرحمن الداخل .

كنيته : أبو المطرف .

أمه : اسمها مهران .

عمره : ثلاث وستون سنة وسبعة أشهر .

بويع بعد موت أبيه ثلاث خلون لرمضان سنة ٣٥٠

وتوفي ليلة الاحد ثلاث خلون من صفر من سنة ٣٦٦ ،

فكانت دولته خمس عشرة سنة وسبعة اشهر وثلاثة أيام .

لقبه : المستنصر بالله .

صفته : أبيض مشرب حمرةً عين اقنى جهوري الصوت قصير

الساقين ضخيم الجسم غليظ العنق عظيم الساعدين افقم .

قضاته : منذر بن سعيد البلوطي قاضي أبيه ثم أبو بكر

محمد بن السليم .

نقش خاتمه : الحكم بقضاء الله راضٍ .

وافتح خلافته بالنظر في الزيادة في المسجد الجامع بقرطبة ،

وهو أول عهد أنفذه ، وقلد ذلك حاجبه وسيف دولته جعفر بن

عبد الرحمن الصقلي ، وذلك لاربع خلون لرمضان من السنة ، وهو

اليوم الثاني من يوم خلافته ، فكان أول ما عهد اليه تقديم النظر في سوق الصخور التي هي اس البنيان ، فابتدىء بانتقالها في رمضان المذكور؛ وكان قصر قرطبة قد كثرت به الناس ، فضاقت الجامع عن حملهم ونالهم التعب في ازدحامهم ، فسارع المستنصر الى الزيادة فيه فخرج لتقديرها وتفصيل بنائها واحضر لها الاشياخ والمهندسين ، فحدثوا هذه الزيادة من قبلة المسجد الى آخر الفضاء ماداً بالطول لاحد عشر بلاطاً ، وكان طول الزيادة من الشمال الى الجنوب خمسة وتسعين ذراعاً ، وعرضها من الشرق الى الغرب مثل عرض الجامع سواء ، وقطع من هذا ساباط القصر المتخذ لخروج الخليفة الى الصلاة الى جانب المنبر بداخل المقصورة ، فجاءت هذه الزيادة من أحسن ما زيد في المسجد .

ذكر الحبس الذي حبس المستنصر بالله على الجامع بقرطبة

لما كملت زيادته احضر الفقهاء والعدول الشهداء وأعيان الناس ووجوههم وقضاةهم وأئمتهم ، فحمد الله وأثنى عليه ، وجدّد شكره على توفيقه لاجراء هذه البنية الكريمة على يديه ، وانه تلقى هذه النعمة العظيمة بأن حبس ربع جميع ما جرت به اليه الوراثة عن أبيه أمير المؤمنين ، في جميع كور الأندلس وأقاليمها ، على ثغور الأندلس كافة تفرق عليهم غلات هذه الضياع

عاماً بعد عام على ضعفائهم ، الا ان تكون بقرطبة مجاعة فتفرق
فيهم الا ان يجيهم الله ، وجعل القبض والنظر في هذا الحبس الى
حاجبه وسيف دولته جعفر ، وجعل دفع ذلك الى وزيره
وكاتبه عيسى بن فطيس ، وأشهد الحاضرين على ذلك ، وأشهد
أيضاً بعق كل مملوك له من الذكران ، وخرج غازياً الى بلاد
المشركين .

وفي سنة ٣٥٢ غزا الحكم المستنصر بالله بلاد الروم ففتح
بها حصوناً كثيرة ومدناً جليلة وسبى وغنم وانصرف
غانماً ظافراً .

وفيها وفد عليه أبو صالح زمور البرغواطي رسولاً من
ملك برغواطة أبي منصور عيسى بن أبي الانصار ، فسأله الحكم
عن انساب برغواطة ومذاهبهم ، فأخبره بما تقدم في
الجزء الاول .

وكان الحكم قد أنفذ الكتب في محرم من سنة ٣٥١ الى
جميع الولاة والقواد والعمال بأقطار الاندلس ، يأمرهم بارتباط
الحيل والقيام عليها والاستعداد والاسلحة والآلات برسم الجهاد
في سبيل الله .

وفيها عزل عبد الله بن بدر عن شرطة المدينة بقرطبة وولاهها
محمد بن جواهر وأنفذ له سجلاً بذلك بخط يده .

وفيهما استُحْجِبَ جعفر الصقلي الفقي الكبير الناصري .
وفيهما وفد على المستنصر بالله أردون بن اذفونش الاحدب ،
من ملوك الجلائقة ، المنازع لابن عمه شانجه بن ردمير سابقه الى
ولاية ملكهم ، فبالغ في اكرامه في خبر طويل ، وكان للفصحاء في
ذلك مقامات وأسعار يطول الكتاب بذكرها ، فمن قول عبد
الملك بن سعيد من قصيدة :

مُلْكُ الخليفة آية الاقبال ، وسعوده موصولة بتوال
فالمسلمون بعزّة وبرفعة ، والمشركون بذلّة وسفال
أَلَقْتُ بأيديها الاعاجم نحوه ، متوقعين لصولة الرئبال
هذا أميرهم أتاه آخذاً منه أواصر ذمّةٍ وحبال

وفيهما وصل قرطبة ارسال شانجه بن ردمير ، منازع الطاغية
أردون ابن عمه ملك الجلائقة ، ومعهم عبد الرحمن بن جحّاف
قاضي بلنسية وأيوب بن الطويل وغيرهما ، فتوصلوا كلهم الى
المستنصر في ربيع الآخر واصلوا كتاب شانجه بن ردمير
بجواب ما خوطب فيه وبيعته التي عقدها على نفسه وجميع أهل
مملكته لأمير المؤمنين المستنصر بالله ، في خبر طويل .

وفيهما ولد للخليفة الحكم ولد ذكرٌ من حظيته التي سماها
جعفرًا ، أم ولده ، فسماه عبد الرحمن وسرّ به سروراً عظيماً اذ
كان لا يولد له ، وقالت في ذلك الشعراء والادباء فاكثروا .

وفيها ظهر نكت الجلالة بكل جهة .

وفيها كان المثل الطامي بنهر قرطبة .

وفي سنة ٣٥٢ كانت غزوة شنت اشتين غزاها الحكم المستنصر بالله .

وفي سنة ٣٥٣ كانت بقرطبة مجاعة عظيمة ، فتكفل الحكم بضعفائها ومساكينها بما يقيم ارماقهم ، ويجري نفقاته عليهم بكل ربض من أرباض قرطبة وبالزهاء .

وفيها قرىء بالجامعين قرطبة والزهاء فتح ورد من قبل سعد الجعفري مولى الخليفة الحكم القائد بالجوف ، يذكر ما أتاه الله على يديه في أهل جليقية وافاءه على المسلمين بسعد امامهم الزكي .

وفيها كان ازدحام الناس بالمسجد الجامع بقرطبة وتضاغطهم حتى كادت النفوس تتلف ، فأمر المستنصر بالله بتوسعته والزيادة فيه ، فأتى القاضي منذر بن سعيد الى المسجد الجامع ومعه صاحب الأحباس والفقهاء والعدول بما اجتمع قبلكه من أموال الأعباس ، فنظروا في الزيادة فيه .

وفيها انفذ المستنصر بالله أحمد بن نصر لبنيان مدينة بشغر طليطلة وتشيدها وتوثيق أمورها ، وجعل بين يديه أحمال أموال . وفيها تحرك الحكم من قرطبة الى المرية توقعاً لما يصدر

من صاحب افريقية المحاذٍ لأهل الأندلس، ولمعاينة ما استكمّله
بها من الحصانة، ومطالعة رابطة القبطية، ومشارفة حال الرعايا
بتلك الجهة.

وفيهما كان خبر اللص الذي سرق بيت المال، الذي للسبيل،
بداخل المسجد الجامع بقرطبة في شوال .
وفي سنة ٣٥٤ نزل الغيث بقرطبة فرويت الأرض وطاب
الحرث وسرّت النفوس .

وفيهما ولد هشام بن الحكم .
قال ابن حبان : كان الخليفة الحكم شديد الكلف بطلب
الولد لعلوّ سنه، فبشر في بعض خلواته بأشتال ام ولده على حمل،
فسرّ به وبقي يتوقّبه، فأَتَتْه به أول خلافته، ثم مات طفلاً
فأحزنه، فلما بشر بهذا فرح به فاستبشر جعفر بن عثمان وزيره
ببشراه وأرسل اليه في التهنئة بذلك أبياتاً وهي :

هنيئاً للانام وللإمام، كريم يستفيد على كرام
مرجى للخلافة، وهو ماء، ومأمولاً لآمال عظام
اضاء على كريمته ضياه، فلم تعلم بغاشية الظلام
ولم لا يستضاء بجانيبها، وبين ضلوعها بدر التام ؟
قال : فلما ولدت جاريته جعفر ابنها هشاماً الملقب بالمؤيد،
بشر الخليفة الحكم بطلوعه، وجعفر بن عثمان عنده في خلوة،
فارتاح لارتياحه، فقال على البديع يهنئه :

اطَّلَعَ البدر من حجابِه ، واطَّرد السيف من قرابِه
وجاءنا وارث المعالي ، ليثبت الملك في نصابِه
بشَّرنا سيد البرايا بنعمة الله في كتابِه
لو كنت أعطي البشير نفسي ، لم أقض حقاً لما أتى به

وفيها كملت القبة المبناة على المحراب في الزيادة بالمسجد ،
وذلك في شهر جمادى الآخرة منها .

وفيها شرع في تنزيل الفسيفساء بالمسجد الجامع ، وكان ملك
الروم بعث بها الى الخليفة الحكم ، وكان الحكم قد كتب له في
ذلك وأمره بتوجيه صانعها اليه ، اقتداءً بما فعله الوليد بن عبد
الملك في بنيان مسجد دمشق ، فرجع وفد الحكم بالصانع ، ومعه
من الفسيفساء ثلاث مائة وعشرون قنطاراً بعث بها ملك الروم
هدية ، فأمر الحكم بانزال الصانع والتوسيع عليه ، ورتب معه جملة
من ماله ليعلم الصناعة ، فوضعوا ايديهم معه في الفسيفساء
المجلوبة ، وصاروا يعملون معه فابعدوا وأربوا عليه ، واستمرُّوا
بعد ذلك منفردين دون الصانع القادم اذ صدر راجعاً عند
الاستغناء عنه بعد أن أجزل له المستنصر الصلة والكسوة .

وتداعى الى هذه البنية كل صانع حاذق من أقطار الارض ،
وركب الحكم المستنصر بالله في العشر الوسط لشوال من الزهراء
الى الجامع ، ودخله ونظر الى الزيادة وما تمَّ فيها ، وأمر باقتلاع

السواري الأربع التي كانت في عضادة المحراب القديم الفائقة ،
التي لا نظير لها ، وصيانتها الى ان توضع في المحراب الجديد عند
اتقان إحكامه وإكماله .

وفي سنة ٣٥٥ في المحرم أمر بوضع المنبر القديم الى جانب
المحراب ، ونصب المقصورة القديمة ، ونصب في قبلة هذه
الزيادة مقصورة من الخشب منقوشة الظاهر والباطن ، مشرفة
الذروة ، طولها خمسة وسبعون ذراعاً ، وعرضها اثنان وعشرون
ذراعاً ، وعلوها الى الشرفات ثمانية أذرع ، وكان الفراغ من هذه
الزيادة ونصب المقصورة في رجب من السنة .

وفي يوم الجمعة لثمان خلون منه قرىء كتاب فتح من
قِبَل سعادة الجعفري ، القائد بمدينة الفرج ، يذكر ما فتح الله له
وأتيح على يديه من اعداء الله المشركين .

وفي يوم الأربعاء لأربع خلون من ربيع الاول منها نفذت
الكتب الى عمال الثغر الأدنى والأقصى في ارتباط الخيل
والتكشير منها وجودة القيام عليها ، لما يؤمل من الجهاد
بِعون الله .

وفي يوم الجمعة لثلاث خلون منه قرىء بقرطبة والزهاء
كتاب فتح ورد من قِبَل الوزير يحيى بن هاشم ، وكتاب فتح
ورد من قبل سعد الجعفري ، وكتاب فتح ورد من قبل حريز

ابن هابل يذكرون ما منحهم الله وفتح على أيديهم من قبل
أعداء الله المشركين، وان كل واحد منهم نهض إلى ما قبله من
بلادهم، فقتل وسبى واكتسح وأشجى وانصرف سالماً غانماً .
وفي أول رجب منها ورد كتاب من قصر أبي دانس على
المستنصر بالله يذكر فيه ظهور اسطول المجوس ببحر الغرب،
بقرب هذا المكان، واضطراب أهل ذلك الساحل كله لذلك، لتقدم
عادتهم بطروق الأندلس من قبله فيما سلف، وكانوا في ثمانية
وعشرين مركباً، ثم ترادفت الكتب من تلك السواحل
بأخبارهم وانهم قد اضرخوا بها ووصلوا إلى بسيط اشبونة،
فخرج اليهم المسلمون ودارت بينهم حرب استشهد فيها من
المسلمين، وقتل فيها من الكافرين، وخرج اسطول اشبيلية،
فاقتحموا عليهم بوادي شلب وحطموا عدة من مراكبهم،
واستنقذوا من كان فيها من المسلمين، وقتلوا جملة من المشركين
وانهزموا اثر ذلك خاسرين، ولم تزل أخبار المجوس تصل إلى
قرطبة في كل وقت من ساحل الغرب إلى ان صرفهم الله تعالى .
وفيها أغزى الحكم القائد غالباً، ففتح الله له في المشركين
وانصرف سالماً غانماً .

وفيها أمر الحكم لابن فطيس بإقامة الاسطول بنهر قرطبة،
واتخاذ المراكب فيها على هيئة مراكب المجوس، أهلكتهم الله،
تأميلاً لركوبهم إليها .

وفي سنة ٣٥٦ عهد الخليفة الحكم بمخاطبة العمال بكور
الاندلس ، يعنفهم على جرائمهم ويحذرهم من سطوته وعقوبته ، اذ
اتصل به ان بعضهم قد استزادوا زيادات فاحشات يعاملون بها
الرعية ظلماً لهم ، فانكر ذلك عليهم .

وفيها كانت غزوات للمسلمين انجلت عن هزائم المشركين .
وفيها ولى أمير المؤمنين الحكم محمد بن عبد الله بن أبي عامر ،
الذي رأس بعد وتلقب بالمنصور ، وكالة أبي الوليد هشام بن
الحكم وفوض اليه في جميع شؤونه ، فتجرت حاله في الدولة .
وفي النصف من شوال قعد الخليفة الحكم على السرير
بالزهراء قعوداً بهيأاً احتفل فيه ، واوصل الى نفسه رسولين وصلا
من امراء الغرب الادارسة ، فاوصلا كتابيهم يذكرون انهم على
حبة صادقة ومودة مستحكمة مع التزامهم للطاعة واعتقادهم
للولاية ، فادنى رسولهم والطف جوابيهم .

وفي يوم الجمعة لاربع بقين من شوال قرىء كتاب فتح
ورد من قبل القائد غالب يذكر ما هيباً الله له في كفر قشتيلة
من القتل والأسر ، فسر الخليفة بذلك ودخلت الرؤوس قرطبة .
وفي يوم السبت بعده انفذ الخليفة الحكم كتبه الى القواد
والعمال بأقطار مملكته بانكار ما اتصل به من ان بعضهم يسفك
دماء بعض بلا عهد ولا مشورة ، وان ذلك عظم عنده وتبرأ الى
الله ممن أقدم عليه .

وفيه أجرى الماء الى سقايات الجامع والميضأتين، مع جانبيه
شرقيه وغربيه، ماءً عذباً جلبه من عين مجبل قرطبة، خرق له
الأرض وأجراه في قناة من حجر متقنة البناء محكمة الهندسة،
أودع جوفها أنابيب الرصاص لتحفظه من كل دنس، وابتدأ
جري الماء من يوم الجمعة لعشر خلون لفر من السنة؛ وفي
جري الماء الى قرطبة يقول محمد بن شخير في قصيد له :

وقد خرقت بطون الأرض عن نطف،
من أعذب الماء، نحو البيت تجريها

طهر الجسوم، اذا زالت طهارتها،
ري القلوب، اذا حرت صواديها

قرنت فخراً بأجر قلما اقتونا،
في أمة أنت راعيها وحاميها

وابتني بغربي الجامع دار الصدقة، اتخذها معهداً لتفريق
الصدقة رحمه الله تعالى. ومن مستحسنات أفعاله وطيبات
أعماله اتخاذه المؤدبين يعلمون اولاد الضعفاء والمساكين القرآن،
حوالي المسجد الجامع، وبكل ربض من ارباض قرطبة، وأجرى
عليهم المرتبات، وعهد اليهم في الاجتهاد والنصح ابتغاء وجه الله
العظيم، وعدد هذه المكاتب سبعة وعشرون مكتباً، منها حوالي

المسجد الجامع ثلاثة، وباقيها في كل ربض من ارباض المدينة ؛
وفي ذلك يقول ابن شخيص :

وساحة المسجد الاعلى مكلفة ، مكاتب الليتامى من نواحيها
لو مكنت سور القرآن من كلم ، نادتك يا خير تاليها وواعيها

ووجد بخط الخليفة المستنصر بالله : ابتدء بنيان الجامع ، صانه
الله ، يوم الاحد لاربع خلون من جمادى الآخرة سنة ٣٥١ ، وكمل
سنة ٣٥٥ ، وبلغت النفقة فيه الى مائتي ألف وواحد وستين ألفاً
 وخمس مائة وسبعة وثلاثين ديناراً ودرهم ونصف ، وقع : ونصف
(في الاصل المنقول منه هذا ، وقال انه نقله مندرساً ، ثم انه
تعرف بعد ذلك صحته من الثقات انه ونصف صحيح ، وكذلك
قال ، وقع بخط الحكم رحمه الله) .

وفي سنة ٣٥٧ في العشر الآخر من رمضان احتل الوزيران
القائدان غالب بن عبد الرحمن وسعيد بن الحكم الجعفري بجيوش
الشعر بالصائفة على حصن قلهرة ، فاقاما بساحته مدةً استظهرا بها
على تمكين بنيان الحزام فيه والزيادة في ارتفاع البرج الثامن
بذروته ، فانتھيا من ذلك الى الارادة ، وقفلا بالعسكر وقد وثقا
للحصن بالامنة .

وفي سنة ٣٦٠ في محرم قعد الخليفة المستنصر بالله على
السرير بقصر قرطبة على جري العادة من الاحتفال والزينة ،

فأوصل الى نفسه عيسى بن محمد ومحمد بن العالي وحسن بن علي
رسل بني محمد الحسينيين امراء الغرب ، فاوصلوا كتاب مرسلهم
وذكروا ما هم عليه من الطاعة ، وطلبوا بعثة رماة تقوية لهم لما
يتوقعونه من حركة قائد معدّ الشيعي نحوهم ، وتقرّبوا باهداء خيل
وجمال وغير ذلك فقبلت منهم .

وفي صدر رمضان منها وقع الارجاف بتحريك المجوس
الاردمانيين ، لعنهم الله ، وظهورهم في البحر ورومهم سواحل
الاندلس الغربية على عادتهم ، فازعج السلطان قائد البحر بالخروج
الى المرية والتأهب لركوب الاسطول منها الى اشبيلية ، وجمع
الاساطيل كلها للركوب الى ناحية الغرب .

ذكر مقتل زيري بن مناد قائد الشيعي على تاهرت

وفي يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت لشهر رمضان منها
ورد الخبر على المستنصر بالله بقتل زيري بن مناد عامل معد
الشيعي وقائده على الغرب ، قتله جعفر ويحيى ابنا علي المعروف
بابن الأندلسي المخالفان على معد ، فيمن استظهرا به عليه من
زناة ، وجدوده بناحية الغرب في حرب دارت بينهم شهدها بنو
خزر وغيرهم من رؤساء القبائل القائمين على زيري بدعوة
الحكم المستنصر بالله ، ففتح لهم في قتله أعظم الفتوح ، ووصل

على البغذازي كتاب جعفر المذكور بكتابه الى المستنصر .
وذكروا انتهاج الحرب العظيم بين أهل الدعوتين بالغرب .

ذكر خبر فراق جعفر بن علي المعروف بابن الاندلسي صاحب المسيلة
لمعد بن اسمعيل الشيعي صاحب افريقية، وتقربه الى الحكم المستنصر
بانضمامه الى زناتة المنحاشين الى دعوة بني أمية ، وتألب جماعتهم على
زيري بن مناد الصنهاجي، عامل معد الشيعي، على حرب بلاد الغرب
ومقتلهم لزيري عند انقضاؤه عليهم

صدّ لهم عن طريقهم متقربين بقتله الى الحكم، وسبق جعفر
ويحيى أخوه وذووهما بالعبور الى الاندلس مهدين رأس زيري،
خالعين للدعوة الشيعية ، متقلدين للدعوة الأموية الجماعية، فكان
لهما في ذلك قبول ورفعة عظيمة من الخليفة ، وقد ذكر محمد
ابن يوسف الوراق خبرهما ، قال :

وهما ابنا علي بن حمدون ، وجدّهما الاكبر عبد الحميد ،
كان الداخل الى الاندلس من الشام ونزل بكورة البيرة ، ثم
تنقّل حفيده حمدون جد جعفر هذا الى بجاية ، وصحب أبا
عبد الله الشيعي الداعي ودخل في مذهبه ، فلما تغلب الشيعي
على افريقية ظهر علي بن حمدون ، ثم ازداد ظهوراً في أيام
عبيد الله المهدي وحظوة ، وضمّه الى ابنه أبي القاسم ولي عهده ،
فازداد حظوة لديه وخرج معه الى ارض الغرب ، فأمره ببناء

مدينة المسيلة ، وولاد عليها ، فبقي بها الى ان هلك في فتنة أبي
 يزيد ، سقط من جرف عال اندقت يداه ورجلاه سنة ٣٣٤ ،
 وتولى جعفر هذا ابنه المسيلة من بعده ، فلم يزل متولياً لها
 رفيع المنزلة عند سلطانه الى ان قتل محمد بن الحخير بن خزر
 الزناتي ، القائم بدعوة بني أمية ، زيري بن مناد ، فخاف جعفر
 من صاحب افريقية فبادر الى الفرار بنفسه مع أخيه يحيى
 وجميع اهله وماله سنة ٣٦٠ ، فصار عند بني خزر امراء زناتة ،
 فشق جعفر الصحراء معهم قاصدين لزيري ، فالتقوا معهم ودارت
 بينهم حرب صعبة انجلت عن قتل زيري وخلق من رجاله ،
 واحتوى الزناتيون فيها على جميع عسكر زيري وأدر كوا ثأرهم
 منهم ، ولما ان تم الامر لامراء زناتة وجعفر بن علي على ما املوه
 من الفتح في عدوهم زيري بن مناد ، بادر جعفر بمراسلة الحكم الى
 الاندلس ملقياً بنفسه عليه معتصماً بدعوته ، ثم ارسل اليه أخاه
 يحيى ، ثم سار اليه بنفسه فحظي عنده .

وقال ابن حمادة : وفي ربيع الآخر من سنة ٣٦٠ التقى
 يوسف بن زيري الصنهاجي المشتهر اسمه ببلقين مع محمد بن الحخير ،
 أمير زناتة ، فهزمه بلقين بن زيري وقتل جماعة من أهله ورجاله ،
 فلما ايقن محمد بن الحخير ان عدوه قد أحاط به اتسكأ على سيفه
 فذبح به نفسه أنفةً من أن يملكه بلقين ، فأتى بأمر عظيم طار

ذكره بأرض الغرب ؛ وملك بلقين بن زيري، أثر ذلك، الغرب
وقتل زناته وهدم مدينة البصرة ولم يثن عناناً عن مدينة سبته
ومنها رجع وإليها كان انتهاؤه ، وصدر عاجزاً عنها .
وفي ذي القعدة منها خاطب المستنصر بالله قواده وعماله
بكور الاندلس في استقدام كبارها واعلام رجالها لمشاهدة
دخول يحيى بن علي بن حمدون وبني خزر امرأ زناته، القادمين
برأس زيري بن مناد الصنهاجي قائد معد بن اسمعيل الشيعي،
وبرؤوس اعيان اصحابه ، فلما كان يوم الثلاثاء لاحدى عشرة
ليلة خلت من ذي القعدة منها خرج صاحب السكة والمواريث
وقاضي اشيلية محمد بن أبي عامر لتلقّي جعفر بن علي ويحيى
أخيه، ومعه اربعة من عتاق الخيل وبغل أشهب منتقاة من دواب
الخليفة بسروج الخلافة ولجمها، ومعه الاخبية الديباجية وغير
ذلك، فاحتلّ ابن ابي عامر بالمرسى، الذي خرج فيه جعفر، وبمقربة
من مالقة ، ثم وصل بعد ذلك للوافدين خيل وبغال من قبل
الخليفة وهوادج وكسوات وعماريات لعيال جعفر ، ثم قدموا
الى قرطبة ببروز عظيم واحتفال لدخولهم جسيم ، حتى وصلا
الخليفة ؛ وقد ذكرت الشعراء شأن فراق جعفر واخيه يحيى
لسلطانهما معد بن اسمعيل ومسيرهما الى الخليفة الحكم واعترافهما
بحقه ، فيما مدحت به الخليفة الحكم واكثر في ذلك ، وقال
يوسف بن هارون :

ولقد عَجِبْتُ لَغَفلةِ المستنصر ،
اذ أَكثَفَ الجيشَ اللّهُامَ لَجَعْفَرِ
ولو انَّ مَنْ أَهْوَاهُ أَبْرَزَ وَجْهَهُ ،
قامت لَوَاحِظُهُ مقامَ العسْكرِ

وفي يوم السبت لليلتين بقيتا من ذي القعدة منها جلس
الحليفة الحكم فوق السرير جلوساً بهيئاً ، واصل الى نفسه اجناد
الكور ووجوه اهلها الذين استدعاهم لمشاهدة جعفر بن علي
ومن أتى معه من امراء زناته ، وأمرهم بالانصراف الى بلادهم ،
فانصرف جند دمشق ، وهم أهل البيرة ، وجند حمص ، وهم أهل
كورة اشيلية ، وجند قنسرين ، وهم أهل جيان ، وجند فلسطين ،
وهم أهل شدونة ، وغير هؤلاء .

وفي سنة ٣٦١ هاجت بالغرب حروب مع حسن بن قنون
الحسني وقواد الحكم المستنصر بالله .

ذكر أخبار حسن بن قنون الحسني أمير
الغرب مع قواد الاندلس في هذه السنة

كان المستنصر بالله دعا محمد بن قاسم الناظر في الحشم وأمره
بالخروج الى مدينة سبته في رمضان من هذه السنة ، قائداً على
من يرضه اليه من طوائف الأجناد ، للذي بدأ من نقض حسن

ابن قنون وانخرافه الى دعوة معد ، صاحب افريقية ، واستدعائه
من دنا منه من أحزابه ، مستعيناً بهم فيما اعتزم عليه من نفاقه
على الحكم ، واعلانه بايقاع الدماء للشيعي معد على منابر عمله ،
فأوصى الحكم قائده محمد بن قاسم باستعماله جدّه وجهده في
مغاورة ابن قنون ، وأمره إن أظهره الله تعالى أن يأخذ بالعمو
والصفح واصلاح البلاد واستصلاح الرعية ، وأمره أن يستعين بمن
دخل في الطاعة الاموية؛ فكان عبوره البحر الى سبتة لاحدى
عشرة بقيت من شوال منها ، وتكاملت الجيوش والاساطيل
بسبتة .

وفي يوم السبت لاربع خلون من ذي القعدة ورد كتاب
على المستنصر بالله بفتح طنجة، فتحها قائده على البحر عبد الله بن
رياحين، يذكر انه نازلها بالاسطول غرة ذي القعدة، ودعا أهلها الى
الطاعة والعود الى الجماعة، فاسأوا الردّ عليه، وكان حسن بن
قنون داخلها يشدّ عزائمهم؛ فلما كان يوم الخميس خرج حسن
لقتال العسكر الخارج اليه من سبتة الى تطوان، وأبرز من طنجة
عدداً كثيراً من جنده الغربيين وانصاره، فانهزموا امام جيش
الحكم وولوا مديريين، فلما رأى ذلك حسن فرّ هارباً في خاصة
من أصحابه لا يلوي على أحد، ولم يعرج على ما كان له ولاصحابه
بطنجة من أموال وأخبية وامتعة، فلما أمعن في فراره وأسلم

أهل طنجة خرج شيخهم ابن الفاضل الى القائد ابن رياحين مع
 جماعة وجوه طنجة ، وهم ينادون : الطاعة لله ولأمير المؤمنين
 الحكم ، ثم تقدم ابن الفاضل الى القائد الفاضل وطلب منه
 الأمان لأهل بلده ، فأعطاه إياه ودخل طنجة ونهب ما كان بها
 لحسن بن قنون وأصحابه ، وانفذ القائد كتابه بالفتح الى الخليفة .
 وورد كتاب القائد محمد بن قاسم على المستنصر بالله لتسع بقين
 من ذي القعدة يذكر انه التقى مع حسن بن قنون فدارت
 بينهما حرب شديدة أجلت عن هزيمته ، وقتل كثير من شيعته ،
 وفرّ فبمن بقي معه الى جبل حصين ، فتبعه الجند وانقضوا عليه ،
 فدارت بينهم حرب يسيرة ثم انهزم أيضاً وخلف أثقاله وفرّ لا
 يلوي على شيء ، فصار الجبل بأيدي الجند ونهبوا ما فيه ، ثم
 نهضوا في اليوم الثاني الى مدينة دلول ، ففتحها الله لهم ولحق بهم
 القائد محمد بن قاسم في العسكر ، فقصد مدينة أصيلا فدخلها
 ودخل القائد الى جامعها فوجد فيه منبراً جديداً موسوماً باسم
 الشيعي معد بن اسمعيل ، فأمر باحراقه بالنار بعد ان خلع من
 أعلاه اللوح المنقوش فيه اسم معد ؛ وكان فيه من الغلو ما في
 ذكره أمر كبير ، فأمر باقتلاعه وأرسله مع كتاب الفتح الى
 المستنصر ، وانصرف العسكر الى مدينة دلول ، فأمر بهدم أسوارها
 وتضريم بيوتها ناراً وتركها عبوة ، واستولى العسكر على ما كان

بها واستوسعوا في اطعمتها وما ترك فيها حسن المذكور .
 وفي سنة ٣٦٢ قتل القائد محمد بن قاسم بفحص مهران على
 يدي حسن بن قنون، يوم الأحد لسبع بقين من ربيع الأول ،
 وقتل في ذلك اليوم جملة من الجند الذين كانوا معه نحو الخمس
 مائة من الفرسان الاندلسيين الأنجاد، ومن الرجال نحو الالف .
 وفي غرة جمادى الآخرة دخل الى قرطبة جمع من مصمودة
 ممن كان مع حسن بن قنون، وهم سبعون رجلاً نزعوا الى الطاعة .
 وفيها استدعى المستنصر بالله غالب بن عبد الرحمن ، وأمره
 بحرب حسن بن قنون الحسني عندما تفاقم أمره وقتل الحنا
 وورد على المستنصر بالله كتاب فتح من قبل القواد بمدينة
 أصيلاً أنهم التقوا مع حسن بن قنون ، فدارت بينهم حرب
 شديدة انهزم فيها حسن وقتل كثير من حماته . وقدم الى
 قرطبة حنون بن ادريس صاحب مدينة العدو الاندلسية من
 فاس ، ورسول عبد الكريم صاحب مدينة القرويين من فاس،
 يرغبان في طاعة أمير المؤمنين المستنصر والقيام بدعوته ، فكرم
 رسولهما واجمل موعودهما .
 وفي شعبان منها خطب القائد غالب بانه بعث اليه بعشرة
 آلاف دينار لصلات الخارجين اليه من اصحاب حسن بن قنون،
 يوزعها عليهم بحسب مقاديرهم ، وقرن بها من فاخر الكسوة
 والسيوف المحلاة عدد كثير للخلع عليهم .

وفيهما ارسل المستنصر بالله الوزير يحيى بن محمد التجيبي الى الغرب بعسكر مدداً للقائد غالب ، وجامعاً ليلد معه على الخالع للطاعة حسن بن قنون ، فكان ذلك في خبر طويل .

وفي اواخر ذي القعدة ورد على المستنصر كتاب القائد غالب يذكر صنع الله تعالى في افتتاحه حصن الكرم ، وهرب المخذول عنه حسن بن قنون مع صهره صاحب البصرة علي بن خلوف وغيرهما .

وفي منتصف ذي الحجة ورد كتاب صاحب الشرطة قاضي القضاة بالغرب محمد بن ابي عامر يذكر تعيينه الناس يوم الخميس ، وقيام الخطبة في المصليات هنالك للمستنصر بالله ، وسرور المسلمين بذلك وابتهاجم به .

وفيهما كانت حروب مع الحسينيين يطول ذكرها انجلت عن مقتل خلق كثير من أصحاب حسن بن قنون الحسيني ، وحز من رؤوس مشاهيرهم مائة رأس ، وترك اكثرهم صريعاً ، وقتل في الهزيمة محمد بن أبي العيش الكناني .

وفي سنة ٣٦٣ افتتح غالب قائد الحكم المستنصر بالله مدينة البصرة ، التي كان انتزى فيها محمد بن حنون الحسيني ، وذلك ان أهل البلد قاموا عليه وقتلوا نائبه وخليفته عليهم ، وابتعدوا لمخاطبة القائد غالب يستجلبونه اليهم ، فوصلهم وملك المدينة ،

وخطب الخليفة بجزيرتها ، وأدرج كتاب أهلها طي كتابه .
وفي يوم الخميس منتصف صفر ورد كتاب غالب على
المستنصر يذكر منصرفه عن بلد البصرة واخذه رهنهم ، ويذكر
انه قد صار الى الطاعة جميع أهل الغرب وعامة قبائل البربر ،
ولم يبق فيه غير الحائض حسن بن قنون ، وانه قد صار من ضيق
أمره في غمة ، ووصل أهل البصرة الى قرطبة الدافعين لأمرهم
حسن ، الداخلين في الطاعة .

وفيها ورد الخبر السار على المستنصر بالله باذعان الحسن بن
قنون الحسين ودخوله في طاعته ، وشهد صلاة الجمعة منسلخ
جمادى الآخرة ، فقع بجامع قرطبة وأعلم الوزراء بخضوع حسن
ابن قنون المنتزي عليه بالغرب ، وانه ورد عليه كتاب غالب
بذلك ، وانه موجه اليه ابنه علي بن حسن المذكور ، وان الخطبة
قامت بدعوته في قلعة حجر النسر ، فاستبشر الوزراء وهنأوه
وغبطوه وأعلنوا بالشكر لله تعالى والدعاء للخليفة ، وأطالوا
في ذلك .

وفي سنة ٣٦٤ قدم على المستنصر قائده غالب بن عبد الرحمن
قافلاً من عدوة الغرب ، ومعه حسن بن قنون وشيعته بنو
ادريس الحسينيون ، ملوك الغرب المستزلون من معاقلمهم ، الى
الأندلس حافّين بشيخهم المشتهر بجنون ، واسمه احمد بن

عيسى صاحب مدينة الاقلام وما والاها ، ومعه اخوته وبنو عمه
وبنوهم واهلهم ، فأمر باحتال هؤلاء الأشراف من المحلة ، في
ظلام ليلة الخميس لاربع خلون من المحرم ، الى الدور التي
اخليت لهم بقرطبة ، فارسل القوم معهم ثقاتهم من فتيانهم
ومواليهم حتى ادتهم الى الدور المعدة لهم ، بعد ان فرشت
مجالسها بشيء يطول ذكره .

وفيهما كان اعتلال الخليفة الحكم في ربيع الأول ، واحتجب
عن جميع مملكته الى ان تخفف وصبه ، وظهر لحاضته يوم الجمعة
لليلة بقيت من ربيع الآخر منها ؛ وفي عقب ربيع المذكور اعتق
الحكم نحواً من مائة رقبة من عبيد له ، فيه لبعضهم تدبير ولباقهم
عتق بئس وموَجَّل ، خلص به جميعهم من الرق ، وعقدت بذلك
وثائق ، فكان اول من أوقع شهادته فيها أبو الوليد هشام بن
الحكم ، ثم الفقهاء أهل الشورى ، ثم العدول .

وفيهما حبس الحكم حوانيت السرّاجين بقرطبة على المعلمين
لأولاد الضعفاء .

وفيهما اسقط الحكم سدس جميع المغارم عن الرعايا بجميع
كور الاندلس شكراً لله على إنصاره له .

وفيهما كان جيشان العدو ، خذله الله ، ومنازلته بعض حصون
المسلمين .

وفيهما كان الظفر بأبي الاحوص معن بن عبد العزيز التجيبي،
فقبض عليه رشيق وبعثه مكبولاً الى قرطبة مع عشرة من
أصحابه، وكان يظاهر المشركين ويدلّهم على عورات المسلمين،
فأخذه الله .

وفي سنة ٣٦٥ خرج من قرطبة جعفر ويحيى ابنا علي بن
حمدون بن الاندلسي قائدين الى الغرب من العدو، وبين ايديهما
الألوية والطبول ، مُزِيلَيْن للوزير يحيى بن محمد بن هاشم .

وفيهما كان الاعلان ببيعة أبي الوليد هشام بن الحكم ، وان
تؤخذ له من الخاصة والعامة بقرطبة وسائر كور الاندلس، وما
الى طاعته من بلاد الغرب ، وذكره في الخطبة على المنابر في
الجمعة والأعياد، وذلك مستهل جمادى الآخرة؛ فعد أمير المؤمنين
الحكم بقصره وافتتح الكلام بما عزم عليه من تقليد ابنه عهداً
الخلاقة من بعده، فالتزمت بيعته، وأخرجت نظائر من كتب
البيعة ليوقع شهادته كل من التزمها ، وتولى اعطاؤها للناس على
مراتبهم المنصور محمد بن أبي عامر، وهو يومئذ صاحب الشرطة
والمواريث ، وميسور الفقي الجعفري الكاتب .

وفيهما خرج الوزير يحيى بن محمد بن هاشم قائداً الى
سرقسطة وبين يديه الطبول والبندود .
وفيهما نفذ عهد الحكم الى الوزير صاحب المدينة جعفر بن

عثمان المصنفى باطلاق أبي الأحوص التجيبي من سجن المطبق مع
اصحابه ، فصصح الحكم عنهم .

وفي سنة ٣٦٦ توفي أبو علي البغذازي صاحب النوادر المعروف
بالقالي ، منسوب الى قالي قلا من ديار الشرق .

وفيه مات محمد بن يحيى النحوي وأبو مروان الأديب
المرادي وعبد الملك بن سعيد، فكانت تسمى سنة الأدباء؛ وكمل
بناء المسجد سنة ٣٦٥، وكان المنبر الذي صنعه الحكم مدخلا من
عود الصندل الاحمر والاصفر، والابنوس، والعاج، والعود الهندي،
قام على الحكم رحمه الله بخمسة وثلاثين الف دينار وسبع مائة
دينار وخمسة دنانير، وكان تمامه في خمسة اعوام؛ ووجد بخط
المستنصر بالله تاريخ وفاة قاضيه وقاضي أبيه منذر بن سعيد
البلوطي ، وانه توفي يوم الخميس لليلتين بقيتا من ذي القعدة
من سنة ٣٥٥، وكان مولده سنة ٢٧٣، فكان عمره ٨٢ سنة، وكان
في هذا القاضي منذر دعاية يعرض بها ويتعرض له بها، فكتب
اليه قوم من أهل المجانة والظرف :

قل لقاضي الجماعة البلوطي:

ما ترى في خريدة كالحطوط

... للثواب قوم ظراف ،

هل ترى سيدي بذا من سقوط ؟

فوقع لهم في كتابهم «لا» مفردة، فقال له من حضر: ما هذا؟
فقال: اردتُ لا أرى ذلك. فقالوا: لا يفهم عنك الا غيره. فقال:
كل يجاوب على معتقده؛ فكان له رحمه الله نوادر مستحسنة
وغرائب مستملحة.

ذكر اتصال محمد بن أبي عامر بخدمة الحكم المستنصر

قال بعض المؤرخين: كان اتصال ابن أبي عامر بالحكم، فيما
حدثني به ابن حسين الكاتب والاديب أبو اسحاق بن محمد
الافليلي وغيرهما من المشيخة، ان الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي،
القائم بدولة الحكم، خلا في بعض الايام بالقاضي محمد بن اسحق
ابن السليم، فشكا اليه ابن السليم شجوه بمحمد بن أبي عامر، ووصف
له حاله، فلما طلب الحكم له وكيلاً لولده عبد الرحمن الدارج في
حياته، ذكر له جعفر ابن أبي عامر بنخير، ووصف لأمّ عبد الرحمن
جماعةً اختارت منهم ابن أبي عامر، وذلك باختيار جعفر له،
فنصبه الحكم لخدمتها وخدمة ابنها عبد الرحمن.

فلما مات عبد الرحمن بقي في خدمة امّه السيدة، وكانت
قد ولدت هشام بن الحكم، فعصر فابن أبي عامر لوكالته، وكان
تقدّمه أولاً لوكاله الولد عبد الرحمن يوم السبت لتسع خلون
من ربيع الاول سنة ٣٥٦، واجري عليه في ذلك الوقت

خمسة عشر ديناراً في الشهر مرتباً بالوازنة ، فبدأ من نصحه وحسن نظره ما عرف له ، ثم استأثر الله بعبد الرحمن فصرف الى وكالة هشام يوم الاربعاء لاربع خلون لرمضان سنة ٣٥٩ .

وكان قد تقدم للنظر في امانة دار السكة يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت لشوال من سنة ٣٥٦ ؛ كانت ولايته اولاً للوكالة ، وأضاف له الخزانة ، ثم قدمه على خطة المواريث يوم الخميس لسبع خلون من المحرم سنة ٣٥٨ ، واستقضاه على كورة اشبيلية ولبلبة وأعمالها يوم الأربعاء لاثني عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة ٣٥٨ المذكورة .

وفي سنة ٣٦١ قدّم الحكم المستنصر بالله محمد بن أبي عامر على الشرطة الوسطى في جمادى الآخرة وبعث به الى الأمانات بالعدوة ، فاستصلحها واستمال أهلها ، وجعله قاضي القضاة بالغرب من العدوة ، وأمر عماله وقواده ألاّ ينفذوا شيئاً دونه الا بمشورته ، ثم أضاف اليه الحكم النظر في الحشم ، وهو في علقته التي مات فيها بالفالج .

وقيل أيضاً ان سبب ظهوره كان خدمته للسيدة صبح البشكنشية ام عبد الرحمن وهشام ، فكانت اقوى اسبابه في تنقيح الملك عما قليل ، فانه استمال هذه المرأة بحسن الخدمة وموافقة المسرة وسعة البذل في باب الاتحاف والمهاداة ، حتى

استهواها وغلب على قلبها ، وكانت الغالبة على مولاها ، وابن
ابي عامر يجتهد في برها والمثابرة على ملاطفتها ، فيبدع في ذلك
ويأتيها بأشياء لم يعهد مثلها ، حتى لقد صاغ لها قصراً من فضة ،
وقت ولايته ، عمل فيه مدة وانفق فيه مالاً جسيماً ، فجاء
بديعاً لم تر العيون اعجب منه ، وحُمل ظاهراً لأعين الناس
من دار ابن أبي عامر ، وشاهد الناس منه منظراً بديعاً لم تر
العيون اعجب منه ، فتحدثت الناس بشأنه دهرأ ، ووقع من
قلب المرأة موقعاً لا شيء فوقه ، فتزَيَّدت في بوه وتكفَّلت
بشأنه حتى تحدث الناس بشغفها به .

وقال الحكم يوماً لبعض ثقاته : ما الذي استلطف به هذا
الفتى حرماً حتى ملك قلوبهن مع اجتماع زخرف الدنيا عندهن ،
حتى صرن لا يصفن الا هداياه ولا يرضيهن الا ما أتاه ! انه
لساحر عليم أو خادم لبيب ، واني لحائف على ما بيده .

ثم سُعي به الى الحكم وقيل عنه انه قد أسرع في مال
السكة الموقوف قبلكه ، فأمره الحكم باحضاره ليُشاهد سلامته ، فظهر
الاسراع الى ذلك ، وقد استملك جملة من الاموال ، فالتقى نفسه
في جبرها على الوزير ابن جدير في إسلافه اياها ، وكان صديقاً له ،
فياسرَه فيه وحمل المال اليه من وقته ، فتم به ما قبلكه ، وارتفعت
الظنَّة عنه ، فاكذب الحكم ما وقع اليه عنه وازداد عجباً به

واقرّه على حاله ، فردّ ابن أبي عامر المال لابن جدير من حينه
ولصق بالحكم ، وصار في عداد كفاته .

واشتغل قلب الحكم آخر أيامه بامر العدو ومن جرده اليها
من عساكره لحرب الادارسة وغيرهم ، واغتمّ لما خرج من يده
في ذلك الوجه من الاموال ، فقلد ابن أبي عامر قضاء القضاة
بها وجعله عيناً على العسكر ، وأوعز اليه في مهمّاته ، فسار
ابن أبي عامر الى هنالك ، فحمدت آثاره ، وصحب حينئذ وجوه
العسكر وأشياخ القبائل وملوكهم ، فكان أول ظهوره تلك
الحركة . وبعد رجوعه منها لم يزل يزداد نبلاً ويرتقي منزلة ،
وهو مع ذلك كله يغدو الى دار جعفر بن عثمان المصحفي وزير
الدولة ويروح ، ويحتصّ به ويدعي نصيحته .

وفي سنة ٣٦٦ توفي الحكم المستنصر بالله بعد اتّصال علته ،
وجعفر بن عثمان يدير سلطانه الى حين وفاته ليلة الاحد لثلاث
خلون لرمضان من السنة المؤرخة .

خلافة هشام بن الحكم

ابن عبد الرحمن الناصر والدولة العامرية

نسبه : تقدم في خلافة أبيه وجده .

كنيته : أبو الوليد .

لقبه : المؤيد بالله .

أمه : صبح البشكنشية أم ولد ، وكان سيدها الحكم يسميها بجعفر ، وكانت معتبة عند مولاها ، وتوفيت في خلافة ابنها هشام .

بويع له يوم الاثنين لاربع خلون من صفر سنة ٣٦٦ بعهد من أبيه ، وهو ابن احدى عشرة سنة وثمانية اشهر .

وخلع يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة سنة ٣٩٩ ، فكانت خلافته الاولى الى ان قامت الفتنة ثلاثاً وثلاثين سنة واربعة اشهر وعشرة ايام ، وفي الخلافة الثانية سنتين وعشرة اشهر ، الجميع الذي كمل له في المرتين : ست وثلاثون سنة وشهران وعشرة ايام .

صفته : ابيض اشهل اعين خفيف العارضين ، لحيته الى الحمرة ، حسن الجسم قصير الساقين مائل الى العبادة والانقباض ، مقبل على تلاوة القرآن ودرس العلوم ، كثير الصدقات على أهل الستر من الضعفاء والمساكين .

قضاته : محمد بن السليم ، ألفاه قاضياً لآبيه فآقره على ولايته ،
ثم ابو بكر بن زرب ، ثم محمد بن يحيى التميمي ، عرف بابن بوطال ،
وغيرهم .

نقش خاتمه : هشام بن الحكم بالله يعتصم .
وتولى عقد الشهادة على الناس في البيعة بين يديه وكيـله
وصاحب شرطته الوسطى والسكة والمواريث ابو عامر محمد
ابن ابي عامر ، بعدما كان قاضي الجماعة محمد بن اسحاق بن
السليم يأخذها على من شهد المجلس من الاعمام وابنائهم
والوزراء وطبقات اهل الخدمة ورجالات قريش واعلام اهل
الحضرة .

فلما كان يوم السبت السادس من جلوس هشام ، وهو العاشر
لصفر سنة ٣٦٦ ، قلد الخليفة هشام حجابته وزير ابيه الاخض ابا
الحسن جعفر بن عثمان المصفي ؛ وفي هذا اليوم انقض الخليفة
هشام محمد بن ابي عامر الى خطة الوزارة ، نقله اليها عن شرطته
الوسطى ، واجراه رسيلاً لحاجبه جعفر في تدبير دولته ، فماده
محمد شأواً ، وجرى الى غاية برز فيها دونه سابقاً في الحلبة ،
وتخلّف جعفر عن مداه .

ومن اخبار جعفر بن عثمان المصنفى

هو ابو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله
ابن كسيلة القيسي، كان لطيف المنزلة من الحكم المستنصر بالله،
قديم الصبغة، قريب الخاصة، وكان اول سبب تأديب والده عثمان
ابن نصر للحكم في صباه، واستخدمه في ايام والده الناصر،
واستكتبه ورفاه الى خطة الشرطة الوسطى والنظر في عدة من
الأعمال والكور، فلما افضت الخلافة الى الحكم قلده بعد ثلاثة
ايام من خلافته خطة الوزارة، وامضاه على الكتابة الخاصة، ثم
جمع له الكتابة العليا بالخاصة، وولى بنيه الاعمال الكبار؛ وكان
جعفر بن عثمان احد شعراء الأندلس المحسنين المتصرفين في
انواع الشعر من المديح والافاض والغزل، غاية في كل ذلك،
في الرقة والابداع والحسن، وقد تقدم قوله مرتجلاً: هنيئاً للامام
واللانام؛ وقوله مرتجلاً: تطلع البدر من حجابيه، وغير ذلك.
قال ابن بسّام: كان جعفر بن عثمان رجلاً بلغ المنتهى،
وسوّغ برهة من دهره ما استهى، دون مجد تفرع من دوحته
ولا فخر نشأ بين مغداه وروحته، فسمادون واسطة،
وارتمى الى رتبة لم تكن لبنيته مطابقة، فلم يزل يستقل
ويضلع، وينتقل من مطلع الى مطلع، حتى التاح في افق
الخلافة، وارتاح اليه معطفها كنشوان السلافة، وصحب

الامام وانسكب برأيه ذلك الغمام ، فأدرك بذلك ما أدرك
ونصب لأمانيه الجبائل والشرك ، واقتنى وادّخر وازرى
بمن سواه وسخر ، واستعطفه محمد بن ابي عامر ، ونجمه غائر لم
يلح وسره مكتوم لم يبيع ، فما اقبل عليه ولا عطف ، ولا جنى من
زهرة دنياه زهرة امل ولا قطف ، واقام في تدبير الاندلس ،
وهو يجري من السعد في ميدان رحب ويكرع من العز في
مشرب عذب ، وكان له ادب بارع وخاطر الى نظم المحاسن
مسارع ، فمن ذلك ما بعثه عليه ايناس دهره واسعاده ، وقال
حين ألهته سلماه وسعداه :

لعينك في قلبي عليّ عيون ،
وبين ضلوعي للشجون فنون

لئن كان جسمي مخلقاً في يد الهوى ،
فحبك غض في الفؤاد مصون

وله ، وقد اصبح يوماً عاكفاً على حياّه ، هاتفاً باجابه دنياه ،
مرتشفاً ثغور الانس متنسماً رياه ، والمملك يغازله بطرف عليل ،
ويبرم من انسه كل محيل ، والسعد قد عقد عليه اي الكليل ،
يصف لون مدامه ، وما يعرف منها دون ندامه ، فقال :

صفراء تهرق في الزجاج ، فان سرت
في الجسم دبت مثل صِلّ لاذع

عبث الزمان بحسنها ، فقتلت
عن عينه في ثوب نور سابغ
خفيت على شرابها ، فكأنما
يحدون رياءً في إناء فارغ

واستمر في حجابته ، ومر بين سمع الدهر وجابته ، ونفوس
العلية من تناهي حاله متغيرة ، وفي تكثف سعده متحيرة ، ولم
يزل بنجاد تلك الخلافة معتقلاً ، وفي مطالعها منتقلاً ، الى ان
توفي الحكم ، فانقسم عقده المحكم ، وانبرت اليه النوائب ،
وتسددت له الخطوب بسهام صوائب ، واستولى عليه الكسل ،
واسرعت اليه الذوابل والاسل ، وتعاوره الادبار ، وساوره
من المكروه ما فيه اعتبار ، وانتقل الى المتصور ذلك الامر
واختص به كما اختص بيزيد اخوه الغمر ، وانا في تلك
الخلافة كما شب قبل اليوم عن طوقه عمرو ، فاعتقل بتلك النجاد ،
واستبد به دون اولئك الاجداد ، وانبرى الى المصحفي بصدر
كان قد اوغره ، وجدّ سام طالما استقصره ، فأباده ونكبه ،
وسلب جاهه وانتبه ، واقتص من تلك الاساءة ، واغص
حلقة بكل مساءة ، وألب جوانحه حزناً ، ونهب له مدخراً
ومختزناً ، ودمر عليه ما كان حاط ، وأحاط به من مكروهه
ما أحاط ، فبقي سنين في مهوى النكبة وجوى تلك الكربة ،

ينقله المنصور معه في غزواته ، ويعتقله بين اظفار التضييق
او في لهواته ، وهو يستعطف ويستميل ، فلا يتحقق له رجاء
ولا تأميل ، الى ان تكوَّرت شمسُه ، وفاضت بين انياب
المحن نفسه ، فاغتيل في المطبق ، ونفذ فيه امر الله وسبق .

بعض اخبار المنصور محمد بن ابي عامر في ابتدائه

نسبه : هو ابو عامر محمد بن ابي حفص عبد الله بن عامر
ابن ابي عامر محمد بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن عامر
الداخل الى الاندلس مع طارق ، وكان له في فتحها اثر جميل ،
وكان في قومه وسيطاً ، وقد ذكره محمد بن حسين الشاعر العالم
باخبار الاندلس في بعض امداحه للمنصور هذا فقال :

وكل عدو انت تهدم عرشه ؛

وكل فتوح عنك يفتح بابها

وانك من عبد المليك ، الذي له

حلى : فَتَحْ قُرطاجنة وانتهايها

جباها ابو مروان جدك ، قابضاً

بكف ، تليد طعنُها وضرايها

فان سنحت في الشرك من بعد فتحه

فتوح ، فمصرف اليك ثوابها

وكان جده عبد الملك هو الذي دخل مع طارق ونزل
الجزيرة الخضراء لأول الفتح، فساد أهلها وكثر عقبه فيها، وتكررت
فيهم النباهة والوجاهة وجاور الخلفاء منهم بقرطبة جماعة ،
احدهم أبو عامر محمد بن الوليد ، الذي عرف آل عامر طرّاً به ،
وسادبعده ولده عامر ، وتقدّم عند الخلفاء ، وولي الأعمال ، ومات
بقرطبة ، وباسمه نقش محمد السكك ورقم الاعلام .

وكان عبد الله المكنى بأبي حفص والد محمد المنصور من
اهل الدين والزهد في الدنيا والقعود عن السلطان ، سمع
الحديث وادى الفريضة ومات منصرفاً من حجة بمدينة اطرابلس
المغرب ، واصهر التميميين المعروفين بقرطبة ببني برطال ، فنكح
بُويْهة بنت يحيى بن زكريا ، فولدت له أبا عامر المنصور وأخاه
يحيى ؛ وكانت ام عبد الله والد المنصور بنت الوزير يحيى بن
اسحق وزير الناصر لدين الله وطيبه ، وكان محمد هذا حسن
النشأة ظاهر النجابة ، تتفرس فيه السيادة ، سلك سبيل القضاة
في اوليته مقتفياً آثار عمومته وخوئلته ، فطلب الحديث في
حدائثه وقرأ الأدب وقيد اللغات على أبي علي البغاذي وعلى
أبي بكر بن القوطية ، وقرأ الحديث على أبي بكر بن معاوية
القرشي راوية النسائي وغيره من رؤساء أهل الشرق ، وبرع
بروعاً ادناه مع نوازع سعد وبوادر حظ من الحكم المستنصر ،

فقر به وصرفه في مهمّ الأمانات وأصنافها ، فاجتهد وبرز في كل ما قلده واضطلع بجميع ما حمله .

وكان الحكم لشدة نظره في الحداث يتخيّل في محمد بن أبي عامر أكثر الصفة المجتمعة الى النسب والبلدة ، وكان يجد القائم من الجزيرة الخضراء أصفر الكفين ، فيقول خاصته : ألا ترون صفرة كفيه؟ فإذا قالوا له: ارح نفسك منه! فيقول: لو كانت به شجة لكانت تكملة صفاته . فكان من قدر الله ان حدثت الشجة بمحمد بعد موت الحكم بضربة غالب الناصري له ، وبها تمّ الأثر فيه ، كما ان الحكم قد كان وقف في الأثر على البقعة التي بنيت فيها الزاهرة ، وكانت ملوك المروانية تتخوف ذلك ، وكان المجرر بشأنها الخليفة الحكم ، فنظر في أمرها ، وهي البقعة المعروفة بالآش ، وهي بغربي قرطبة ، ووجد انتقال الملك اليها ، فأمر حاجبه جعفرًا بالسبق اليها والشروع في بناء طمعاً في مزية سعداء ، وان لا يخرج الامر عن يد ولده ، وانفق عليها مالا عظيماً .

فكان من غريب الامور ان محمد بن أبي عامر تولى النظر في شأنها مع من نظر فيها ، وهو يومئذ في حال الفتوة والاحتياج ، ولا يعلم يومئذ به . فسبحان من يؤتي ملكه من يشاء . ثم وقع الى الحكم ان البقعة يغير ذلك الموضع ، وانها

بشرقي مدينة قرطبة، فأنفذ ثقتَه محمد بن نصر بن خالد للوقوف عليها، وانتهى الى منزل أبي بدر المسمّى بالشّ مضمومة اللام، وأصاب هنالك عجوزاً مسنة وافقتَه على حد الارتياح وقالت له : سمعنا قديماً ان مدينة تبني هنا، ويكون على هذه البئر قرارة، وكان المنصور على ثقة من سرعة انتقال الملك اليه لا يشك في ذلك، لانه تمكّن من مطالعة ما كان عند الحكم، فوقف على الجلية، ولم يزل الحكم يقدم محمداً ويؤثره الى ان ولي العهد ابنه هشام فزاد مقداره خاصته بولي العهد ومكانه من السيدة والدته، فاحتاج الناس اليه وغشوا بابه فانسأهم من سلف من اصحاب السلطان سعة اسعاف وكرم لقاء وسهولة حجاب وحسن اخلاق، فعرض جاهه وعمر بابه واتسع في بناء داره بالرصافة، واتخذ الكتاب الجلة، واستصحب سراة الصحابة، وكانت مائدته موضوعة لمن ينتاب داره، وهمته تتراعى الى وراء ما يناله، وهو في هذا كله يغدو الى دار جعفر بن عثمان المصحفي ويروح ويصبح ببابه ويختص به .

ثم اتصلت علة الخليفة الحكم من الفالاج وجعفر يدبر سلطانه، ووقع ارجاف بموت الحكم ، فأشار محمد بن أبي عامر على جعفر بن عثمان باستركاب ولي العهد هشام في ذلك اليوم في الجيش ارباباً لأهل الخلاف ، ففعل وركب في الناس ركبته

المشهوره ، ومحمد بن أبي عامر بين يديه قد كساه الخُر ونقله الى أكبر أهل الخدمة . وأمر ولي العهد هشام في ذلك اليوم ، وهو العاشر لصفر من سنة ٣٦٦ ، باسقاط ضريبة الزيتون المأخوذة في الزيت بقرطبة ، وكانت الى الناس مستكرهة ، فسرّوا بذلك أعظم سرور ونسب شأنها الى محمد بن أبي عامر وانه أشار بذلك ، فأحبّوه لذلك .

ولم تزل المهمة تحذوه والجد يخطبه والقضاء يساعده والسياسة لا تفارقه حتى قام بتدبير الخلافة واقعد من كان له فيها اناة ، وساس الامور احسن سياسة ، وداس الخطوب بأحسن دياسة ، فانتظمت له الممالك واتضحت به المسالك ، وانتشر الأمر في كل طريق ، واستشعر اليمن كل فريق ، وأسقط جعفر المصحفي وعمل فيه ما اراده ، فأول عروة فصمها من عرى المملكة عروة الصقالبة الخدم بالقصر موضع الخلافة ، وكانوا ابهى حلل المملكة ، واخص عددها ، عني الخلفاء بجمعهم والاستكثار منهم ، وكانوا خاصة الناصر والحكم بعده ، حتى لقد ظهرت منهم في زمن الحكم امور قبيحة اغضى عنها مع ايثاره العدل واطراح الجور بالجملة ، وكان يقول : هم امنائونا وثقاتنا على الحرم ، فينبغي للرعية ان تلين لهم وترفق في معاملتهم فتسلم من معرفتهم ، اذ ليس يمكننا في كل وقت الانكار عليهم .

ولما مات الحكم كان الصقالبة اكثر جمعاً واحداً شوكه ،
يظنون أن لا غالب لهم وان الملك بأيديهم ، وكانوا نيفاً على
ألف محبوب ، فحسبك بما يتبعهم ، وكان رأسهم فائق المعروف
بالنظامي صاحب البرد والطراز ، ويلييه صاحبه جوذر صاحب
الصاغة والبياززة ، واليهما كان أمر الغلمان الفحول بخارج القصر .
وكان قد جرى بين فائق وجوذر مع الحاجب جعفر المصحفي ،
اثر موت الحكم ، ما اذكره : وذلك انه لما توفي الحكم خفي
موته على وزيره جعفر وسائر أهل المملكة لطول تردده في
العلّة ، وتفرّد بعلم ذلك في وقته خادماه الخاصان به فائق
وجوذر ، فاستظهما بكتمان ذلك وتقدّما في ضبط الدار وخلوا
للتشاور ، وقد عزموا على ردّ الامر للمغيرة بن الناصر أخي
مولاهما الحكم ، خشية من انتشاره على ابنه هشام لصغر سنّه ،
وانكار الناس لتقديمه على ان يقرّ ابن اخيه هشاماً على العهد
بعده ، فيمتنّ على المغيرة بسوق الخلافة اليه ويفيا لمولاهما
باوتقاب كبير ولده ، ويكون الملك في ايديهما بحاله ، وكان رأياً
حسناً لو أراد الله به .

فلما اتّفقا على ذلك قال جوذر لفائق : ينبغي أن نحضر
جعفر بن عثمان الحاجب فنضرب عنقه فبذلك يتمّ امرنا . فقال له
فائق : سبحان الله يا أخي! تشيرون بقتل كاتب مولانا وشيخ من

مشيختنا دون ذنب ، ولعلّه لا يخالفنا فيما نريده ، مع افتتاحنا الأمر بسفك الدم . فأرسلا في جعفر بن عثمان فحضر ونعيا اليه الحكم وعرضا عليه ما اجمعا عليه من الرأي ، فقال لهما جعفر : هذا والله اسدّ رأي وأوفق عمل ، والأمر امركما ، وأنا وغيري فيه تبع لكم ، فاعزّما على ما اردتما واستعينا بمشورة المشيخة ، فهي أنقى للخلاف ، وأنا اسير الى الباب فاضبطه بنفسي وانفذا أمركما اليّ بما شئتما .

وخرج عنهما فضبط باب القصر وتقدّم في احضار اصحابه الهاشمية مثل زياد بن افلح مولى الحكم وقاسم بن محمد ومحمد بن ابي عامر وهشام بن محمد بن عثمان وأشباههم ، واستدعى بني بوزال اذ كانوا بطانته من سائر الجند ، واستحضر سائر قواد الأجناد الأحرار ، فاجتمع له من هذه الطوائف ما شدّ ركنه وقوّى يده ، فنعى لهم الخليفة وعرفهم مذهب الصقالبة في نكث بيعة هشام ، واقبل يثبّت اصحابه وقال لهم : ان حبسنا الدولة على هشام امسّا على انفسنا وصارت الدنيا في ايدينا ، وان انتقلت الى المغيورة استبدل بنا وطلب شفاء احقاده . فأشار عليه اصحابه بقتل المغيورة قبل ان يبلغه موت اخيه ، فتمكّنه الحيلة . فعمل بوايهم فتدافعوا فيما بينهم النهوض الى قتله ، فكفّوا وجبنوا ، فبدرهم محمد بن أبي عامر

وقال : يا قوم اني اخاف فساد امركم ، ونحن تبع لهذا
الرئيس ، و اشار الى جعفر ، فينبغي الا تختلفوا عليه ، وانا اتحمل
ذلك عنكم ان انفذني ، فحفظوا عليكم . فاعجب جعفرأ والجماعة
ما كان منه وولوه شأنه وقالوا له : انت احق بتولي كبره
خاصتك بالخليفة هشام ومملك من الدولة . فأرسل جعفر معه
طائفة من الجند الأحرار وثق بهم لذلك .

مقتل المغيرة بن عبد الرحمن الناصر رحمه الله

فر كب محمد بن ابي عامر الى المغيرة من ساعته وركب
معه بدر القائد مولى الناصر في مائة غلام من غلمان السلطان ،
ووقف لهم خارج باب دار المغيرة ، واحاط سواه من اصحاب
محمد بيجاتها ، واقتحم محمد عليه فوجده مطمئناً على غير
استعداد ، فنعى اليه اخاه الحكم وعرفه بجلوس ابنه هشام في
الخلافة ، وان الوزراء خشوا خلافه فأنفذوه لامتحان القصة .
فاشدد ذعره ثم استرجع عليه واستبشر بملك ابن أخيه وقال :
أعلمهم اني سامع مطيع واف بييعتي فتوثقوا مني كيف
شتم ، واقبل يستلطف ابن أبي عامر ويناشده الله في دمه
ويسأله المراجعة في أمره ، حتى رقق له محمد وكتب الى جعفر
يصدقه عنه ويصف له الصورة التي وجده عليها من السلامة

والطمأنينة، ويستأذنه في شأنه، فردَّ عليه جعفر يلومه في التأخير
ويعزم عليه في التصميم ويقول له : غررتنا من نفسك فانفذ
لشأنك أو فانصرف نرسل سواك .

فحسبي محمد لجوابه وعرض الرقعة على المغيرة وجعلها بيده ،
وزال عن وجهه وادخل عليه تلك الطبقة، فقتلوه خنقاً في مجلسه
وعلقوا جسده في مخدع يتصل بمجلسه كهية المختنق من تلقاء
نفسه ، وذلك كله بمعاينة حرمه ، ثم اشاعوا أنه خنق نفسه لما
اكرهوه على الركوب لابن أخيه، فطاح دمه على هذه الصورة .
وكانت سنة يوم قُتل سبعاً وعشرين سنة، ثم تقدّم محمد باخفاء
ذلك وأمرهم بدفنه في مجلسه وأن يسدّوا أبوابهم فيأمّنوا بذلك
على ولده ونعمته .

وعاد ابن أبي عامر الى جعفر بالقصة فطابت نفسه وصيّر
محمدًا الى جانبه وشكره ، ووصل الحادث على المغيرة الى
جوذر وفائق فدهشا وسقط في ايديهما وقال جوذر لفائق :
قد نصحت لك فلم تسمع مني ، وكان اكمل دهاء منه ،
فانكبا الى جعفر فاظهرا له السلامة والاستبشار بما آتاه
والاعتذار بما رآه وقالاه : ان الجزع اذهلنا عما ارشدك الله اليه ،
فجزاك الله عن ابن مولانا خيراً وعن دولتنا وعن المسلمين . فاظهر
لهما بعض القبول ، وانغمس جعفر في الشغل بأمر البيعة اياماً وفي

نفسه للصقالبه ما لا تهنئه معه معيشه ، وفي انفسهم له أبرج لوعة .
واجلس جعفر هشام بن الحكم للبيعة بالخلافة صبيحة يوم الاثنين
لأربع خلون من صفر سنة ٣٦٦ ودعا الناس ابن أبي عامر للبيعة ،
فلم يختلف عليه اثنان ، فكان لابن أبي عامر في أخذها أثر كبير
تذاكره الناس ، وعلا شأنه ومكانه وبعد في الناس صيته .

بعض اخبار الصقالبه مع ابن أبي عامر

وذلك انه لما تمكنت الوحشة ما بين جعفر والصقالبه
انحرفوا عنه وكرهوا ولاية هشام ، فأخذ جعفر حذره منهم
وأذكى العيون ؛ وبلغه ان جوذر وفائلاً يدبران على الدولة
ويدسّان في ذلك الى بعض من في قيادتهما من وجوه العلما
والفحولة ، وكان الدخول والخروج اليهما على باب الحديد بأمر
الحاجب جعفر المصحفي ، فسدّه بالحجر وصيّر دخول الناس
على باب السدّة ، فحسم شرّ الصقالبه وصيّرهم تحت الرقبة .
ونظر جعفر في ازالة العلما والفحولة عن رسم هذين الصقليين
بمواطاة محمد بن أبي عامر ، ودس محمد الى من طلبهم له ، فنقدم
عليهم محمد بن أبي عامر فكان يطاء عقبه منهم خمس مائة غلام ،
فاشدّ بهم ازره وفيخم أمره وقدمهم في الاتزال والعتاء ، ثم
انقلب بنو برزال الى محمد بن أبي عامر وصاروا في قيادته ،

فاعتزَّ بالطائفتين وقهر عدوه وتبعه سائر الجند، فهان أمر الصقالبة عنده .

ثم ان جوذر الفتى استأذن السلطان في الخروج الى داره مستغنياً من الخدمة، وهو يظن انه لا يحاب الى ذلك، فأذن له في الخروج، فاشتدَّ وعيد أصحابه وزاد كلامهم، وكان أجسرهم على ذلك دري الفتى الصغير لما فيه من التمرد والجهالة، فحرك جعفر بن أبي عامر لازالته والراحة منه، فدسَّ الى رعيته ببياسة وأمرهم بالشكوى به وبعماله، ووعدهم العدو عليه والاراحة من جوره، فسارعوا الى ذلك ورفع الحاجب جعفر قصته الى السلطان، وقد أحكم ابن أبي عامر شأن التدبير عليه، فخرج التوقيع بالجمع بين دري وبينهم والنظر في مصالحهم، فاستدعي دري الى بيت الوزارة، فلما اشرف على الدار ورأى مَنْ أُعِدَّ فيها احسَّ بالشرِّ فخنس راجعاً، فمنعه ابن أبي عامر وقبض عليه فتجاذبا فبطش دري بابن أبي عامر وقبض على لحيته، فصاح محمد بن أبي عامر بمن حضر من الجند فاحتشم الاندلسيون دريًّا، وأسرع بنو برزال الى اجابته فقتلوه الى دري فأوجعوه ضرباً، ولحقته ضربة بصفح السيف ازالته عقله، وحمل للوقت الى داره فعوجل من ليلته بالقتل؛ وأمر في الوقت فائقاً وجماعة من كبارهم بالخروج الى ديارهم والتزامها، فخرجوا اليها وانحصرت

شوكة الصقالبة حينئذ وفلَّ حدُّهم ، وتجرَّد ابن أبي عامر لطلبهم ،
فاستخرج منهم أموالاً جمّة ، وآلت حال فائق الى ان صير
الى الجزائر الشرقية فمات هنالك . وفي خروج الصقالبة من
القصر يقول سعيد الشنتريني الشاعر :

أُخْرِجَ ، من قصر امام الهدى ،
كلُّ فقي منبسط جائر

فَمَنْ رأينا منهمُ قال : لا
مساس قبل الناس بالشاكر

فخفَّ ظهر الملك المرتضى
قد خفَّ من ثقلهم الظاهر

وسال ماء العلم من وجهه ،
مذ مال عن حبلهم الحائر

فلازم الميدان في قصره ،
مع الوزير الحير الطاهر

وقلد جعفر المصحفي امر القصر والحزم ، بعد اخراج هؤلاء
الفتيان ، سكرأصحابهم ، فسكن أنفُس الصقالبة وجراهم على الطاعة ،
فاصفوا اليه الى ان استهاجهم جوذر الفتي عظيمهم عند الظهور
الذي همَّ به .

فلما تم لابن أبي عامر تدبيره في الصقالبة جعل يتوصل الى
تقلد جيش المملكة والقيام بجهاد العدو دون الجماعة ، وكان
العدو جاس بلاد المسلمين وطمع في انتهاز الفرصة فيهم ، فانف
ابن أبي عامر من ذلك وأشار على الحاجب جعفر بتجهيز الجيش
والاعتداد للجهاد ، وعرض القيام به على جميع الاكابر ، فكلهم
كع عنه الا ابن أبي عامر فانه بادر اليه على ان يختار من
يخرج معه من الرجال ويتجهز لغزوه بمائة الف دينار ، فاستكثر
ذلك بعض من حضر ، فقال له محمد بن أبي عامر : خذ ضعفا
وامض وليحسن غناؤك . فتراجع المعتز عن ذلك وسلم الجيش
والمال الى ابن أبي عامر .

غزوة محمد بن أبي عامر الاولى

فخرج لثلاث خلون من رجب من سنة ٣٦٦ ودخل على
التغر الجوفي ، فنازل حصن الحامة من جليقية فحاصره واخذ
ربضه وغنم وسبى وقفل بالسبي والغنائم الى قرطبة الى ثلاثة
وخمسين يوماً ، فعظم السرور وأخلص الجند له لما رأوا كثرة
جوده وكرم عشيرته وسعة مائدته ، فأحبوه والتفوا به ، وكثر
احسانه اليهم وافضاله عليهم الى ان ادرك بهم سوله ،
وبلغ مأموله .

وذلك انه لما سمت الحال بمحمد بن أبي عامر واستتب امره
اعمل الحيلة والتدبير في اسقاط جعفر بن عثمان والانفراد بالدولة،
فلم يجد لذلك سبباً أقوى من مظاهرة الوزير أبي تمام غالب
الناصري، صاحب مدينة سالم والشعر الادنى، شيخ الموالي قاطبة
وفارس الأندلس يومئذ غير مدافع له، وكان بينه وبين الحاجب
جعفر بن عثمان عداوة ومنافسة، والتاثت حال غالب صدر دولة
هشام في سنة ولايته لما ملك جعفر امرها وبان تقصير غالب في
مدافعة اعداء الله، وخاف ان يصل امره الى الخلاف والمعصية،
فأشار ابن أبي عامر في استصلاحه ورعى ذمامه، ولم يزل ابن أبي
عامر يقوم بشأنه ويخدمه داخل الدار عند السيدة ام هشام
وسائر الحرم حتى تم مراده فيه كي يستعين به على اهلاك
المصحفي، فانفض غالباً الى خطة الوزارتين، وانفذ اليه كتاب
الخليفة بذلك وأمره بالاجتماع مع ابن أبي عامر على التدبير على
الصوائف، على ان يدير ابن أبي عامر جيش الحضرة ويدير
غالب جيش الشعر.

وخرج محمد بن أبي عامر بالصائفة يوم الفطر من سنة ٣٦٦ فاجتمع مع غالب بمدينة مجريط وأمل معه من التظافر على جعفر ما أصاب به النكسة من قلبه ، واتَّفقا وتوافقا وخدم ابن أبي عامر غالباً في سفره هذا خدمةً ملك بها نفسه فمال اليه غالب بكلية واستمرَّ في غزوهما ، وافتُتِح حصنٌ مولةً وظهر فيه على سبي كثير ، وغنم المسلمون أوسع غنيمة ، وكان أكثر الأثر فيها لغالب ، فتجافى عنه لابن أبي عامر وفارقه الى ثغره ، بعد ان أبلغ في مواطاة محمد بن أبي عامر على عدوه جعفر بما اراده ، وقال غالب لابن أبي عامر عند وداعه : سيظهر لك بهذا الفتح اسم عظيم وذكر جليل يشغلهم السرور به عن الحوض فيما تحدته من قصة ، فإياك ان تخرج عن الدار حتى تعزل ابن جعفر عن المدينة وتتقلدها دونه . فاعتقد محمد ذلك وخاطب غالب الخليفة هشاماً بحسن مناب ابن أبي عامر في هذه الغزوة ، ونسب السعي والاجتهاد اليه وشكره وشدَّ عضده عند الخليفة .

وعاد محمد بن أبي عامر الى حضرة قرطبة منصرفاً بالسبي والغنائم ، فاستمال محمد بهذا الفتح قلوب العامة والخاصة ، وتعرفوا فيه بمن النقيبة ، فبعد صيته وهان عليه أمر جعفر وغيره ، وشرع في هدمه ، فخرج أمر الخليفة يوم وروده بصرف محمد

ابن جعفر بن عثمان عن المدينة وتقليدها ابن ابي عامر ، فخرج محمد نحو كرسيها في هذا اليوم ، والحلح عليه ، ولا عند جعفر علم بذلك . وكان محمد بن جعفر جالساً في مجلسها في ابهة اذ صعد ابن ابي عامر نحوه ، فولى محمد ابن جعفر ناكصاً على عقبه واتبع بدابته ، وملك ابن ابي عامر الباب بولاية الشرطة ، والجيش ببقوده له ، والدار بعناية الحرم به فملك على جعفر بذلك وجوه الحيلة وخلاه وليس في يده من الامر إلا أقله .

فضبط محمد المدينة ضبطاً أنسى أهل الحضرة من سلف من أفراد الكفاة واولي السياسة ، وقد كانوا قبله في بلاء عظيم يتحارسون الليل كله ويكابدون من روعات طُرافه ما لا يكابد أهل الثغور من العدو ، فكشف الله ذلك عنهم بمحمد بن ابي عامر وكفايته وتنزهه عما كان ينسب لابن جعفر ، فسد باب الشفاعات وقمع أهل الفسق والزعارات حتى ارتفع البأس وأمن الناس ، وأمنت عادية المتجرمين من حاشية السلطان حتى لقد عثر على ابن له فاستحضره في مجلس الشرطة وجلده جلداً مبرحاً كان فيه حمامه ، فانقمع الشر في ايامه جملة .

واستخلف ابن ابي عامر على المدينة ابن عمه عمرو بن عبد الله بن ابي عامر ، فسلك في أهل الشر سبيله بل اربى عليه في ذلك . وكان جعفر غالباً يستخلصه ويستميله ويخطب بنته

لابنه ، فتجددت بينهما إلفة وجرى عقد في المناكحة؛ وانكشف ذلك لابن أبي عامر فكاتب غالباً ينشده العهد، والقي أهل الدار عليه في فسخ المصاهرة، فكاتبوه في ذلك، فانحرف إلى ابن أبي عامر وحلَّ عقدة جعفر في نكاحه ، وانكح ابن أبي عامر أسما ابنته ، فكانت أحظى نسائه . فلما تمَّ هذا العقد خرج إلى الغزو .

وهي غزوة ابن أبي عامر الثالثة

خرج إليها ودخل على طليطلة غرة صفر من سنة ٣٦٧ فاجتمع مع صهره غالب فعظمه وجرى إلى موافقته، ونهضا معاً فاقتحما حصن المال وحصن (رنيق) ودوَّخا مدينة سلمنقة وأخذوا أرباضها وقفل ابن أبي عامر إلى قرطبة بالسبي والغنائم وبعدد عظيم من رؤوس المشركين إلى أربعة وثلاثين يوماً من خروجه، فزاد له السلطان في التنويه وأنهضه إلى خطة الوزارتين سوَّى فيها بينه وبين غالب، ورفع راتبه إلى الثمانين ديناراً في الشهر، وهو راتب الحجابة .

واستقدم السلطان غالباً لاستهداء أسما إلى زوجها محمد ، فبالغ في إكرامه ووقع زفاف أسما في مشهد بعد العهد بمثله شهرة وجلالة ، وزفت إليه ليلة النيروز من قصر الخليفة ، فهو الذي تولَّى مع حرمه أمرها .

وكانت اسما هذه توصف بجمال بارع وأدب صالح وحظيت
 عند أبي عامر فلم يفارقها حياته، وقلده الخليفة خطة الخلافة مع
 جعفر مشتركاً ، ثم سخط الخليفة على جعفر بن عثمان الصحفي
 وصرفه عن الحجابة يوم الاثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من
 شعبان سنة ٣٦٧ ، وأمر بالقبض عليه وعلى ولده واسبابه وعلى
 ابن أخيه هشام ، وصُرفوا عمّا كان بأيديهم من الأعمال
 وطلبوا بالاموال، فتوصل ابن أبي عامر بمحاسبتهم الى استصفاء
 أموالهم وانتهاك حرمهم وترويد النكبات عليهم ، حتى مزقهم
 كل ممزق وسارع الى قتل هشام ابن أخى جعفر في المطبق ، اذ
 كان أشدّ آل عثمان عداوة له ، وأخرج الى اهله ميتاً .
 واستمرت النكبة على جعفر سنين عدة يحبس مرة ويطلق
 أخرى ؛ وبما حفظ له في ابن أبي عامر مستعظماً له :

عفا الله عنك ! ألا رحمة تجود بعفوك ان ابعدا
 لئن جلّ ذنب ، ولم اعتمده ، فأنت أجلُّ واعلى يدا
 ألم تر عبداً عدا طوره ، ومولى عفا ورشيداً هدى
 ومفسد أمرٍ تلافيته ، فعاد فاصلح ما افسدا
 أقلني ! أقالك من لم يزل يقيقك ، ويصرف عنك الردى

وكان جعفر بن عثمان في محنته أخور الناس وأرأهم
 للذل واحبهم في الحياة، انتهى به الاستخذاء لمحمد بن أبي عامر

والطمع في الحياة ان كتب اليه يعرض نفسه عليه لتأديب ابنه
عبد الله وعبد الملك ، فقال ابن ابي عامر : اراد ان يستجهلي
ويستقطني عند الناس ، وقد عهدوني ببابه مؤملاً ، ثم يرونه اليوم
بدهليزي معلماً .

ثم جدّ ابن ابي عامر في مكروهه وأدقّ حسابيه وامر
باحضاره الى مجلس الوزراء بقصر الخلافة لينظر بين ايديهم فيما
ادعي عليه من الخيانة ، فتردد الى هذا المجلس مراراً وأقبل
آخر مرة اليه ، وواثق الضاغط يزعجه والبحر والسن قد هاضاه
وقصرا خطوه ، والموكل به يحدوه ويستحثه ، فيقول له جعفر :
يا بني رفقاً فستدرك ما تريد؛ ويا ليت ان الموت بيع فأغلى الله
سومه ، حتى انتهي به الى المجلس ، والوزراء جلوس ، فجلس
في آخر المجلس دون ان يسلم فأسرع اليه الوزير محمد بن حفص
ابن جابر ، وكان من حزب ابن ابي عامر ، فعنفه واستجهله
وانكر عليه ترك التسليم ، وجعفر معرض عنه ، فلمّا اكثّر
عليه قال له جعفر : فما هذا؟ جهلت المبرّة فاستجهلت عالمها ،
وكفرت اليد فقصرت بمسديها . فاضطرب ابن جابر من قوله
وقال : هذا هو البهت بعينه ، وأيُّ أياديك الغرّ التي مننت بها ،
أيّد كذا ام يد كذا ؟ وعدّد أشياء فأنكرها عليه الحاجب
وقال : هذا لا يعرف ، والمعروف دفعي عن يمينك القطع

وشفّاعتي فيها الى الماضي رحمه الله حين استخونك في مال كذا .
فأَصْرَّ ابن جابر على الجحد ، فقال جعفر : انشد الله من له
علم بما ذكرت ان يتكلم . فقال الوزير ابن عياش : قد كان
بعض ما ذكرته ، وغير هذا أولى بك يا أبا الحسن . فقال :
أَحْرَجَنِي الرجل فقلت .

ثم أقبل الوزير محمد بن جهور على محمد بن جابر فقال له :
أَوَمَا علمت ان من كان في سخط السلطان تحامى السلام على
أوليائه ، لانهم ان ردُّوا عليه اسخطوا السلطان لتأمينهم مَنْ
اخافه ، وان تركوا الردَّ اسخطوا الله وتركوا ما أمر به ،
فكان الامساك أولى ، ومثل هذا لا يخفى على ابي الحسن .
فخجل ابن جابر وأَسْفَرَ وجهه جعفر وتهلل ؛ ثم اخذ القوم
في مناظرته على المال ، فقال : قد والله استنفدت ما عندي من
الطارف والتالد ولا مطمع فيّ في درهم ، ولو قُطِّعَتْ إِرْباً إِرْباً .
فصرف الى محبسه في مطبق الزهراء ، فكان آخر العهد به .

وله وقد اودعه المنصور المطبق ، والشجون تسرع اليه
وتسبق ، معزياً لنفسه ، ومجتزئاً في يومه باسعاد امسه :

أُجازي الزمان على حاله ، مجازاة نفسي لانفاسها
اذا نَفَسَ صاعدٌ شَقَّها ، توارت به بين جلاّسها
وان عكفت نكبة للزمان ، عكفت بصدري على راسها

ومن بديع ما حفظ له في نكبتة ، قوله رحمه الله يستريح
من كربته :

صبرتُ على الأيام لما تَوَلَّيتُ ،
وألزمتُ نفسي صبرها فاستمرت

فيا عجبا للقلب كيف اضطباره ،
وللنفس بعد العزَّ كيف استدلت !

وما النفس الا حيث يجعلها الفتى ،
فان طمعت تأقت وإلاَّ تسلت

وكانت على الأيام نفسي عزيزة ،
فلما رأَت صبري على الذلِّ ذلت

وقلت لها : يا نفس موتي كريمة !
فقد كانت الدنيا لنا ثم ولت

وكان من هلاكه في حبسه هذا على يقين؛ وذلك انه لما أُمر
به الى المطبق ودع أهله وولده وداع الفرقة، وقال: هذا وقت
اجابة الدعوة وانا ارتقبه منذ أربعين سنة. فسُئِل عما ذكره
فقال: رُفِع على فلان أيام الناصر وسُعي به اليه، فاشرفتُ على
اعماله، فأَل أمره الى ضربه وتغيُّر نعمته واطالة حبسه ، فبينما
أنا نائم ذات ليلة اذ أتاني آتٍ فقال لي: أطلقْ فلاناً فقد اجيبت

دعوته فيك ، ولهذا أمر أنت لا بدّ لاقية . فانتبهت مذعوراً
واحضرت الرجل وسألته احلالي . فامتنع عليّ ، فاستحلفته على
إعلامي بما خصّني به من الدعاء ، فقال : نعم دعوتُ الله أن يميتك
في أضيق السجون كما أمرتني حَقبةً . فعلمت انه قد وجبت
دعوته ، وندمت حيث لا ينفع الندم ، وأطلقتُ الرجل ، ولم أزل
ارتقب ذلك .

فما لبث في السجن الا أياماً وخرج ميتاً واسلم الى أهله .
ف قيل قتل خنقاً في البيت المعروف ببيت البراغيث في المطبق ؛
وقيل دُسّتْ اليه شربة مسمومة .

قال محمد بن اسماعيل كاتب المنصور : سرتُ مع محمد بن
مسلمة الى الزهراء لتسليم جسد جعفر الى اهله وولده ، والحضور
على انزاله في ملحدته ، فنظرتُ اليه ولا اثرفيه ، وليس عليه شيء
يواريه غير كساء خلق لبعض البوابين ، ستره به . فدعا له محمد
ابن مسلمة بغاسل فغسله والله على فرد باب اقتلع من ناحية
الدار ، وأنا اعتبر من تصرّف الاقدار ، وخرجنا بنعشه الى
قبره وما معنا الا امام المسجد المستدعى للصلاة ، وما تجاسر أحد
على النظر اليه .

ثم قال : وان لي في شأنه خبراً ما سمع بمثله طالب وعظ ،
ولا وقع في مسمع ولا تصوّر للحظ . وقفتُ له في طريقه أيام

نبيه وأمره أروم ان أتاولة قصّة كانت به مختصّة ، فوالله ما
 تمكّنتُ من الدنو منه بحيلة لكثافة موكبه وكثرة من حَفَّ
 به ، واخذ الناس السكك عليه وافواه الطرق ينظرون اليه
 ويسلمون عليه ، حتى ناولت قصتي بعض كتّابه الذين نصبهم
 جناحي موكبه لاختد القصص ، فانصرفْتُ وفي نفسي ما فيها
 من الشرّق بحاله والغصص ، فلم تطل المدة حتى غضب عليه
 المنصور واعتقله ، ونقله معه في الغزوات ذليلاً وحمله . واتّفق
 ان نزلت بجليقية في بعض المنازل الى جانب خبائه ، في ليلة
 نهي فيها المنصور عن وقد النيران ليخفى على العدو أثره ،
 ولا ينكشف له خبره ، فرأيت والله ابنه عثمان يسقيه دقيقاً
 قد خلطه بماء يقيم به اوده ويمسك به رmqه بضعف حال وعدم
 زاد ومال ، وسعته يقول :

تأملتُ صرف الحادثات ، فلم أزل
 أراها توافي عند مقصدها الحُرّاً

فله أيام مضت لسبيلها ،
 فاني لا أنسى لها أبداً ذكراً

تجافت بها عنا الحوادث برهة ،
 وابتد لنا منها الطلاقة والبشرا

ليالي لم يدر الزمان مكاننا ،
ولا نظرت منا حوادثه شزرا

وما هذه الأيام الا سحائب
على كل أرض تمطر الخير والشر

وكان بما أعين به ابن أبي عامر على جعفر بن عثمان المصحفي
ميل الوزراء اليه وإيثارهم له عليه ، وسعيهم في ترقيه واخذهم
بالعصبية فيه ، فانها ، وان لم تكن حمية اعرابية ، فقد كانت
سلفية سلطانية ، يقتفي القوم فيها آثار سلفهم ، ويمنعون بها
ابتدال شرفهم ، غادروها سيرة ، وخلفوها عادة اثيرة ، تشاح
الحلف فيها تشاح اهل الديانة ، وصانوا بها مراتبهم اعظم
صيانة ، ورأوا ان احداً من التوابع لا يدرك فيها غاية ، ولا
يلحق لها راية ، فلما احظى المستنصر بالله جعفر بن عثمان واصطنعه
ووضعه من اثره حيث وضعه ، حسدوه وذمّوه ، وخصّوه
بالمطالبة وعمّوه ، وكان اسرع هذه الطائفة الى مهاودة المنصور
عليه ، والانحراف عنه اليه ، آل ابي عبدة وآل شهيد وآل
جهور وآل فطيس ، وكانوا في الوقت ازمّة الملك وقوام
الخدمة ومصابيح الأمة ، فأحظوا محمد بن ابي عامر مشايعة
ولأسباب المصحفي منازعة ، وشادوا بناه وقادوا الى عنصره
سنه ، حتى بلغ الأمل ، والتحف بنه واشتمل ، وعند التثام

هذه الامور لابن ابي عامر استكان جعفر بن عثمان للحادثة
وأيقن بالنكبة وزوال المرتبة ، وكفَّ عن اعتراض محمد
وشركته في التدبير، وانقبض الناس عن الرواح اليه والتبكيو،
وانثالوا على ابن أبي عامر ، فخففَّ موكبهُ وغار من سماء العزة
كوكبهُ ، وتوالى عليه سعي ابن أبي عامر وطلبه حتى محاه ،
وهتك ظلاله وأضحاه ، ومن قوله :

لا تأمنن من الزمان تقلُّباً ،

ان الزمان بأهله يتقلب

ولقد أراني ، والليوث تهابني ،

وأخافني من بعد ذاك الشعب

حَسْبُ الكريم مهانةً ومذلةً

ألاَّ يزال الى لئيم يطلب

وكان قوله هذه الابيات لما سيق الى مجلس الوزارة للمحاسبة ،
ووائق الضاغطين عجه ويستحشهُ ، وهو يقول له : رفقا بي يا وائق ،
فستدرك ما تحبُّهُ وتشتهيهِ ، وترى ما كنت ترجيه . وقد تقدّم
ذلك .

استبداد ابن أبي عامر بالملك وتغلبه عليه

لما قتل ابن أبي عامر جعفر بن عثمان انفراداً بشأنه ، ورمى

الغرض الأبعد من ضبط السلطان والحجر عليه والاستبداد بالمملكة وأمور الدولة، جرى في ذلك مجرى المتغلبين على سلطان العباس بالمشرق من أمراء الديلم حتى أورث ذلك عقبه، فأخذ ابن أبي عامر في تغيير سير الخلفاء المروانية في استجرار الأمر لنفسه وسبك الدولة على قلبه، فاداه ذلك الى مضادة ... فبدل بالامن «خوفاً»، وبالسكون حركة، وبالاناة بطشة، وبالوداعة «صلفاً»، فجعل أهل الرأي من مصادر اموره ومواردها، ويقضون بحجوجها عن حد الصواب «من دون» التدبير لها، وربما فاوض جلهم الرأي، فيشيرون عليه من الوجه الذي عرفوه والقانون الذي حمده، فيعدل عن ذلك الى المذهب الذي شرعه والطريق الذي نهجه والخطأ الذي لا يجهل اقتحامه، فيبهت القوم من حسن ما يقع له .

قال الفتح بن خاقان : فردنا به على من تقدمه وصوبه واستخدمه ، فانه كان امضاهم سناناً ، واذكاهم جناناً ، واتهم جلالاً ، واعظمهم استقلالاً ، فال امره الى ما آل ، واوهم العقول بذلك المال ، فانه كان آية الله في اتفاق سعده ، وقربه من الملك بعد بعده ، بهر برفعة القدر ، واستظهر بالاناة وسعة الصدر ، وتحرك فلاح نجم الهدو ، وتملك فما خفق بأرضه لواء عدو ، بعد خمول كابده منه غصصاً وشرقاً ، وتعذر مأمول طارد فيه سهرأ وارقأ ، حتى انجز له الموعود ، وفر نحسه امام

تلك السعود ، فقام بتدبير الخلافة ، واقعد من كان له فيها
انافة ، وساس الأمور احسن سياسة ، وداس الخطوب بأخشن
دياسة ، فانتظمت له الممالك ، واتضحت به المسالك ، وانتشر
الامن في كل طريق ، واستشعر اليمن كل فريق ، وملك
الاندلس بضعاً وعشرين حجة ، لم تدحض لسعادتها حجة ، ولم
تؤخر لمكروه بها لجة ، لبست فيها البهاء والاشراق ، وتنفست
عن مثل انفاس العراق .

وكانت ايامه احمد ايام ، وسهام بأسه أسدّ سهام ، غزا
الروم شاتياً وصائفاً ، ومضى فيما يروم زاجراً وعائفاً ، فأوغل
في تلك الشعاب ، وتغلغل حتى راع لث الغاب ، ومشى تحت
الويته صيد القبائل ، واستجرت في ظلها بيض الطيبي وسمر
الذوايل ، وهو يقتضي الأرواح بغير سوم ، وينتضي الصفاح
على كل روم ، ويتلف من ينساق للخلافة وينقاد ، ويختطف
منهم كل كوكب وقاد ، حتى استبدّ وانفرد وانس اليه من
الطاعة ما نفر وشرذ ، وانتظمت له الاندلس بالعدوة ، واجتمعت
له اجتماع قريش في دار الندوة ، ومع هذا فلم يخلع اسم
الحجابه ، ولم يدع السمع خليفته والاجابة ، ظاهراً بخلافه
الباطن ، واسماً تنافره مواقع الحكم والمواطن ، واذلّ قبائل
الاندلس باجازه البرابر ، واخمل بهم اولئك الاعلام الاكابر ،

فانه قاومهم باضدادهم ، واستكثر من أعدادهم ، حتى تغلبوا
على الجمهور ، وسلبوا منهم الظهور ، ووثبوا عليهم الوثوب
المشهور ، الذي أعاد أكثر الاندلس قفراً يباباً ، وملأها وحشاً
وذباباً ، واعراها من الامان برهة من الزمان ، وعلى هذه
الهيئة فهو وابنه المظفر كانا آخر سعد الاندلس ، وحدّ السرور
بها والتأنّس ، وغزواته فيها شائعة الاثر ، رائقة كالسيف ذي
الاثر ، وحسبه وافر ، ونسبه معافر ، ولذا قال يفخر :

رميتُ بنفسي هول كلّ كريمة ،
وخاطرتُ ، والحرُّ الكريم مخاطرُ

وما صاحي إلا جنان مشيع ،
وأسمر خطي ، وأبيض باترُ

وإني لزجاء الجيوش الى الوغى ،
اسود تلاميها اسود خوارد

لسدت بنفسي أهل كل سيادة ،
وكاثرت حتى لم اجد من اكاثر

وما شدتُ بنياناً ، ولكن زيادة
على ما بنى عبد المليك وعامر

رفعنا المعالي بالعوالي حديثة ،
وأورثناها في القديم معافر

وكانت امه تميمية فجاز الشرف من طرفيه والتحف
بطرفيه ، قال القسطلي :

تلاقت عليه من تميم ويعرب شمس ، تلا في العلى وبدور
من الحميريين الذين اكفهم سحائب ، تهمي بالندی ، وبحور

وتصرف قبل ولايته في شتى الولايات ، وجاء من التحدث
بمنتهى امره بآيات ، حتى صح زجره ، وجاء بصبحه فجره ، تؤثر
عنه في ذلك اخبار فيها عجب واعتبار ، وكان اديباً محسناً ،
وعالمًا متفنناً ، فمن ذلك قوله يمّني نفسه بملك مصر والحجاز ،
ويستدعي صدور تلك الاعجاز :

منع العين ، ان تذوق المناما ، حبثها ان ترى الصفا والمقاما
لي ديون بالشرق عند اناس ، قد احلّوا بالمشعرين الحراما
ان قضوها نالوا الأمانى ، والا جعلوا دونها رقاباً وهاما
عن قريب ترى خيول هشام يبلغ النيل خطوها والشاما

وفي سنة ٣٦٨ امر المنصور بن ابي عامر ببناء قصره المعروف
بالزاهرة ، وذلك عندما استفحل امره واتقد جمره ، وظهر
استبداده وكثر حسّاده ، وخاف على نفسه في الدخول الى
قصر السلطان وخشي ان يقع في اسطوان ، فتوثق لنفسه
وكشّف له ما ستر عنه في أمسه من الاعتزاز عليه ورفع
الاستناد اليه ، وسما الى ما سمت اليه الملوك من اختراع قصر

ينزل فيه ، ويحلّه بأهله وذويه ، ويضم اليه رئاسته ، ويتمم به تدييره وسياسته ، ويجمع فيه قتيانه وغلمانه ، فارتاد موضع مدينته المعروفة بالزاهرة ، الموصوفة بالقصور الباهرة ، واقامها بطرف البلد على نهر قرطبة الاعظم ، ونسق فيها كل اقتدار معجز ونظم ، وشرع في بنائها في هذه السنة المؤرخة ، وحشد اليها الصناع والفعلة ، وجلب اليها الآلات الجليلة ، وسرلها بهاءً يردُّ العيون كليلة ، وتوسّع في اختطاطها ، وتولّع بانتشارها في البسيطة وانبساطها ، وبالع في رفع اسوارها ، وثابر على تسوية انجادها واغوارها ، فاتسّعت هذه المدينة في المدة القريبة وصار بناؤها من الابنية الغريبة ، وبني معظمها في عامين .

وفي سنة ٣٧٠ انتقل المنصور بن أبي عامر اليها ونزلها بخاضته وعامته ، فتبوّأها وشحنها بجميع اسلحته وامواله وامتنعته ، واتخذ فيها الدواوين والاعمال ، وعمل داخلها الاهراء ، واطلق بساحتها الارحاء ، ثم اقطع ما حولها لوزرائه وكتابه وقواده وحجابه ، فاقتنوا باكتافها كبار الدور وجليات القصور ، واتخذوا خلالها المستغلّات المفيدة والمنارات المشيدة ، وقامت بها الاسواق وكثرت فيها الارفاق ، وتنافس الناس في النزول باكتافها والحلول باطرافها للدنو من صاحب الدولة ، وتناهى الغلوّ في البناء حوله ، حتى اتّصلت ارباضها بارباض قرطبة ،

و كثرت بجورتها العمارة ، واستقرت في مجبوحتها الامارة ،
وأفرد الخليفة من كل شيء الا من الاسم الخلافي ، وصير ذلك
هو الرسم العافي ، ورتب فيها جلوس وزرائه ورؤوس امرائه ،
ونذب اليها كل ذي خطة بخطة ، ونصب على بابها كرسي
شرطته ، وأجلس عليها والياً على رسم كرسي الخليفة ، وفي
صفة تلك الرتبة المنيفة ، وكتب الى الاقطار بالاندلس والعدوة
بأن تحمل الى مدينته تلك اموال الجبايات ، ويقصدها أصحاب
الولايات ، وينتأها طلاب الحوائج ، وحذر ان يعوج عنها الى
باب الخليفة عائج ، فاقتضيت لديها اللبانات والأوطار ، وانحشد
الناس اليها من جميع الأقطار ، وتمّ لمحمد بن أبي عامر ما أراد
وانتظم بلبه أمانيه المراد ، وعطل قصر الخليفة من جميعه
وصيره بمعزل من سامعه ومطيعه ، وسدّ باب قصره عليه
وجدّ في خبر ألاّ يصل اليه ، وجعل فيه ثقة من صنائعه يضبط
القصر ويبسط فيه النهي والأمر ، ويشرف منه على كل داخل
ويمنع ما يحذر من الدواخل ، ورتب عليه الحراس والبوابين
والسمار والمنتابين ، يلزمون حراسة من فيه ليلاً ونهاراً ،
ويراقبون حركاتهم سرّاً وجهاراً ، وقد حجر على الخليفة كل تدبير
ومنع من تمكك قبيل أو ديبر .

وأقام الخليفة هشام مهجور الفناء ، محجور الغناء ، خفيّ

الذكر ، عليل الفكر ، مسدود الباب ، محجوب الشخص عن
الأحباب ، لا يراه خاص ولا عام ، ولا يخاف له بأس ، ولا
يرجى منه انعام ، ولا يعهد منه الا الاسم السلطاني في السكة
والدعوة ، وقد نسخه ولبس ابنته وطمس بهجته ، واغنى الناس
عنه ، وأزال اطماعهم منه ، وصيّرهم لا يعرفونه ، وأمرهم لا
يذكرونه .

واشتدّ ملك محمد بن أبي عامر منذ نزل قصر الزاهرة ،
وتوسع مع الأيام في تشييد ابنتها حتى كملت احسن كمال ،
وجاءته في نهاية الجمال تفاوت بناء ، واعتدال هواء ، رقّ
أديمه ، وصفا له جو فاعتلّ نسيمه ، ونضرة بستان ، وبهجة
للنفوس فيها افتتان ، وفيها يقول صاعد اللغوي :

يا أيها الملك المنصور من يمن ،
والمبتني نسباً غير الذي انتسبنا

بغزوة في قلوب الشرك راتعة ،
بين المنايا تناغي السمر والقضبا

أما ترى العين تجري فوق مرمرها
زهواً ، فتجري على احسانها الطربا

اجريتها فطما الزاهي بجريتها ،
كما طموت فسدت العجم والعربا

تخال فيه جنود الماءِ رافلة ،
مستلّثات تريك الدرع واليلبا
تحفّها من فنون الايك زاهرة ،
قد اورقت فضة اذ اثمرت ذهبها
بديعة الملك ، ما ينفك ناظرها
يتلو على السمع منها آية عجبا
لا يحسن الدهر ان ينشي لها مثلاً ،
ولو تعتت فيها نفسه طلبا

ودخل عليه عمرو بن أبي الجباب في بعض قصوره من المنية
المعروفة بالعامة ، والروض قد تفتّحت انواره ، وتوشّحت
نجاهه واغواره ، وتصرّف فيها الدهر متواضعاً ، ووقف بها
السعد خاضعاً ، فقال :

لا يوم كالיום في أيامك الاول
بالعامرية ذات الماء والظلل

هواؤها في جميع الدهر معتدل
طيباً ، وان حلّ فصل غير معتدل

ما ان يبالي الذي يحتلّ ساحتها
بالسعد ، الا تحل الشمس بالحمل

وما زالت هذه المدينة رائقة ، والسعود بلبتها متناسقة ،
تراوحها الفتوح وتغادياها ، وتجلب اليها منكسرة اعاديها ، لا
ترحف منها راية الا الى فتح ، ولا يصدر عنها تديير الا الى نجاح ،
الى ان حان يومها العصيب ، وقبض لها من المكروه اوفر
نصيب ، فتولت فقيدة ، وخلت من بهجتها كل عقيدة .
وأشاع ابن أبي عامر ان السلطان فوَّض اليه النظر في أمر
المملك وتخلَّى له عنه لعبادة ربِّه ، وانبت ذلك في الرعية حتى
اطمانوا اليه مع قوة ضبطه وسرعة بطشه ، فانتظم له ذلك
كله وأكثر منه ، بعد ان حصن قصر الخليفة في هذا الوقت بالسور
الذي أدار حوله ، وعمل الخندق المطيف به من جانبيه ، والأبواب
الوثيقة بالاحراس ، والسمار الذين وضعهم بأنقابه ، ومنع الخليفة
من الظهور ووكل بأبوابه من يمنع وصول خبر اليه أو امر من
الأمور الا عن اذنه ، فان عثر على احد من الناس في تجاوز
هذا الحد عاجله ونكل به ، والأخبار عنه في هذا المعنى واسعة
جداً ، غير ان الاختصار في ذلك ان ابن أبي عامر بلغ من
ذلك مبلغاً لم يبلغه قط متغلب على خليفة لأنه احتوى على
المملك « كأنه » له ، وصير الخليفة قبضة في يده ، حتى انه لم يكن ينفذ
له امر في داره ولا على حرمه الا عن اذنه وعلمه ، وجعل متولي
قصره من قبله من يثق به ، وصيره عيناً على السلطان لا يخفى
عليه شيء من حركاته واخباره .

ولما ترقى ابن أبي عامر الى هذا القدر عمل في مكروه القائد الكبير غالب الناصري صهره والتوطئة لأسباب هدمه ، فرأى ان يبني عليه ضدّاً له من اصحاب السيوف والحراية المشهورين ، لأن غالباً كان يستطيل على ابن أبي عامر بأسباب الفروسية ويفايقه بمعاني الشجاعة ويعلوه من هذه الجهة ، التي لم يتقدم لابن أبي عامر بها معرفة ، فلم يجد لذلك مثل جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن الاندلسي شدة بأس وربط جأش ونباهة ذكر وجلالة قدر ، فجدّ في استجلابه ، وهو مقيم في العدو وآل علي ممن اطاع الخليفة هشاماً من زناته ، فبعث ابن أبي عامر اليه وتواترت كتبه اليه ، فأسلم العمل الى اخيه يحيى وعبر البحر الى الاندلس بجيشه فنزل قصر العقاب بعد ان اعدّ له ما يصلح فيه ، فاستوزره ابن أبي عامر فعظم منانه واحلّه محلّ الاخ في الثقة وقدمه على الكفاة ، فوجد عنده ما أحبه وفوق ما قدره ، فاعتدل بالبرابرة أمره وقوي ظهره ، وكانت هذه القطعة من البربر نحو الستائة .

وما زال بعد ذلك يستدعيهم ويتضمن الاحسان اليهم والتوسعة عليهم الى ان اسرعوا الى الاندلس وانتالوا على ابن أبي عامر ، وما زالوا يتلاحقون ، وفرسانهم يتواترون ، يحيى الرجل منهم بلباس الخلق على الاعجف فيبدل له بلباس الخنز

الطرازي وغيره ، ويركب الجواد العتيق ويسكن قصرًا لم يتصور له في منامه مثله ، حتى صاروا اكثر من اجناد الاندلس ؛ ولم تزل طائفة البربر خاصة ابن أبي عامر وبطانته ، وهم أظهر الجند نعمة واعلاهم منزلة .

ولما علم غالب بادناء جعفر علم الغرض فيه ، ففسد ما بينهما ووقع بينهما معارك وفتن كان الظفر فيها لابن أبي عامر على غالب ، ومات وهو يقاتله مع النصارى ، وكان قد استجلبهم اليه في خبر طويل ، فوجد غالب مقتولاً في مجال الحيل وابن أبي عامر كاد ان ينهزم له ، فقتل ان قريوس سرجه قتله ، وقيل غير ذلك ، فكان ذلك اكبر سعد ابن أبي عامر ولم يبق له بعد ذلك من يخاف منه .

ولما فرغ ابن أبي عامر من غالب دبر الحيلة في حتف جعفر ابن علي الذي اقامه اكبر معين في أمر غالب ، فواطأ على قتله أبا الاحوص وانفرد وحده .

وفي سنة ٣٧١ تسمى ابن أبي عامر بالمنصور ودُعي له على المنابر استيفاء لرسوم الملوك ، فكانت الكتب تنفذ عنه : من الحاجب المنصور أبي عامر محمد بن ابي عامر الى فلان . وأخذ الوزراء بتقيل يده ثم تابعهم على ذلك وجوه بني امية ، فكان من يدخل عليه من الوزراء وغيرهم يقبلون يده وينحنون له

عند كلامه ومخاطبته ، فانقاد لذلك كبيرهم وصغيرهم ، وإذا
بدا لابصارهم طفل من ولده قاموا اليه فاستبقوا ليده تقبيلًا
وعثموا اطرافه لثماً ، فساوى محمد بن ابي عامر الخليفة في
هذه المراتب وشاركه في تلك المذاهب ، ولم يجعل فرقاً بينهم
وبينه إلا في الاسم وحده في تصدير الكتب عنه ، حتى تناهت
حاله في الجلالة وبلغ غاية العز والقدرة .

قال حيان بن خلف : وقرأت في بعض الكتب ان محمد
ابن ابي عامر لما حجب هشاماً عن الناس واستبد بالامر دونه
ظهرت فيهم بقرطبة اقوال معرضة افشوا بينهم فيها ابياتاً
فاحشة ، فمن ذلك ما قيل عن لسان هشام الخليفة في شكواه لهم :
أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلّ ممتنعاً عليه
وتُملك باسمه الدنيا جميعاً ، وما من ذاك شي في يديه !
وما قيل في تقديم هشام وهو صغير لم يبلغ الحلم وفي قاضيه
ابن السليم :

«قد نكت» الوعد وحان الهلاك ، وكل ما تكرهه قد اتاك

يريد بذلك شغف ام هشام بابن ابي عامر لانها كانت تتهم
به ، وهي اوصلته إلى حيث وصل من الحال التي لم تتمكن لاحد
قبله ولا بعده مثلها ، فسلب هشام ملكه وجنده وماله .

وفي سنة ٣٧٢ قتل جعفر بن علي بن حمدون المعروف بابن
الاندلسي ، وذلك ان المتصور عزم بزعمه على اكرام جعفر
المذكور ليلة الاحد لثلاث خلون من شعبان من السنة مكرراً
منه وحيلة لقتله ، فانتخبه ساقى المجلس بكأس ، فقال له ابن
أبي عامر : أسقها أعزَّ الناس عليّ . فأمسك الساقى حيرة لكثرة
من ضمَّ المجلس من العلية ، فزجره ابن أبي عامر وقال :
ناولها الوزير أبا احمد عليك لعنة الله ! فقام جعفر فتناولها على
قدمه واستخفه الطرب حتى قام يرقص ، فلم يبقَ احد بالمجلس
الا فعل كفعله ، وأميلت اليه الكؤوس حتى ثقل وانصرف في
جوف الليل مع بعض غلمانه ، فخرج اليه معن واصحابه فلم
يكن فيه امتناع لما كان عليه من السكر ، فأخذتهُ السيوف
حتى برد وحزَّ رأسه ويده اليمنى وحملوا الى ابن أبي عامر سرّاً ،
فأظهر ابن أبي عامر الحزن عليه .

وفي سنة ٣٧٥ جهز المنصور جيشاً كثيفاً وبعثه الى العدو
فحاصر حسن بن قنون الشريف الحسني ، وكان حاول الخروج
من الدعوة الروانية ، واجتمع اليه خلق من أهل الغرب وظهر
أمره ، فوصله الجيش فلم يجد ملجأ الا الاستسلام للأمان ، فأمنه
قائد الجيش وحمله الى قرطبة مرقباً ، فلم يمض ابن أبي عامر أمانه
وأمر بقتله ليلاً في الطريق بغياً وتعدياً ، لأنَّ أمان قائد امانه .

فقال من شاهد قتله: أن هبت عليهم ريح عاصف، في تلك الليلة
التي قتل فيها غدرًا ذلك الشريف، صبتهم على وجوههم وسلبتهم
اثوابهم وحملت رداء حسن المقتول فلم يجدوه ، واظلم عليهم
الآفاق حتى خافوا على انفسهم .

وفيها تفرق بنو ادريس في البلاد وملك ابن أبي عامر
الغرب واخرج منه من بقي به من بني ادريس فقبل في ذلك :

فيما أرى عجب لمن يتعجب ،
جلّت مصيبتنا وضاق المذهب

اني لأكذب مقلتي فيما أرى ،
حتى أقول غلطت فيما أحسب

أ يكون حيًّا من أمة واحد ،
ويسوس ضخم الملك هذا الاحد !

تمشي عساكرهم حوالى هودج ،
اعواده فيهن قرد اشهب

ابني امية اين اعمار الدجى
منكم وما لوجوها تنغيب ؟

ثم قام بعد ذلك في الغرب على ابن ابي عامر زيري بن
عطية المغراوي، ونكث طاعته بعد الحب الشديد والولاء الاكيد،

وضغن على ابن ابي عامر تغلبه على هشام وسلبه ملكه ، فأنفذ له ابن ابي عامر واضحاً الفتي في جيش كثيف، فقاومه بالغرب ودارت بينهم حروب عظيمة ، ثم أردفه ابن ابي عامر بولده عبد الملك، وهبط ابن ابي عامر الى الجزيرة الخضراء يدهم بالقواد والأجناد ، وسار عبد الملك بن ابي عامر من طنجة الى زيري ابن عطية، ودارت بينهم حرب لم يسمع بمثلا قط، ثم انهزم زيري ومن معه ونجا مشخفاً بالجراح. وملك ابن ابي عامر بلاد الغرب الى سنة ٣٩٧

وكان سبب تمليك بني امية مغرب العدو ان عبد الرحمن الناصر وجه اليها اسطولاً، فلما حل بسبتة اعلن اهلها بدعوته ، وبادروا الى طاعته يوم الجمعة صدر ربيع الاول من سنة ٣١٩، ثم تابعت البلاد بالطاعة ؛ ثم تكاثر ورود وفودها عليه وعلى الحكم ابنه؛ ثم التاث طاعتها على ابن ابي عامر، فوجه واضحاً قتاه وسكن في جبل ابي حبيب عاماً في الاخبية ؛ ثم وجه بابنه عبد الملك اليها فالتقى بزيري وهزمه ، وغدره ابن عمه الخير بن مقاتل فطعنه برمح في قفاه وهرب ، ومات بعد ذلك زيري من الجرح بعدما لقي جموع صنهاجة اصحاب افريقية وهزمهم. وانصرف عبد الملك بعدما استقامت له الطاعة بالغرب فوجد اباه في غزاته بلاد الشاكلة منصرفاً عنها، والتقى به بسرقسطة ، وهي التي تسمى بغزاة البياض سنة ٣٧٩

وفي سنة ٣٧٩ قتل المنصور بن ابي عامر عبد الرحمن بن
مُطَرِّف صاحب سرقسطة والشعر الاعلى؛ وسبب ذلك انه لما
فكر عبد الرحمن في شأن من اتلفه ابن ابي عامر من كبار
رجال الدولة علم انه لم يبق غيره وخشي ان يلحقه بالجماعة ،
فسوّل له القدر المتاح التدبير على محمد وقرب عليه مأخذه ولده
عبد الله بن المنصور .

ذكر تدبير عبد الرحمن بن مطرف مع عبد الله بن المنصور في القيام عليه

وذلك ان عبد الله بن محمد بن أبي عامر كان مقيماً
بسرقسطة عند عبد الرحمن متغير النفس على ابيه لاحضاء عبد الملك
أخيه عنده ، وكان عبد الله يرى انه اشجع وافهم وارجل وافر
من أخيه عبد الملك ، وان اباه عين الظالم له في التسوية بعبد الملك ،
فكيف في تقديمه عليه . فكان في قلبه على أبيه سعي نار أذكاها
عبد الرحمن بن مطرف واضرّمها فتوطأ على الوثوب بالمنصور
في اول فرصة على ان يقسم ملك الاندلس : فاحضرة لعبد الله
والشعر لعبد الرحمن ؛ وشرعا في احكام سبيل ذلك والتاس وجهه ؛
وساعدهما عليه جماعة من وجوه أهل قرطبة من الجند والخدمة
وغيرهم ، فيهم : الوزير عبد الله بن عبد العزيز المرواني صاحب
طليطلة ، فانبثّت اراجيف شنيعة تحقّق المنصور صحتها ولم يشك

فيها ، فاستدعى ابنه عبد الله من سرقسطة واستأنف له كثيراً من
 التقديم والمبرورة خديعة ومغالطة ، وصرف المرواني عن طليطلة
 صرفاً جميلاً ، ثم صرفه عن الوزارة بعد مديدة والزمه داره ؛ ثم
 خرج ابن أبي عامر غازياً الى قشتيلة ، فتوافت اليه امداد
 الثغور ، فيهم : عبد الرحمن بن مطرف ورجال سرقسطة ، فلما
 صاروا بوادي الحجارة اطبق اهل الثغور على الشكوى بعبد
 الرحمن بسدسية من ابن أبي عامر لهم في ذلك حيلة منه ،
 وذكروا انه يحتبس أرزاقهم ويحتجن لنفسه ، فصرفه محمد عن
 سرقسطة منسلخ صفر من سنة ٣٧٩ المذكورة وقلدها مكانه ابن
 عبد الرحمن يحيى الملقب بسماجة ، اطماعاً لقومه التجييين في
 المحافظة ، ولبت عبد الرحمن في العسكر متردداً الى أن قبض
 عليه يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول . وسخط
 عليه المنصور وأمر بحسابه ؛ ثم قتل بعد ذلك بالزاهرة بين يدي
 المنصور ، واستدعى المنصور ابنه عبد الله الى عسكره خوفاً من ان
 يحدث حدثاً بانفته ، فوافى العسكر ، ففرق به أبوه ، وأمل
 استصلاحه ، وقد تباعد ذلك عليه لسقم سريره وشدة حقهده ؛
 ونازل المنصور اثناء ذلك مدينة شنت استين ، فلما اشتغل
 المسلمون بالقتال فرّ عبد الله بن المنصور من العسكر في ستة
 نفر من غلماناه ، فلحق بعدو الله غرسية بن فردلند صاحب

أَلْبَبَةً فقبله وأجاره على أبيه . فتحرك المنصور لغزو غرسية ومطالبته باسلام ابنه اليه واقسم له انه لا يقلع عنه حتى يمكنه من ولده ، واقرب غرسية على الامتناع من ذلك ، فهزم المنصور غرسية وفض جمعه ، واشتق بلد ألبة وافتتح حصن وخشمة عنوة واسكنه المسلمين .

فضرع غرسية في مسالته على ما شاء من شروطه في عبد الله وغيره ، فعقد له المنصور على ذلك ، فوكل غرسية بعبد الله جماعة من العلوج ، وحمل عبد الله وأصحابه على البغال ، وخرج سعد الحادم يستقبل عبد الله ، فدنا من سعد وهو على بغل فارده مرتفع الحلية عليه ثوب وشي عجيب الصنعة ، وهو متطلق قوي الرجاء في الاقالة ، فقبل سعد يده وآنسه وهو عليه الخطب ، ثم تخلف عنه بقرب الوادي الجوفي ووكل به من قتله ، فحفف به الموكلون واعلموه بموته .

ذكر مقتل عبد الله بن المنصور

ولما أعلموه بان حل به ما كان يحذره امره بالنزول فلم يمنع لهم وترجل ومشى الى السيف متطلقاً ، فظهرت منه عند الموت صرامة عجب لها من شاهده ، وتقدم اليه ابن خفيف الشرطي ف ضرب عنقه صبراً عند غروب الشمس من يوم الاربعاء

لاربعة عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ٣٨٠، وأنفذ المنصور رأس ابنه الى الخليفة مع كتاب الفتح، ودفن جسده في الموضع الذي قتل فيه، وكانت سنه يوم قتل ثلاثاً وعشرين سنة، وذلك في غزوته الخامسة والاربعين. ثم ان ابن أبي عامر استقل سعداً وابن خفيف ولم يزل حاقداً عليهما حتى قتلها بعد الامتحان، وازداد ابن أبي عامر بما فعله بابنه هيبة وملئت قلوب الناس منه ذعراً.

ومما حكى في أمر عبد الله المقتول

قال الوزير أبو عمر بن عبد العزيز : لما قتل المنصور ابنه ارتاع الناس لذلك واوحشهم فعله ، فتكلموا في ذلك كثيراً ورجموا فيه الظنون ، ولم يتوجه لاحد فيه سبب يقضي بقتله ، ثم تحرّك المنصور أثر ذلك في بعض غزواته ، فلما احتلّ بقلعة رباح ، قال المخبر : دُعينا الى الطعام ، فلما كنّا في وسط الطعام ، وقد استفاض الحديث في عبد الله المقتول ، فقال من حضر على لسان واحد : أيّد الله المنصور ، لقد صرّت من قتله في غاية يعدم الصبر في مثلها ، فما سبب ذلك ؟ قال : لا أعلم له سبباً الا اني لما عرضت امه علقّت بها وتمكّن من قلبي حبّها تمكّناً لم أقدر ان اسلو عنه ، فابتعتها متجاوز النهاية في ثمنها وجعلتها عند

قريبة لي، وكنتُ كل يوم اخطر عليها اتعرف استبراءها، فلما احسستُ بحبي لها وكلفني بها توخَّتُ رضائي وذكرتي لي انها قد استبرأت، وهي كاذبة في ذلك، تريد بذلك موافقة مساري واستعجال مرادي، فدخلتُ بها وهي لم تستبرأ فكنتُ شاكراً فيه، وكان مولده سنة ٣٥٨

حكاية زطرزون البربري مع المنصور

وجرت للمنصور غيبٌ ذلك مع رجل من اعيان البربر اسمه زطرزون بن تزار البوزالي نادرة، وذلك انه قال يوماً، وقد بسطه في بعض المجالس: يا مولاي لم قتلْتَ عبد الله ابنك؟ ووصف شجاعته وخصاله، فقال له المنصور: لا يسؤك ذلك، فلو لم أفعل لقتلني، وما كان من ولدي وبهذا اتَّهَمْتُ امه، وكانت أمةً سوءً، وقد قالوا ان الارحام الردية تفسد الذرية. فقال الجاهل زطرزون: كذا يا مولاي فحرام امه وحرم أبيه. فخبيل المنصور وقال: شقينا بهذا الملعون في حياته وبعد موته؛ وعلم ما كان عليه زطرزون من الجهالة، فأعرض عنه وصارت كلمته ماثورة في الناس مدة طويلة.

وكان المنصور آية من آيات فاطره دهاءً ومكرراً وسياسة، عدا بالمصاحفة على الصقالبة حتى قتلهم واذلَّهم؛ ثم عدا بغالب

الناصري على المصاحفة حتى قتلهم وأبادهم ؛ ثم عدا بجعفر بن
الاندلسي على غالب حتى قتله ؛ ثم عدا بنفسه على جعفر وقتله ؛
ثم انفرد بنفسه وصار ينادي صروف الدهر : هل مِن مبارز؟ فلما
لم يجده حمل الدهر على حكمه فانقاد له وساعده ، فاستقام أمره
منفرداً بمملكة لا سلف له فيها .

ومن أوضح الدلائل على سعده أنه لم ينكب قط في حرب
شهدها ، وما توجهت قط عليه هزيمة ، وما انصرف عن موطن إلا
قاهراً غالباً على كثرة ما زاول من الحروب ومارس من
الاعداء وواجه من الامم ، وانها خاصة ما احسب شره فيها
أحد من الملوك الاسلامية . ومن أعظم ما أعين به مع قوة سعده
وتمكّن جدّه ، سعة جوده وكثرة بذله ، فقد كان في ذلك
اعجوبة الزمان ، واول ما اتّكأ على ارائك الملك وارتفق ،
وانتشر عليه لواء السعد وخفق ، حطّ صاحبه المصحفي ، وأثار
له كامن حقد الخفي ، حتى اصاره للهموم لبيساً ، وفي غيابات
السجون حبلياً ، فكتب اليه يستعطفه :

همني اسأتُ فاين العفو والكرم ،
اذ قاذني نحوك الاذعان والندم

يا خير من مُدَّتْ الايدي اليه ، أما
ترثي لشيخ نعاه عندك القلم ؟

بالغت في الخطّ ، فاصفح صفح مقتدر ؛
ان الملوك اذا ما استرحموا رحموا

فما زاده ذلك الا حنقاً وحقداً ، ولا افادته الأبيات الا
تضرماً ووقداً ، فراجعه بما اياسه وأراه مرمسه ، وأطبق عليه
محبسه ، وضيق نزوحه عن المحنة وتنفسه :

الآن يا جاهلاً زلّت بك القدم ،
تبغي التكرّم لما فاتك الكرم

أغرّيت بي ملكاً ، لولا تثبّته
ما جاز لي عنده نطق ولا كلم

• فإياس من العيش ، اذ قد صرت في طبق ؛
ان الملوك اذا ما استنقموا نقموا

نفسي اذا سخطت ليست براضية ،
ولو تشفّع فيك العرب والعجم

وكان من أخبار المنصور الداخلة في أبواب البر والقربة
بنيان المسجد الجامع والزيادة فيه سنة ٣٧٧ ، وذلك انه لما زاد
الناس بقربة وانجلب اليها قبائل البربر من العدو وافريقية ،
وتناهى حالها في الجلالة ، ضاقت الأرباض وغيرها ، وضاق
المسجد الجامع عن حمل الناس ، فشرع المنصور في الزيادة بشرقيه

حيث تتمكن الزيادة لاتصال الجانب الغربي ببعض القصور
الحلافية، فبدأ ابن أبي عامر هذه الزيادة على بلاطات تمتد طويلاً
من اول المسجد الى آخره، وقصد ابن أبي عامر في هذه الزيادة
المبالغة في الاتقان والوثاقة دون الزخرفة ، ولم يقصر مع هذا
عن سائر الزيادات جودة، ما عدا زيادة الحكم .

واول ما عمله ابن أبي عامر تطيب نفوس أرباب الدور
والمستغلات الذين اشترت منهم للهدم لهذه الزيادة بانصافهم من
التمن ، أو بمعارضة ، وصنع في صحنه الجب العظيم قدره الواسع
فنائوه ؛ وابن أبي عامر رتب احراق الشمع في المسجد الجامع
زيادة للرسم، فتطابق بذلك النوران ، وكان عدد سواري الجامع
الحاملة لسماؤه واللاصقة بمبانيه وفنائيه ومناره ، ما بين كبيرة
وصغيرة ، الف سارية وأربع مائة سارية وسبع عشرة سارية ؛
وعدد ثريات الجامع ، ما بين كبيرة وصغيرة ، مائتان وثمانون
ثريا ؛ وعدد الكؤوس سبعة آلاف كأس واربعمائة كأس
وخمس وعشرون كأساً ؛ ووزنة مشاكي الرصاص للكؤوس عشرة
ارباع القنطار او نحوها ؛ ووزنة ما يحتاج اليه من الكتان للفتائل
في كل شهر رمضان ثلاثة أرباع القنطار ؛ وجميع ما يحتاج اليه
الجامع من الزيت في السنة خمس مائة ربيع أو نحوها ؛ يصرف
منه في رمضان خاصة نحو نصف العدد .

وبما كان يختص برمضان المعظم ثلاثة قناطير من الشمع
وثلاثة ارباع القنطار من الكتان العصر لاقامة الشمع المذكور،
والكبيرة من الشمع توقد بجانب الامام يكون وزنها من خمسين
الى ستين رطلاً، يحترق بعضها بطول الشهر ويعم الحرق لجميعها
ليلة الحتمة .

وكان من يخدم الجامع المذكور بقرطبة في دولة ابن أبي
عمر ويتصرف فيه من ائمة ومقرئين وامناء ومؤذنين وسدنة
وموقدين وغيرهم من المتصرفين مائة وتسعة وخمسين شخصاً ،
ويوقد من البخور ليلة الحتمة أربع أواق من العنبر الاشهب
وثماني اواق من العود الرطب .

ومن ذلك بنيان قنطرة على نهر قرطبة الاعظم ، ابتداءً
بنيانها المنصور سنة ٣٧٨ وفرغ منها في النصف من سنة ٣٧٩ ،
وانتهت النفقة عليها الى مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار ،
فعظمت بها المنفعة وصارت صدراً في مناقبه الجليلة ، وكانت قطعة
أرض لشيخ من العامة ولم يكن للقنطرة عدول عنها ، فأمر
المنصور امناءه بارضائه فيها ، فحضر الشيخ عندهم واخذ حذره
منهم ، فساوموه بالقطعة وعرفوه وجه الحاجة اليها وان المنصور
لا يريد الا انصافه فيها ، فرماهم الشيخ بالفرض الاقصى عنده ، فيما
ظنّه ، ألاّ تخرج عنه بأقلّ من عشرة دنانير ذهباً كانت عنده

أقصى الأمانة وشرطها صحاحاً، فاعتنم الأمانة غفلته ونقدوده الثمن
واشهدوا عليه، ثم أخبروا المنصور بنجره فضحك من جهالة وانف
من غبه وأمر أن يعطى عشرة أمثال ما سأل وتدفع له صحاحاً
كما قال، فقبض الشيخ مائة دينار ذهباً فكاد أن يخرج عن عقله
وأن يجنّ عند قبضها من الفرح، وجاء محتفلاً في شكر المنصور
وصارت قصته خبراً سائراً .

ومن ذلك أيضاً بنیان قنطرة على نهر استجة، وهو نهر شليل،
وتجشم لها أعظم مؤنة وسهل الطرق الوعرة والشعاب الصعبة .
ومن ذلك أنه خطّ بيده مصحفاً كان يحمله معه في أسفاره
يدرس فيه ويتبرك به .

ومن قوة رجائه أنه اعتنى بجمع ما علق بوجهه من الغبار
في غزواته ومواطن جهاده ، فكان الخدم يأخذونه عنه بالمناديل
في كل منزل من منازلهم، حتى اجتمع له منه صرة ضخمة عهد
بتصويره في حنوطه عند موته ، وكان يحمله حيثما صار مع
أكفانه توقّعاً لحلول منيته، وقد كان اتخذ الأكفان من أطيب
مكسبه من الضيعة الموروثة من أبيه وغزل بناته ، وكان يسأل
الله تعالى أن يتوفاه في طريق الجهاد ، فكان ذلك .

وكان المنصور متسماً بصحة باطنه واعترافه بذنبه وخوفه
من ربه وكثرة جهاده ، وإذا ذكر بالله ذكر ، وإذا خوف

من عقابه ازدجر ، ولم يزل متنزهاً عن كل ما يفتن به الملوك
سوى الحمر لكنه أفلح عنها قبل موته بسنتين .

وكان عدل المنصور في الخاصة والعامة واطراحه المهادنة
وبسطه الحق على الاقرب فالأقرب من خاصته وحاشيته أمراً
مضروباً به المثل . ومن عدله انه وقف عليه رجل من العامة
يوماً بمجلسه فناده : يا ناصر الحق ! ان لي مظلمة عند ذلك الوصيف
الذي على رأسك ، وأشار الى الفتى صاحب الدرة وكان له
فضل محلّ عند ابن أبي عامر ، ثم قال : وقد دعوتُه الى الحاكم
فلم يأت . فقال المنصور : أو عبد الرحمن بن فطيس بهذه المنزلة
من العجز والمهانة وكنا نظنّه أمضى من ذلك ؟ اذكر مظلمتك
يا هذا . فذكر الرجل معاملة كانت جارية بينهما قطعها من غير
نصف . فقال المنصور : ما اعظم بليتنا بهذه الحاشية ! ثم نظر
الى الصقلي ، وهو قد ذهل عقله ، فقال : ادفع الدرة الى
فلان وانزل صاغراً وساوِ خصمك في مقامه حتى يرفعك الحق
او يضعك . ففعل ومثل بين يديه ، ثم قال لصاحب شرطته
الخاص به : 'خذ بيد هذا الظالم الفاسق وقدمه مع خصمه الى
صاحب المظالم لينفذ عليه حكمه باغلظ ما يوجبه الحق من سجن
أو غيره . ففعل ذلك وعاد الرجل اليه شاكراً ، فقال له
المنصور : قد انتصفت أنت فاذهب لسبيلك وبقي انتصافي أنا

يَمْنُ تهاون بمنزلي ؛ فتناول الصقلي بانواع من المذلة وانفذه
عن الخدمة .

ومن ذلك قصة فتاه الكبير المعروف بالمبورقي مع التاجر
المغربي ، فانهما تنازعا في خصومة توجهت فيها اليمين على الفتى
المذكور ، وهو يومئذ اكبر خدام المنصور واليه أمر داره وحرمه ،
فدافع الحاكم وظناً ان جأه يمنع من احلافه . فصرخ التاجر
بالمنصور في طريقه الى الجامع متظلماً من الفتى ، فوكل به في
الوقت من حمله الى الحاكم فانصفه منه ، وسخط عليه المنصور
وقبض نعمته منه ونفاه .

ومن ذلك قصة محمد فصّاد المنصور وخادمه وأمينه على
نفسه ، فان المنصور احتاجه يوماً الى الفصد ، وكان كثير التعهد
له ، فانفذ رسوله الى محمد فالفاه الرسول محبوساً في سجن القاضي
محمد بن زرب حيف ظهر منه على امرأته ، قدر ان سبيله من
الخدمة يحميه من العقوبة ، فلما عاد الرسول الى المنصور بقصته
أمر باخراجه من السجن مع رقيب من رقباء السجن يلزمه الى
ان يفرغ من عمله ، ثم يعيده الى محبسه ، ففعل ذلك على ما رسمه
وذهب الفاصد الى شكوى ما ناله ، فقطع عليه المنصور وقال له :
يا محمد انه القاضي ، وهو في عدله ، ولو أخذني الحق ما اطلقت
الامتناع منه . عُدْ الى محبسك او اعترف بالحق ، فهو الذي يطلقك .

فانكسر الحاجم وزال عنه ريح العناية ؛ وبلغت قصته القاضي فصالحه مع زوجه ، وزاد القاضي شدة في احكامه .

ومن دهائه قال ابن حيان : كان جالساً في بعض الليالي ، فكانت ليلة شديدة البرد والريح والمطر ، فدعا بأحد الفرسان وقال له : انهض الى فج طليارش واقم فيه ، فأول خاطر يخطر عليك سقه الي . قال : فنهض الفارس وبقي في الفج في البرد والريح والمطر واقفاً على فرسه ، اذ وقف عليه قرب الفجر شيخ هرم على حمار له ومعه آلة الخطب ، فقال له الفارس : الى أين تذهب يا شيخ؟ فقال : وراء حطب . فقال الفارس في نفسه : هذا شيخ مسكين نهض الى الجبل يسوق حطباً ، فما عسى ان يريد المنصور منه ؟ قال : فتركته فसार عني قليلاً ، ثم فكرت في قول المنصور وخفت سطوته ، فنهضت الى الشيخ وقلت له : ارجع الى مولانا المنصور . فقال : وما عسى ان يريد المنصور من شيخ مثلي؟ سألتك بالله ان تتركني لطلب معيشتي . فقال له الفارس : لا افعل . ثم قدم به على المنصور ومثله بين يديه وهو جالس لم ينم ليلته تلك ، فقال المنصور للصقابة : فتشوه . ففتش فلم يوجد عنده شيء ، فقال : فتشوا برذعة حماره ، فوجدوا داخلها كتاباً من نصارى كانوا قد نزعوا الى المنصور يخدمون عنده الى اصحابهم من النصارى ليقبلوا ويضربوا في احدى

النواحي المعلومة ، فلما انبلج الصبح أمر باخراج اولئك النصارى الى باب الزاهرة فضربت اعناقهم وضربت رقبة الشيخ معهم . ومن ذلك قصة الجوهرى التاجر : وذلك ان رجلاً جوهرياً من تجار المشرق قصد المنصور من مدينة عدن بجوهر كثير وأحجار نفيسة ، فاخذ المنصور من ذلك ما استحسنه ودفع الى الجوهرى التاجر صرته وكانت قطعة يمانية ، فاخذ التاجر في انصرافه طريق الرملة على شط النهر ، فلما توسّطها ، واليوم قانظ وعرقه منصب ، دَعَنَّهُ نفسه الى التبرُّد في النهر ، فوضع ثيابه وتلك الصرة على الشط ، فمرت حدأة فاخطففت الصرة تحسبها لحماً وصاعدت في الافق بها ذاهبة ، فقطعت الافق الذي تنظر اليه عين التاجر ، فقامت قيامته وعلم انه لا يقدر ان يستدفع ذلك بدعوى ولا بحيلة ، فأَسْرَّ الحزن في نفسه ولحَقَّتْه لاجل ذلك علة اضطرب فيها . وحضر الدفع الى التجار فحضر الرجل لذلك بنفسه ، فاستبان له ما بالرجل من المهانة والكآبة ، وفقد ما كان عنده من النشاط وشدة العارضة ، فسأله المنصور عن شأنه فاعلمه بقصته فقال له : هلا أتيت الينا بمحدثان وقوع الامر ، فكُنَّا نستظهر على الحيلة ، فهل هديت الى الناحية التي أخذ الطائر اليها ؟ قال : مرَّ مَشْرِقاً على سمت هذا الجنان ، الذي يلي قصر ك ، يعني الرملة . فدعا المنصور شرطيه الخاصَّ به فقال له : جئني بمشيخة أهل الرملة

الساعة . فبضى وجاء بهم سريعاً فامرهم بالبحث عن غير حال
الاقتلال منهم سريعاً وانتقل عن الاضافة دون تدريج . فتناظروا
في ذلك ثم قالوا : يا مولانا ما نعلم الا رجلاً من ضعفائنا كان
يعمل هو واولاده بأيديهم ويتناولون السبق باقدامهم عجزاً عن
شراء دابة ، واكتسى هو وولده كسوة متوسطة . فامر باحضاره
من الغد وأمر التاجر بالعدو الى الباب ، فحضر الرجل بعينه بين
ييدي المنصور فاستدناه ، والتاجر حاضر ، وقال له : سببُ ضاع
منّا وسقط اليك ، ما فعلت به ؟ فقال : هوذا يا مولاي . وضرب
بيده الى حجرة سراويله فاخرج الصرة بعينها ، فصاح التاجر طرباً ،
وكاد يطير فرحاً . فقال له المنصور : صف لي حديثها . قال :
نعم ، بينا انا أعمل في جناني تحت نخلة اذ سقطت أمامي ،
فأخذتها وراقني منظرها ، فقلت : ان الطائر اختلسها من قصرك
لقرب الجوار ، فاحترزت بها ودعّيتني فاقتني الى أخذ عشرة مثاقيل
عيوناً كانت معها مصرورة ، وقلت : أقل ما يكون في كرم
مولاي ان يسمح لي بها . فأعجب المنصور ما كان منه وقال
للتاجر : خذ صرّتك وانظرها واصدقني عن عددها . ففعل ،
وقال : وحقّ رأسك يا مولاي ، ما ضاع منها شيء سوى
الدنانير التي ذكرها وقد وهبتها له . فقال له المنصور : نحن
اولى بذلك منك ولا ننعص عليك فرحتك ، ولولا جمّعه بين

الاصرار والاقرار لكان ثوابه موفوراً عليه . ثم أمر للتاجر بعشرة دنانير عوضاً من دنانيره ، وللجنان بعشرة دنانير ثواباً لتأنيته عن افساد ما وقع بينه، وقال : لو بدأنا بالاعتراف قبل البحث لأوسعناه جزاء .

قال : فأخذ التاجر في الثناء على المنصور وقد عاوده نشاطه وقال : والله لأبشّر في الأقطار عظيم ملكك ولأبينّ انك تملك طير عملك كما تملك انسها ، فلا تعتصم منك ولا تؤذي جارك . فضحك المنصور وقال : اقصد في قولك يغفر الله لك . فعجب الناس من تلطف المنصور في أمره وحيلته في تفريج كربته .

وكان المنصور أشدّ الناس في التغيّر على من عنده شيء من الفلسفة والجدل في الاعتقاد والتكلّم في شيء من قضايا النجوم وأدلتّها، والاستخفاف بشيء من أمور الشريعة؛ وأحرق ما كان في خزائن الحكم من كتب الدهرية والفلاسفة بمحض كبار العلماء: منهم الاصيلي وابن ذكوان والزبيدي وغيرهم ، واستولى على جميع حرقها بيده .

ومن أوقع به المنصور في مثل هذه المعاني المنكرة محمد بن أبي جبعة ، بلغه عنه قول من الارجاف في القطع على انقراض دولته ، فقطع لسانه ثم قتله وصلبه ، فخرست ألسن جميعهم لذلك . وكذلك أيضاً عبد العزيز بن الخطيب الشاعر وكان أرفع

اهل هذه الطبقة منزلةً ، وكان مقدماً في أصحاب المنصور حتى
فسد ضميره عنده، وبقي مدة يلتمس غرة منه ، حتى قال في
بعض أبيات من شعره افراط فيها :

ما شئتَ لا ما شاءت الاقدار ،
فاحكمُ فانت الواحد القهار
فكأنما أنت النبي محمد ،
وكأنما أنصارك الانصار

فأمر بضربه خمسمائة سوط ونودي عليه باستخفافه ثم حبسه
ونفاه بعد عن الاندلس .

وفي سنة ٣٨١ رشح المنصور ولده عبد الملك للولاية وقدم
أخاه عبد الرحمن للوزارة، وترك اسم الحجابة، واقتصر على التسمي
بالمنصور وان يكتب: من المنصور أبي عامر وفقه الله الى فلان،
يحذف اسم الحجابة ويذكر اسم ولده عبد الملك بخطة الحجابة
والقيادة العليا؛ وسائر خطط المنصور سلم فيها لابنه عبد الملك
وصحّت له الحجابة من يومئذ، وبعد هذا استبدل المنصور جند
الاندلس بالبربر فاقام لنفسه جنداً اختصّهم باستناعه واسترقّهم
باحسانه، نسخ بهم في المدة القريبة جند الخليفة الحكم رحمه الله
كما فعله في سائر اموره .

واتّفق في ذلك الوقت ان تحرّك بلقين بن زيري الصنهاجي

الى المغرب في جموعه وأوقع بقبائل زناتة طالباً ثار أبيه زيري ،
فهربوا أمامه كلهم الى سبتة وضاعت عليهم ارض العدو ، فقليل
لابن أبي عامر : قد أمكنك الله من اصطناع فرسان زناتة
واعتماد المنة عليهم ، فارسل فيهم يأتوك سراعاً ، فيجد احسانك
اليهم مكاناً . فعمل ابن أبي عامر على ذلك وانفذ كتبه الى قبائل
العدو يستدعيهم ويتضمن الاحسان اليهم والتوسعة عليهم ،
حتى كثروا بالاندلس فحسنّت أحوالهم وكثرت أموالهم ،
وما زالوا خاصته وبطانته الى ان هلك وانقرضت الدولة العامرية ،
وقد صار بالاندلس منهم القبائل بأسرها ، وكاثروهم حتى نفذ
قضاء الله عليهم بأيديهم .

وفي سنة ٣٨٦ عهد المنصور ان يخصّ بتسويده من بين
سائر الناس كافة في المخاطبات ، وان يرفع ذلك عن سائر اهل
الدولة مع الاقتصاد في مراتب الأدعية ، فنفذ الكتب بذلك ،
وجرى العمل عليه بقية حياته ، وخطوب هذا الوقت بالملك
الكريم ، واستبلغ في تكريمه وتعظيمه .

غزوة شت ياقوب على سبيل الاختصار

وعند تناهي المنصور بن أبي عامر في هذا الوقت على الاقتدار
والنصر على ملوك الطاغية دمرها الله سما الى مدينة شت ياقوب

قاصية غليسية، واعظم مشاهد النصارى الكائنة ببلاد الأندلس وما يتصل بها من الأرض الكبيرة ، وكانت كنيستها عندهم بمنزلة الكعبة عندنا ، فيها يحلفون ، واليهما يحجّون من أقصى بلاد رومة وما وراءها ، ويزعمون ان القبر المزور فيها قبر ياقوب الحواري أحد الاثني عشر رحمهم الله ، وكان أخصّهم بعيسى (ع.م) وهم يسمونه اخاه للزومه اياه ، وقد زعم جماعة منهم انه ابن يوسف النجار .

وشئت ياقوب هي مدفن ياقوب ، وكان دخوله اليها على قورية ، فهم يسمونه اخا الربّ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً ؛ وياقوب بلسانهم يعقوب ، وكان اسقفاً بيت المقدس ، فجعل يستقري الأرضين داعياً لمن فيها ، فجاز الى الاندلس حتى انتهى الى هذه القاصية ، ثم عاد الى ارض الشام فقتل بها وله مائة وعشرون سنة شمسية ، واحتمل اصحابه رتمه فدفنوها بهذه الكنيسة التي كانت أقصى أثره ولم يطمع احد من ملوك الاسلام في قصدها ولا الوصول اليها لصعوبة مدخلها وخشونة مكانها وبعد شقتها .

فخرج المنصور اليها من قرطبة غازياً بالصائفة يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة ٣٨٧ وهي غزوته الثامنة والاربعون ، ودخل على مدينة قورية ، فلما وصل المنصور الى مدينة

غليسية وافاء عدد عظيم من القوامس المتمسكين بالطاعة في
رجالهم وعلى أتم احتفالهم، فصاروا في عسكر المسلمين وركبوا
في المغاورة سبيلهم. وقد كان المنصور تقدّم في انشاء اسطول
كبير في الموضع المعروف بقصر أبي دانس من ساحل غرب
الاندلس وجهزه برجاله البحريين وصنوف المترجلين، وحمل
الاقوات والاطعمة والعدد والاسلحة استظهاراً على نفوذ العزيمة،
الى ان خرج بموضع يرتقال على نهر دويرة، فدخل في النهر الى
المكان الذي عمل المنصور على العبور منه، فعقد هناك من هذا
الاسطول جسراً بقرب الحصن الذي هناك، ووزع المنصور ما
كان فيه من الميرة على الجند فتوسعوا في التزود منه الى أرض
العدو .

ثم نهض يريد شنت ياقوب فقطع أرضين فتباعدت الاقطار
وقطع بالعبور عدة انهار كبار وخلصان يمدّها البحر الاخضر، ثم
أفضى العسكر بعد ذلك الى بسائط جليلة من بلاد فلطارش
ومباسطة والدير وما يتصل بها؛ ثم افضى الى جبل شامخ شديد
الوعر لا مسلك فيه ولا طريق، لم تهتد الأدلاء الى سواه،
فقدم المنصور الفعلة بالحديد لتوسعة شعبه وتسهيل مسالكه،
فقطعه العسكر وعبروا بعده وادي منية، وانبط المسلمون
بعد ذلك في بسائط عريضة وأرضين اريضة، وانتهت مغيرتهم الى

دير قسطن وبسيط بلبنوط على البحر المحيط ، وفتحوا حصن
شنت بلايه وغنموه، وعبروا سباحة الى جزيرة من البحر المحيط
لجأ اليها خلق عظيم من أهل تلك النواحي، فسبوا من فيها ممن
لجأ اليها ، وانتهى العسكر الى جبل مراسية المتصل من أكثر
جبهاته بالبحر المحيط ، فتخللوا أقطاره واستخرجوا من كان فيه
وحازوا غنائمه ، ثم أجاز المسلمون بعد هذا خليج لورقي
في معبرين ارشد الادلاء اليهما ثم نهر ايله ، ثم أفضوا الى
بسائط واسعة العمارة كثيرة الفائدة، منها: بسيط اونبة وقرجيطه
ودير شنت برية، ثم انتهوا الى خليج ايليا، وهو من مشاهد
ياقوب ايضاً صاحب القبر، تلو مشهد قبره عند النصارى في
الفضل، يقصد نساكهم له من اقاصي بلادهم ومن بلاد القبط
والنوبة وغيرها، فغادره المسلمون قاعاً؛ وكان النزول بعده على
مدينة شنت ياقوب البائسة، وذلك يوم الاربعاء لليلتين خلتا من
شعبان، فوجدها المسلمون خالية من أهلها، فحاز المسلمون
غنائمها وهدموا مصانعها واسوارها وكنيستها وغفوا آثارها ،
ووكل المنصور بقبر ياقوب من يحفظه ويدفع الأذى عنه؛ وكانت
مصانعها بديعة محكمة فغودرت هشيماً كأن لم تغن بالأمس،
وذلك يوم الاثنين والثلاثاء بعده ، وانتسفت بعوثة بعد
ذلك سائر البسائط، وانتهت الى جزيرة شنت مانكش منقطع هذا

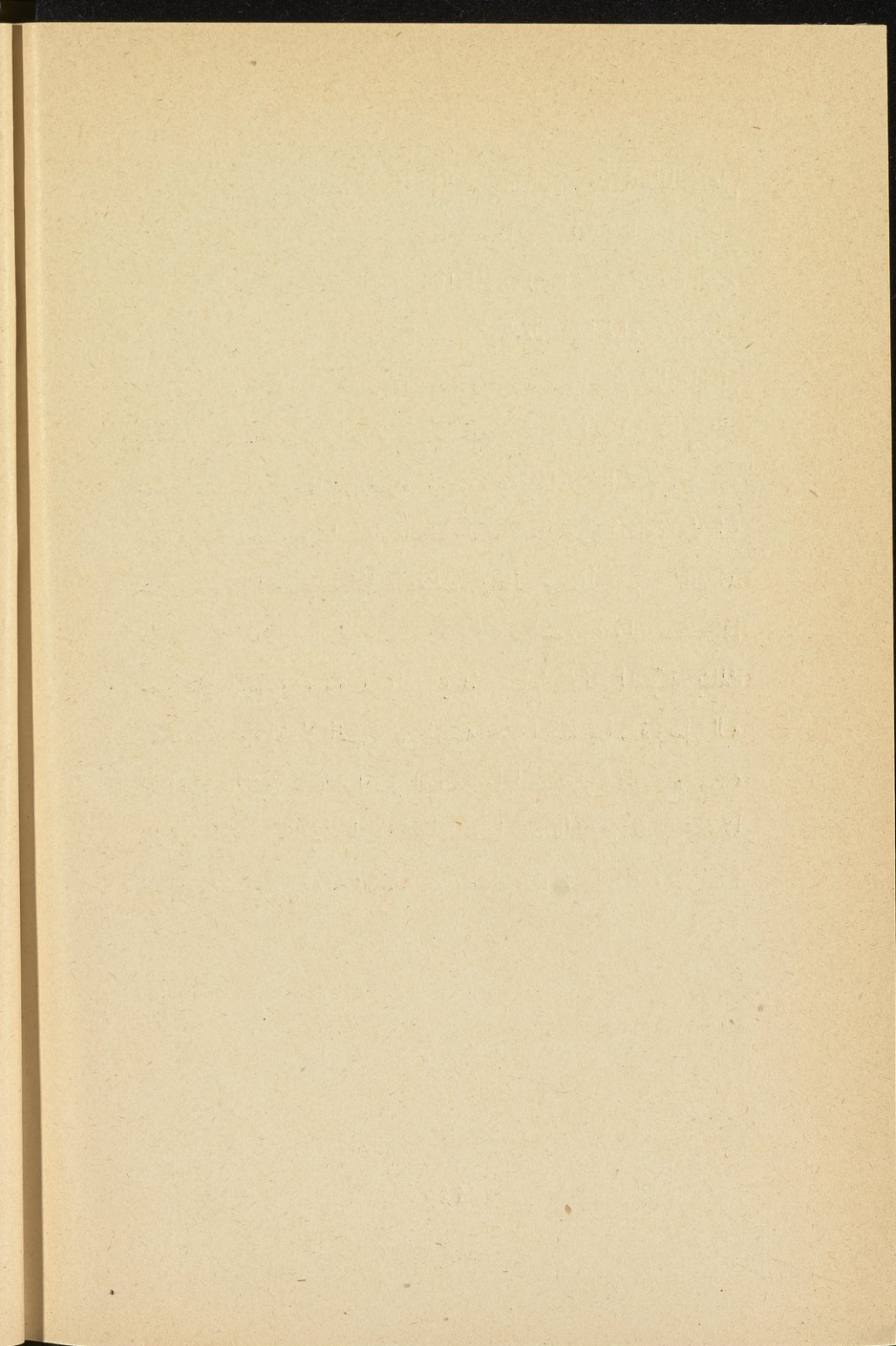
الصقع على البحر المحيط ، وهي غاية لم يبلغها قبلهم مسلم ولا
وطئها لغير أهلها قدمٌ ، فلم يكن بعدها للخليل مجال ولا وراءها
انتقال .

وانكفاً المنصور عن باب شنت ياقوب وقد بلغ غاية لم
يبلغها مسلم قبله ، فجعل في طريقه القصد على عمل برمند بن
أردون ليستقرئه عائثاً ومفسداً ، حتى وقع في عمل القوامس
المعاهدين الذين في عسكره ، فأمر بالكف عنها ومرّ مجتازاً حتى
خرج الى حصن مليقه من اقتتاحه ، فاجاز هناك القوامس بجملتهم
على اقدارهم وكسأهم وكسا رجالهم وصرفهم الى بلادهم . وكتب
بالفتح من مليقه ، وكان مبلغ من اكسأه ابن أبي عامر في غزاته
هذه من ملوك الروم ومن حسن غناؤه من المسلمين الفين
ومائتين وخمساً وثمانين شقة من صنوف الحز الطرازي وواحداً
وعشرين كسأه من صوف البحر وكسائين عنبريين واحد عشر
سقلاطوناً وخمس عشرة مريشاث وسبعة انماط ديباج وثوبي
ديباج رومي وفرو فنك .

ووافي جميع العسكر قافلاً الى قرطبة سالماً غانماً ، وعظمت
النعمة والمنة على المسلمين والحمد لله ، ولم يجد المنصور بشنت
ياقوب الا شيخاً من الرهبان جالساً على القبر ، فسأله عن مقامه
فقال : أوانس يعقوب . فأمر المنصور بالكف عنه .

قال الفتح بن خاقان : وتمرّس المنصور ببلاد الشرك اعظم تمرّس ، ومحا من طواغيتها كل تعجرف وتغطرس ، وغادرهم صرعى البقاع ، وتركهم أذلّ من وتد بقاع ، ووالى بلادهم الوقائع ، وسدد الى اكبادهم سهام الفجائع ، وأغصّ بالحمام أرواحهم ، ونقص بتلك الآلام بكورهم ورواحهم ، ومن اوضح الامر هنالك ، وأفصح الأخبار في ذلك ، ان احد رسله كان كثير الانتياب لذلك الجنب ، فسار في بعض مسيراته الى غرسة صاحب البشكنش ، فصادفه في يوم فصّح ، فوالى في اكرامه ، وتناهى في برّه واهتمامه ، فطالت مدته فلا متنزهاً الا مرّاً عليه متفرجاً ، ولا موضعاً الا سار اليه معرجاً ، فحلّ في ذلك أكثر الكنائس هنالك . فبينما هو يجول في ساحتها ويجيل العين في مساحتها ، اذ عرضت له امرأة قديمة الاسر ، قوية على طول الكسر ، فكلمته وعرفته بنفسها واعلمته ، وقالت له : أيرضى المنصور ان ينسى بتنعمه بوسها ، ويتمتع بلبوس العافية ، وقد قضت لبوسها ، وزعمت ان لها عدة من السنين بتلك الكنيسة محبسة ، وبكل ذل وصغار ملبسة ، وناشدته الله في انهاء قصتها وبراء غصتها ، واستحلفتها بأغلظ الايمان ، وأخذت عليه في ذلك اوكد مواثيق الرحمان ، فلما وصل الى المنصور عرفه بما يجب تعريفه به واعلامه ، وهو مُصنع اليه حتى تمّ كلامه .

فلما فرغ من قصّـه قال له المنصور : هل وقفتَ هنالك على
أمر انكرته ، ام لم تقف على غير ما ذكرته ؟ فاعلمه بقصة
المرأة وما خرجت عنه اليه ، وبالمواثيق التي أخذت عليه ، فعتبه
ولامه على أن لم يبدأ بها كلامه ، ثم أخذ في الجهاد من فوره
وعرض مَنْ مِنْ الأجناد في نجده وغوره ، وأصبح غازياً على
سرجه ، مباهياً مروان يَوْمَ مَرْجِه ، حتى وافى ابن شانجه في
جمعه ، فانخذت مهابته ببصره وسمعه ، فبادر بالكتاب اليه ،
يتعرف ما الجنية ويحلف له باعظم اليّة ، ما جنى ذنباً ، ولا نبا
عن مضجع الطاعة جنباً ، فعنف ارساله وقال لهم : كان قد
عاقبني الا يبقى بارضه مأسورة ولا مأسور ، ولو حملته في
حواصل النصور ، وقد بلغني بعدُ مقامُ فلانة المسبّلة بتلك
الكنيسة ، والله لا انتهي عن أرضه حتى اكتسحها . فارسل اليه
المرأة في اثنتين معها واقسم له أنه ما ابصرهن ولا سمع بهن ،
وأعلمه ان الكنيسة التي أشار بعلمها قد بالغ في هدمها تحقيقاً
لقوله ، وتضرع اليه في الاخذ فيه بطوله ، فاستحيا منه وصرف .



البيان المغرب في أخبار المغرب

الجزء الثاني في

أخبار الاندلس

- ١ . . . ذكر صفة الاندلس وأوليتها
- ذكر دخول المسلمين الى الاندلس وانتزاعها من ايدي
- ٥ . . . الكفار
- ١٣ ذكر ما افتتح طارق بن زياد من البلاد سنة ٩٢ من الهجرة
- ١٤ . . . فتح قرطبة
- ١٥ . . . فتح مالقة
- ١٦ . . . فتح غرناطة قاعدة البيرة
- ١٧ . . . فتح طليطلة
- ١٩ . . . فتح قرمونة
- ٢٠ . . . فتح اشبيلية - فتح ماردة
- ٢٢ . . . فتح اشبيلية ثانية - فتح لبلة
- ذكر اجتماع الامير أبي عبد الرحمن موسى بن نصير مع
- ٢٣ . . . مولاه طارق بن زياد على طليطلة
- ٣٠ . . . ولاية عبد العزيز بن موسى بن نصير

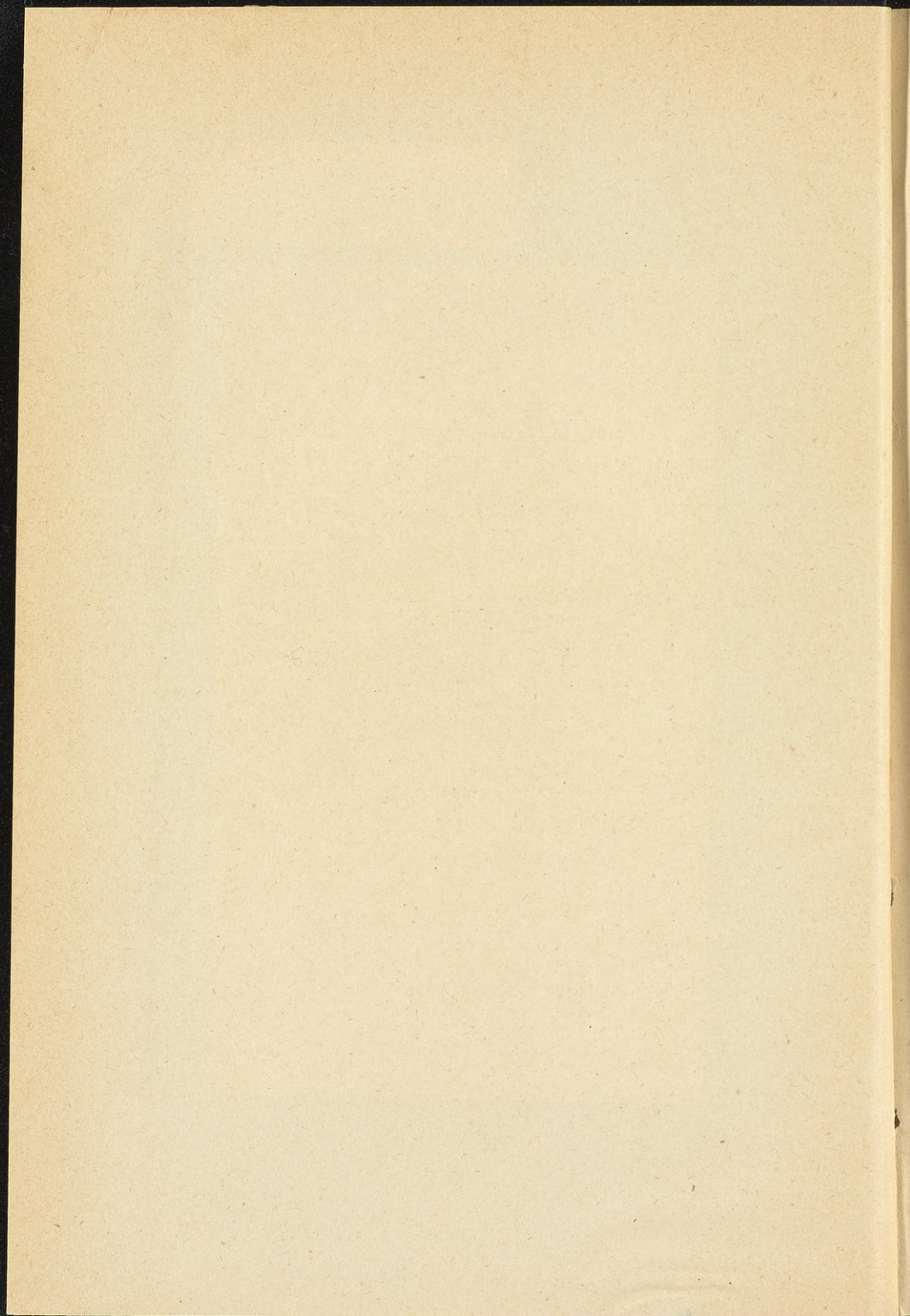
- ذكر ولاية أيوب بن حبيب - ولاية الحر بن عبد الرحمن
 ٣٣ الثقفي
 ٣٤ ولاية السمع بن مالك الحولاني
 ٣٥ ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الأندلسي
 ٣٦ ولاية عنبة بن سحيم الكلبي
 ٣٧ ولاية يحيى بن سلمة الكلبي - ولاية حذيفة بن الاحوص
 ولاية عثمان بن أبي نسعة - ولاية الهيثم بن عبيد الكنتاني
 ٣٨ - ولاية محمد بن عبد الله الاشجعي
 ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي - ذكر ولاية عبد
 ٣٩ الملك بن قطن
 ٤٠ ولاية عقبة بن الحجاج السلولي
 ٤٢ ولاية عبد الملك بن قطن الفهري ثانية
 ٤٤ ذكر ولاية بلج بن بشر القشيري الاندلسي
 ٤٥ مقتل عبد الملك بن قطن الفهري
 ٤٧ ولاية ثعلبة بن سلامة العاملي الاندلسي
 ٤٨ ذكر ولاية ابي الخطار الحسام بن ضرار الكلبي الاندلسي
 ٥٠ ذكر الصميل بن حاتم وسبب الفتنة
 ٥٢ ولاية يوسف بن عبد الرحمن الفهري الاندلسي
 ٥٤ مقتل أبي الخطار
 ٥٦ تسمية من ثار على يوسف بن عبد الرحمن الفهري بالاندلس

٥٧	جامع أخبار بني أمية بالمشرق
	ذكر دخول عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الى الأندلس
٦٠	وهروبه من الشام
٧١	خلافة عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك
٨٦	ذكر بعض أخباره على الجملة
٩١	خلافة هشام الرضي بن عبد الرحمن الداخل
٩٧	ذكر بعض أخباره على الجملة دون تعيين سنة
٩٩	قصة الكناني مع هشام بن عبد الرحمن رحمه الله
١٠٢	خلافة الحكم بن هشام بن عبد الرحمن
١٠٦	مقتل أهل الرض اولا قبل هيجة ثانية
١١١	ذكر دخول الحكم طليطلة حين خالفت عليه
١١٣	ذكر هيج اهل الرض ثانية في سنة ٢٠٢
١١٦	بعض أخباره وسيره
١٢١	خلافة عبد الرحمن بن الحكم
١٣٠	دخول المجوس اشبيلية في سنة ٢٣٠
١٣٥	ذكر بعض أخباره على الجملة وسيره
١٤١	خلافة محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام
١٥٩	بعض أخباره وسيره
١٧٠	خلافة المنذر بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم
١٧٦	شأن عمر بن حفصون في أيام المنذر رحمه الله
١٨٠	بعض سيره وأخباره

١٨٢	خلافة عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم
١٨٨	ذكر ثورة بني حجاج باشبيلية
١٩٩	ومن أخبار عمر بن حفصون في أيام الأمير عبد الله
	جملة الثوار ببلاد الأندلس في أيام الأمير عبد الله الخارجي عن
٢٠٢	الجماعة المضامين لنار الفتنة
٢٢٤	شأن ابني الأمير عبد الله محمد ومطرف
٢٢٥	شأن القاسم أخي الأمير عبد الله
٢٢٦	صفة الامام عبد الله بن محمد - تسمية أولاد الامام عبد الله
٢٢٧	ذكر حجابيه ووزرائه وكتابه واصحاب شرطه
٢٢٨	ذكر فضائله رحمه الله
٢٣٤	خلافة عبد الرحمن الناصر لدين الله
٢٤٦	غزاة امير المؤمنين الى كورة رية والجزيرة وقرمونة وهي الثانية من غزواته
٢٥٦	ذكر موت اللعين عمر بن حفصون
٢٥٩	غزاة الناصر لدين الله الى بلدة
٢٨٧	ذكر قتل سليمان بن حفصون
٢٩٢	ذكر افتتاح مدينة بيشتر
٢٩٧	بسم الله الرحمن الرحيم
٣٠٢	مطالعة أمير المؤمنين الناصر لبشتر في الشتاء
٣٣٤	بعض أخبار الناصر رحمه الله على الجملة
٣٣٧	حكاية
٣٣٩	حكاية
٣٤٤	رجع الخبر لذكر الناصر - ذكر بنيان مدينة الزهراء بقرطبة أعادها الله

٣٤٥	وَمَا قِيلَ فِي آثَارِ مَدِينَةِ قَرْطَبَةَ وَعَظَمَهَا حِينَ تَكْمُلُ أَمْرَهَا فِي مَدَّةِ بَنِي أُمَيَّةَ رَحِمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى
٣٤٨	خِلَافَةُ الْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمُسْتَنْصِرِ بِاللَّهِ
٣٤٩	ذَكَرَ الْجَلِيسَ الَّذِي جَبَسَ الْمُسْتَنْصِرُ بِاللَّهِ عَلَى الْجَامِعِ بِقَرْطَبَةَ
٣٦٠	ذَكَرَ مَقْتَلَ زَيْرِيِّ بْنِ مَنَاذٍ قَائِدِ الشَّيْعِيِّ عَلَى تَاهَرْتِ
	ذَكَرَ خَيْرَ فِرَاقٍ جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْإِنْدَلُسِيِّ صَاحِبَ الْمَسِيلَةِ لِمَعْدِ بْنِ إِسْمَاعِيلِ الشَّيْعِيِّ صَاحِبِ أَفْرِيقِيَّةٍ ، وَتَقَرَّبَهُ إِلَى الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ بِإِنْفِصَامِهِ إِلَى زَنَاطَةِ الْمُتَحَاشِينَ إِلَى دَعْوَةِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَتَأَلَّبَ جَمَاعَتُهُمْ عَلَى زَيْرِيِّ بْنِ مَنَاذٍ الصَّنَاجِيِّ ، عَامِلِ مَعْدِ الشَّيْعِيِّ ، عَلَى حَرْبِ بِلَادِ الْغَرْبِ وَمَقْتَلِهِمْ لَزَيْرِيِّ عِنْدَ انْقِضَاضِهِ عَلَيْهِمْ
٣٦١	ذَكَرَ أَخْبَارَ حَسَنِ بْنِ قُنُونٍ الْحُسَيْنِيِّ أَمِيرِ الْغَرْبِ مَعَ قَوَادِ الْإِنْدَلُسِ فِي هَذِهِ السَّنَةِ
٣٦٤	ذَكَرَ اتِّصَالَ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامَرَ بِخِدْمَةِ الْحَكَمِ الْمُسْتَنْصِرِ
٣٧٣	٣٧٧ خِلَافَةُ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ وَالدَّوْلَةُ الْعَامِرِيَّةُ
٣٧٩	وَمِنْ أَخْبَارِ جَعْفَرِ بْنِ عَثَانَ الْمُصَحِّفِيِّ
٣٨٢	بَعْضُ أَخْبَارِ الْمُتَصَوِّرِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامَرَ فِي ابْتِدَائِهِ
٣٨٩	مَقْتَلَ الْمُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ النَّاصِرِ رَحِمَهُ اللَّهُ
٣٩١	بَعْضُ أَخْبَارِ الصَّقَالِبَةِ مَعَ ابْنِ أَبِي عَامَرَ
٣٩٤	غَزْوَةُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَامَرَ الْأَوَّلَى
٣٩٥	ذَكَرَ نَكْبَةَ الْحَاجِبِ جَعْفَرٍ
٣٩٦	غَزْوَةُ ابْنِ أَبِي عَامَرَ الثَّانِيَةِ
٣٩٨	وَهِيَ غَزْوَةُ ابْنِ أَبِي عَامَرَ الثَّلَاثَةِ
٤٠٦	اسْتِبْدَادُ ابْنِ أَبِي عَامَرَ بِالْمَلِكِ وَتَغْلِبُهُ عَلَيْهِ

٤٢٢	ذكر تدبير عبد الرحمن بن مطرف مع عبد الله بن المنصور في القيام عليه
٤٢٤	ذكر مقتل عبد الله بن المنصور
٤٢٥	ومما حكى في امر عبد الله المقتول
٤٢٦	حكاية زطروزون البربري مع المنصور
٤٣٩	غزوة شنت ياقوب على سبيل الاختصار



CORNELL UNIVERSITY LIBRARY



3 1924 088 417 161

OLIN LIBRARY-CIRCULATION

DATE DUE

~~AUG 02 1993~~

GAYLORD

PRINTED IN U.S.A.

